تقريب الأفهام بحلّ ما فى الاختلاف بين المسلمين من الشبهات والأوهام

تأليف الفقير محمد البشير بن عثمان
07032259251/07055341872 للاتصال به :
bashirsenior@yahoo.com, muhammadmb2026@gmail.com

تقريظ شيخنا المرحوم الأستاذ عبدالله بن سليمان رحمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.الحمد لله على نعمة الإسلام ونرجو أن يتوفنا مسلمين.

وبعد فإن كتاب "**تقريب الأفهام**" الذي صنفه التلميذ مُحَمَّد البشير بن عثمان يحتوى على فوائد كثيرة ويحل من المسائل ما اهتمت به الأمة الإسلامية قديما حتى حال دون اتحاد صفوفها خصوصا في نيجيريا.

أما بعد، التتبع لفصوله أيقنت أن بقراءته بعيدا عن الهوى ستحصل الأمة المحمدية على اتحاد دائم سرمدي.

نسأل الله تعالى أن يبارك فى الكتاب وفى مؤلفه وفى الأمة الإسلامية بأسرها على المستوى العالمي.حقق الله لنا الوحدة ووفقنا لرشاده أجمعين.آمين ثم آمين.

الشيخ عبدالله بن سليمان.

كلمة الشكر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي نستعينه على الهدى ونعوذ به من الهلاك ومن شرور أنفسنا ومن الشيطان الرجيم المضل.من يهديه الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له نصيرا.رزقنا الله سبحانه التوفيق لطريق الحق إلى يوم الدين.

وبعد الشكر على نعمة الملة المحمدية و--إن شاء الله تعالى——على السنة المصطفوية،صلوات الله تعالى عليه وآله وسلم،أقدم الشكر الخالص

لله على الإلهام والتمكن من تنفيذ فكرة هذا الكُتَيّب(على الرغم من عدم الأهلية للتصنيف ومن أن معظم مضمونه التقاطات هنا وهناك من أقوال العلماء)،انطلاقا من حرصي على انتفاع الإخوة المسلمين به بما فيهم صاحبه الفقير،وأعني تنبيهاته على بعض ما نحتاج إلى فهمه كأمة مرحومة.

ولذا أسأل البارى سبحانه وتعالى أن ينفع كل من قرأه أو بلغه خبر الكتاب من قارئه، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وسعيي فيه مقبولا مشكورا.

خادم الحديث والعقيدة

الفقير مُحَمَّد البشير بن عثمان

29-02-1434 11-01-2013 تاريخ التصنيف باللغة الهوسوية

19-01-1448 04-07-2026 تاريخ الترجمة إلى اللغة العربية

الباعث على تصنيف الكتاب

الحق أنني اخترت الكتابة فى الموضوع ابتداءً باللغة المحلية قبل الترجمة إلى الإنجليزية وربما العربية(والحمد لله الذي مكننا من الترجمة إليها الآن) لما شاهدت هذه الأمة السيئ وما آل إليه أمرها من التفرقة فى وطننا خاصة وفى البلدان الأخرى عامة.لقد أدى ذلك التفرق إلى غرس الحقد والعداوة بين الإخوة المسلمين وبين الأقارب وحتى بين الآباء والأبناء فترى للأسف الشديد أتباع الفرقة الفلانية لا يستمعون لما صدر من عالم منتسب للفرقة المضادة بله العمل به ولو كان حقا.

وخلاصة القول أنه لما كان أعداء الإسلام عاكفين على القضاء على أمتنا بمختلف أنواع الكيد والمكر،لم ير كثير من أخواننا طريقا لمواجهتهم

سوى التقاتل والتطاعن فى أعمالنا بدعوى الغيرة الدينية أوالإرشاد للنهج القويم.بيد أن كثيرا منا على المستويات الفردية فى حاجة ماسة لتقويم صفوفنا.

فغفلتنا عن السعي لبناء قوام الدين على الرغم من شدة الحاجة،دفعتنى لهذا التصنيف المختصر،المرجو أن يغير تفكير بعضنا بما فيه.وصاحبه من أحق الناس بذلك التغيير الفكرى.

قد يقول قائل:إن هذا الإختلاف أمر قديم وقد أدى لأزمات وحروب بين الأمة فى بلدنا وغيرها من البدان على مدى التاريخ.ولكن لا نبالغ إذا قلنا إن أثرهذا الإختلاف والتفرق أسوأ بكثير فى العصر الحالّي وأظهر.والله المستعان.

ولما أفتى أحد مشايخ الصوفية بعدم جواز انتخاب مرشّح منتسب للفرقة "الوهابية" لتكفيرها الطائفة الصوفية اثار حفيظة الناس خصوصا بين صفوف الفرقة المقصودة.ولكن ما خفي علينا هو أن فتواه —وإن لم تكن مطلوبة تحت تلك الظروف——ليست إلا أحد مقتضيات بدعة التكفير.

تمهيد

ويحسن للقارئ اعتبار أمور قبل مطالعة هذا الكتاب وبعدها.أولها:أن نار العداوة المشتعلة بين المسلمين بسبب الإختلاف لا تجوز ولو بين أمة إسلامية وغيرها فى حالة الأمن السلام.

ثانيا،أن اهتمامى بهذه الكارثة المقدورة يفرض الإستعانة للقضاء عليها بكل وجه شرعي وما نحن بصدده طريق من طرق الوصول إلى ذلك أو على الأقل التخفيف منها.

ثالثا،إننى لشدة الإهتمام بها مكثت زمنا طويلا فى دراست كيفياتها ووجوهها المختلفة خلال كتب الفرق المتنازعة وحضور مجالس وعظها ، ومتابعة محاضراتهم عبر وسائل الإعلام إضافة إلى الحوار مع بعض الدعاة ومراسلت عدد من العلماء للاستفتاء والتشاور وحتى من الإخوة

الطلاب.وإنما وجب ذلك لاعتماد كثير من الناس على مقالات الوعاظ ولصعوبة مناظرتهم علميا.

وسنذكر نماذج لذلك.

رابعا،اقتصرت دراستي على النزاع الصوفى——الوهابي،أي بين الصوفية والمنتسبين لأهل السنة——ولنا تعليق على اللقب فى موضعه——فلن أعمق النظر فى الخلاف الشيعي وإن أمكن الخوض في بعض ما أحطت به هنا.

خامسا،بعد التصريح بما سبق،فقد اعتزمت على إبراز ما ظهر لي من الحق بقدر الإمكان دون ما تحريف نص أو ميل إلى نصرة فرقة في حكاية الأخبار أو الحكم على أمر مذكور عند الحاجة.(ننتصر للرأي على وفق ما اقتنعنا به من الأدلة).

سادسا،ليس المقصود بكتابنا المجاملة لحزب أو الإساءة لغيرها كما سيشهد به القارئ.فنصيحتى أن نضع الميول النفسية بجانب ونستعد لقبول الحق من حيث يظهر لنا حتى يكون ديننا خالصا لوجه الله الكريم.أعاننا الله على ذلك.

سابعا،لقد اقتصرت فى ذكر المراجع أثناء الإستدلال خشية الإطالة.فمن الصعب أن أذكر ما يزيد على ثلاث مرجع فى نقطة واحدة،وربما لا أجاوز مرجعا واحدا إذا كان الأمر شائعا مشهورا.

تقديم

بما أن محور الكلام هو النزاع الجاري بين أتباع الطرق **الصوفية** والمنتسبين **لأهل السنة** فسيدور نقاشنا حول مسائل **السنة والبدعة والتوحيد والشرك والأولياء وكراماتهم** وما أشبه ذلك.ولسعة المسائل المذكورة سنحاول تفصيل أبوابها بحيث يتفرع عن كل منها فصول مستقلة رغبة الإستيعاب ما أمكن.مثال على هذا،سيتفرع الإحتفال بالمولد عن السنة والبدعة،وسيخرج التوسل والتبرك من التوحيد والشرك(لإقحامهما فى العقيدة) وهلم جرا،كما سيفضى الكلام فى الأولياء والكرامات إلى رؤية النبي ﷺ فى المنام وفى اليقظة ونحو ذلك.والله تعالى هو المسئول لإرشادنا في العمل وقبوله.آمين.

الباب الأول

السنة والبدعة

الفصل الأول

السنة شرعا:لقد أمرنا الله تعالى أن نقتدي بالنبي ﷺ بقوله سبحانه : **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (**الأحزاب: 21**).وأخرج أبو داود (**4607**) **ما نصه – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ ، قَالاَ : أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} فَسَلَّمْنَا ، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ،**

تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.انتهى والترمذي **مثله (2676)**.

التعريف اللغوى بالسنة:قال فى المصباح المنير(**349/4**): **وَالسُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ وَالسُّنَّةُ السِّيرَةُ حَمِيدَةً كَانَتْ أَوْ ذَمِيمَةً وَالْجَمْعُ سُنَنٌ مِثْلُ : غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ**.

وأما فى الشرع فلها معان مختلفة:فمعناها عند الفقهاء

:كل ما ليس بواجب، وتعنى عند المحدثين: أحاديث الأحكام فى العبادات ونحوها وقد تكون قولية أو فعلية أو تقريرية أو صفة من صفات النبي ﷺ أو أحد أصحابه ولا سيما من الخلفاء الأربعة بل ولو ممن دون الصحابي.

وما يهمنا هنا هي السنة عند الأصوليين أى :ما قاله ﷺ أو

فعله أو ما روى فعله أمامه مع تقريره ﷺ(راجع إرشاد الفحول للشوكاني159/1).

تنبيه:بإمعان النظر فى الأحاديث السابقة يظهر لنا عدم اقتصار السنة على أفعال الرسول ﷺ بل تشمل أفعال خلفائه الراشدين الأربعة وغيرهم من الصحابة(ولكن عن طريق القياس).بيد أنه يجب مراعات شروط لسنية فعل غير الرسول ﷺ كما سيأتي لاحقا.

علاوة على ذلك،قد تتكون السنة من فعل متقدم أو حتى متأخر إذا كان له أصل من عمل النبي ﷺ.ولكن هذا يأتى فى باب البدعة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثانى

البدعة شرعا

لقد جاء من النبي ﷺ أشد النهي عن الإبتداع فى عدة أحاديث منها ما ذكرناه فى الكلام عن السنة.

ما هي **البدعة؟**

البدعة لغة هى :**المحدَث** وشرعا:**المحدَث المخالف لأمر الشرع**(راجع البدعة للشيخ جعفر السبحاني 26/1).وفى الحديث: **فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**.أخرجه أبو داود(4607) والترمذي(2685).

ابن تيمية والشيخ مُحَمَّد ابن عبد الوهاب

وهنا ننبه القارئ على أن الشيخين هما أصل النزاع حول البدعة بين طائفتي الصوفية والشيعة فى طرف وبين المسلمين المشتهرين بلقب "أهل السنة" فى طرف آخر؛أعني فى المسائل المذكورة فى هذا الكتاب.هذا ومع أن الأول سابق للثانى بقرون،فإن جل ما نفذه الثاني فى عصره كان من فهم الأول للمسائل الدينية.والحق أننا بحاجة لنبذة من حياة وكيفية اتجاههما لإدراك ما يقصده هذا الكتاب. ومع ذلك بدليل أن أثرهما فى مجالي التوحيد والشرك كان

أخطر مما شاهده التاريخ فى السنة والبدعة أخرنا التعمّق فى الحديث عنهما إلى المجال الثاني،وإن كان لا يخلو كلامنا هنا وهناك من نقول عن ابن تيمية فى البدعة.

ليس كل محدثة ضلالة عند التحقيق!

يجب أن نعلم بعد ما سبق أن البدعة هي "الأمر المحدث الذي يخالف الشرع"،أي أن لفظ "الكل" فى الحديث ليس على إطلاقه،إذ ليس كل مخترع يكون ضلالا كما سيتضح لنا.والدليل عليه قول النبي ﷺ فى حديث صحيح آخر : **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.أخرجه مسلم (1017) والترمذى (2684)وابن ماجه (203،204،207)**.فهذا دليل على أن النهى عن الإبتداع والتحذير منه خاص بنوع منه(وهو المخالف للشرع)وليس على وجه العموم كما شرحه علماء الحديث منهم العلامة النووى فى شرحه على صحيح الإمام مسلم(104/7).

نعم،من الناس من يسعى لتحريف هذا الحديث وصرفه لحديث آخر ألا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم " **أَنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِى فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ لاَ يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا** ». أخرجه

الترمذي (2893) وابن ماجه (209)و) (210).فيقولون هذا معنى الحديث السابق.وكلا! بل هذا كلام فارغ مخترع ورأي ساذج مبتدع ليس لصاحبه فيه سلف صالح.

وإليك أدلتنا:

أولا:أن صنيع المخرجين للحديثين –الترمذى وابن ماجه–دل على أنهما حديثان مفترقان فى الدلالة بإخراجهما فى بابين منفصلين فى كتابيهما،ويمكن للقارئ مراجعتهما بالأرقام المذكورة.

ثانيا،أن الصحابة رضوان الله عليهم قسموا البدعة على وفق ما قلنا من التفصيل سابقا.

ثالثا:أن الخليفة الثانى سيدنا عمر أثنى على جمع التراويح بعد جمعه الناس خلف إمام واحد بقوله "نعمة البدعة هذه" كما جاء فى الموطأ للإمام مالك رحمه الله.(الموطأ 252).

رابعا:أن الإمام الشافعى كما حكاه البيهقى عن تلميذه فى مناقب الشافعى والذهبي فى السير(55/19): **حَدَّثَنَا الرَّبِيْعُ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: المُحْدَثَاتُ مِنَ الأُمُورِ ضَرْبَانِ: مَا أُحْدِثَ يُخَالِفُ كِتَاباً، أَوْ سُنَّةً، أَوِ أَثَراً، أَوِ إِجْمَاعاً، فَهَذِهِ البِدْعَةُ ضَلاَلَةٌ، وَمَا أُحْدِثَ مِنَ الخَيْرِ لاَ خِلاَفَ فِيْهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ، قَدْ قَالَ عُمَرُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ: نِعْمَتِ البِدْعَةُ هَذِهِ، يَعْنِي: أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ لَمْ تَكُنْ، وَإِذْ كَانَتْ فَلَيْسَ فِيْهَا رَدٌّ لِمَا مَضَى.انتهى.**

وقول البيهقى يهدم محاولة التحريف من المتشددة لكلام سيدنا عمر المروى فى استحسان البدعة من أساسه.

هل نرفض كلام السلف؟

لقد تشدد إخواننا المشتهرون بـ "أهل السنة" فى إنكار البدعة. ولا غبار فى ذلك ما دام فى حدود العلم والإنصاف.إلا أن نبذ كلام المتقدمين والسعي لتحريف المنقول عن الصحابة كسيدنا عمر الذى احتج به الشافعى لا يشكل غيرةً على السنة ولا انتصاراً للدين.والعجب أن يقسم هؤلاء البدعة إلى دينية ودنيوية ويقولون إن الأولى قبيحة مذمومة والثانية حسنة محمودة!ومن هؤلاء صاحب كتاب "السنن والمبتدعات" الذى ادعى أن تقسيمه هذا هو مقصود الشافعى!وهذه خيانة واضحة علمية،لأن الشافعى كما بنى كلامه على قول سيدنا عمر رضى الله عنه فى التروايح كما مر،والصلاة عبادة محضة،والخليفة صاحب رسول الله ﷺ(بل من أجل أصحابه)،كما أن الشافعى رحمه الله (تـ 204)من اهل القرن الثالث الهجرى ومن السلف الصالح.

أضف إلي ذلك الحافظ ابن عبد البر (تـ 463) والعز ابن عبد السلام(تـ 660) والنووى(تـ 676) والحافظ ابن حجر(تـ852)ومن بعدهم كالشيخ عثمان ابن فودى هنا وسائر من درب على هذا الفهم.فأي الفريقين نتّبع:السلف الصالح القائلون بتقسيم البدعة أم هؤلاء الخلف المنكرون له؟

نقد دقيق لاحتجاجات "أهل السنة"

ما نشاهده من أتباع ابن تيمية أمثال الشيخ عثيمين وغيره من الوعّاظ عبر وسائل الإعلام وعلى المنابر وحتى فى المدارس وغيرها فى شروحهم وتعليقاتهم على تقسيم البدعة هو الإصرار على عدم وجود البدعة الحسنة وإطلاق القول بأن البدعة ضلال حيثما كانت.والملاحَظ أن

مقصودهم هو البدعة الدينية لأن التقسيم المقبول عندهم ليس إلا إلى بدعة العبادة (وهى الدينية) وبدعة المعاملة (وهى الدنيوية) فينطبق حديث البدعة على الأولى ولا ينطبق على الثانية.وفى هذا الفهم من المخاطرة والمغالطة ما لا يخفى على من له أدنى مسكة بالعلم والعقل.فالبدعة هى الأمر المحدث الذي لا أصل له فى الدين عند المحققين وحتى ابن تيمية كما سيأتى.ولكن العجب أن إخواننا المشتهرين بـ"أهل السنة" إما لا يرضون هذا التقرير وإما لا يعملون به بإطلاقهم فى ذم المحدثات–زيادةً ونقصا– عموماً على أنها فى النار.فالمغالطة فى الإنحراف عن نهج السلف الصالح والعلماء السابقين، والمخاطرة فى إدخالهم النار وإن كان فيهم عدد من الصحابة.

المثال الأول:زاد الصحابى عبد الله بن عمر فى لفظ التحية فى الصلاة على ما صح عن النبي ﷺ وعلمّه. أخرج أبو داود: **عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّشَهُّدِ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ – قَالَ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ : زِدْتُ فِيهَا : وَبَرَكَاتُهُ – السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ – قَالَ ابْنُ عُمَرَ : زِدْتُ فِيهَا : وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ – وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**.(راجع سنن أبي داود :971).

المثال الثانى:زاد نفس الصحابى فى لفظ التلبية فى الحج على ما علم الرسول أصحابه.فقد أخرج مسلم: **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ قَالَ**

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَزِيدُ فِيهَا لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ.(راجع صحيح مسلم 1184،و2029،و2868).

المثال الثالث:قال الشافعى لا بأس **بالزيادة** لكل مسلم لما فعله عبد الله بن عمر.

ففى سنن الترمذى: عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ -ﷺ- كَانَتْ « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ». قَالَ وَفِى الْبَابِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِى هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ وَإِنْ زَادَ فِى التَّلْبِيَةِ شَيْئًا مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ فَلاَ بَأْسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَأَحَبُّ إِلَىَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. قَالَ الشَّافِعِيُّ وَإِنَّمَا قُلْنَا لاَ بَأْسَ بِزِيَادَةِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِيهَا لِمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ حَفِظَ التَّلْبِيَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ زَادَ ابْنُ عُمَرَ فِى تَلْبِيَتِهِ مِنْ قِبَلِهِ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ.(راجع سنن الترمذى **825** و **833** و**827**).

أضف إلى أن إخواننا قد لا يخلون من بعض الإحداث والبدع فى الدين والمعاملة بإمعان النظر.ففيم التنطّع والتعنّت؟

ابن تيمية والبدعة

لما كان ابن تيمية (تـ 728-661)هو أكبر من يستدل به المنتسبون للسنة فى خلافاتهم مع سائر المسلمين كما سيظهر للقارئ فيما يأتى من الأمثلة اخترنا إيراد أقواله وأفعاله ليعلم القارئ شخصيته العلمية وميوله النفسية وأنه يُحتاج ضرورةً إلى التحفّظ فى شأنه والتعويل على كلامه.

فأولا،على الرغم من شدة الإنكار من أتباعه المعاصرين لتقسيم المحدثات إلى محمودة ومذمومة فقد كان يقسمها ابن تيمية ويرى أن منها ما له أصل أصيل فى الشرع مما يجعله إما واجباً وإما مستحباً(راجع قاعدة جليلية ضمن مجموع الفتاوى 18/1).وهذا من صوابه الموافق لما عليه الأمة كما سبق.

وثانيا، من فظائعه تبديع الصحابي عبد الله بن عمر!وهل كان هذا غيرةً منه وحرصاً على اتباع السنة النبوية؟ففى اقتضاء الصراط المستقيم (390/1) عند حديثه عن تتبع عبدالله لآثار الرسول ﷺ مما جعله من أكثر الصحابة اقتداءً به قال ما نصه: **فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقا ، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة ، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ . ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق ، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم . وقد قال ﷺ** : الترمذي : (2676) ، ابن ماجه المقدمة (44) ، **أحمد** (126/4) ، الدارمي المقدمة (95). **عليكم بسنتي**

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين ، بل هو مما ابتدع ، وقول الصحابي إذا خالفه نظيره ، ليس بحجة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟(راجع الكتاب 2/278-279).

فهل يوافقونه على هذا التبديع لسيدن عبدالله؟وإن وافقوه ففما هو الدليل؟وهل له من سلف على هذا أم خفي فعل سيدنا عبد الله على العلماء السابقين أجمعين؟وبفرض عدم الموافقة له فما حكم ابن تيمية بعد هذا التهوّر؟

ثالثا،لقد تناقض شيخ الإسلام!

فبعد التشدد فى تحريم الإحداث فى الدين وجدنا ابن تيمية واقعا فى نفس الإبتداع الذى أنكره على غيره بتعليم الناس ذكرا أو وردا لم يرد عن النبي ﷺ تعليمه لأحد وجعل له توقيتا وعددا محدودا والأذكار كما علمنا عبادة محضة لا يشرعها إلا الله ورسوله ﷺ وذلك فى مجموع فتاويه (22/510-512).وسياتى مزيد من هذا فى باب الأذكار بمشيئة الله تعالى.

رابعا،بتتبع تشدد ابن تيمية لا ينجو نفس إخواننا من البدع كما قلناه آنفا.فريثما ينفون الإبتداع فى المعاملات ويرون انحصارها فى العبادات يقول ابن تيمية فى مجموع الفتاوى(21/522-523) ما نصه:

فَصْلٌ :

أَكْلُ الشَّوَى والشريح جَائِزٌ سَوَاءٌ غَسَلَ اللَّحْمَ أَوْ لَمْ يَغْسِلْ ؛ بَلْ غَسْلُ لَحْمِ الذَّبِيحَةِ بِدْعَةٌ فَمَا زَالَ الصَّحَابَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَأْخُذُونَ اللَّحْمَ فَيَطْبُخُونَهُ وَيَأْكُلُونَهُ بِغَيْرِ غَسْلِهِ وَكَانُوا يَرَوْنَ الدَّمَ فِي الْقِدْرِ خُطُوطًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ إنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ أَيْ الْمَصْبُوبَ الْمِهْرَاقَ فَأَمَّا مَا يَبْقَى فِي الْعُرُوقِ فَلَمْ يُحَرِّمْهُ . وَلَكِنْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْبَعُوا الْعُرُوقَ كَمَا تَفْعَلُ الْيَهُودُ الَّذِينَ بِظُلْمِ مِنْهُمْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَسِكِّينُ الْقَصَّابِ يَذْبَحُ بِهَا وَيَسْلَخُ . فَلَا تَحْتَاجُ إلَى غَسْلٍ . فَإِنَّ غَسْلَ السَّكَاكِينِ الَّتِي يُذْبَحُ بِهَا بِدْعَةٌ وَكَذَلِكَ غَسْلُ السُّيُوفِ . وَإِنَّمَا كَانَ السَّلَفُ يَمْسَحُونَ ذَلِكَ مَسْحًا انتهى ملخصا.

ولا أعلم من لا يفعله من اتباع ابن تيمية وإن كانوا فقليل ما هم بفضل الله!

خامسا:الخطر الكامن فى فهم إخواننا

من المكن أن يرفضوا كلام ابن تيمية على أنه ليس بالمعصوم الذى يجب الأخذ بقوله ولا حرج حينئذ إلا فى إجبار الناس على سائر أقواله كما يقتضيه تبديعهم لمن خالفه وكذا تلقيبهم بـ "المبتدعة".وأمر آخر هو المخاطرة فى تعميم جواز الإبتداع فى المعاملات بحيث نستجيز أمورا منكرة بشعة من شتى أنواع المعاصى مما لا يقبله العلم البسيط بل ولا العقل السليم بحال.

بعض المحدثات حسنة

وهاك النماذج للبدع المستحسنة بعد التمهيد على أخطاء الغلاة المتشددة وعلى انقسام المحدثات فى الشرع أكما قرره العلماء الأوائل.

وقبلها التنبيه الهامّ:يجب أن نعلم حقيقة أن مآل البدع كلها واحد سواء فى المعاملة أو فى العبادة والدين على حسب نية الفاعل وسنبسط الكلام عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى.

اتّباع الطرق الصوفية سنة عند السلف الصالح

وقد بدأنا بالطرق الصوفية لأنها من أكبر كا يدور النزاع حوله ولتضمنها كثيرا ما يعتبر بدعة سواء كان فى العبادة أو فى المعاملة.والحال أنه لما كان وظيفة تلك الطرق العظمى العكوف على ذكر الله تعالى كل طريقة على نمطها ونظامها المختار والمقتبس من تعليم النبي ﷺ فلن نبعد عن الصراط فى عدها من البدع المحمودة --على الاقل—أو من السنن كما هو المصير فى آخر المطاف.ولذلك نريد التنبيه على أن العلماء المجاهدين والذابّين عن السنة المحمدية على مدى القرون كانوا يعدون طرق الصوفية واتباعها سنة ويرون أصحابها من جملة أهل السنة والجماعة لا كما يزعم أناس فى هذا الزمان ويدّعون.

مثال ذلك الإمام العلامة عبد القاهر بن طاهر البغدادى(تـ 429) الذى قسم أهل السنة إلى ثمانية أصناف وجعل الصنف السادس منها الطائفة الصوفية فقال ما نصه: **فصل في بيان اصناف فرق السنة والجماعه:...**

والصنف السادس منهم الزهاد الصوفية الذين ابصروا فاقصروا واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فاعدوا خير الاعتداد ليوم المعاد وجرى كلامهم فى طريقى العبارة والاشارة على سمت اهل الحديث دون من يشترى لهو الحديث لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء دينهم التوحيد ونفى التشبيه ومذهبهم التفويض الى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لامره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ذلك

فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى ملخصا.(من الفرق بين الفرق 299-303).

ففى هذا أمور:

الأول:أن البغدادى من أهل القرن الرابع الهجرى من القرون المفضلة الأربعة كما جاء فى أحد الروايات،فمن كان طالبا للشهادة منهم على شيء فقد وجد ضالته المنشودة فى قوله.

2-لا نشك فى حدوث تغييرات نظامية فى الطرق الصوفية خلال القرون بعد مضيّ البغدادى(من قبَل الأتباع لا من ذوات الطرق)مما قد يكون بعضه منكرا وبعضه معروفا،ومع ذلك فليس من الإنصاف تبديع أصحابها لأجل تلك التغييرات.يوضّحه أن ظهوره الطرق بعد عصر النبي ﷺ بأشكالها المختلفة كما استنبطها المشايخ الأِول لم ينف سنيتها بدليل أن أصولها مندرجة فى الشرع الحكيم كما هو شأن المذاهب الأربعة.

3-وجود أمور منكرة فى أعمال المتبعين للطريقة الفلانية لا يسوّغ الحكم عليها بأسرها إلا إذا كان ذلك من تعليمها أو إرشاد قادتها ،وإلا حكمنا على دين الإسلام بأمور فاحشة ومعاصي يقع فيها بعض المسلمين كالسرقة،والنهب،وشرب الخمر،والخديعة،والظلم ،والزنا ونحو ما يشاهد من بعض إخواننا-إن لم يكونوا متقدمين فيها--.وهيهات!وسوف نرجع إليه لاحقا.

ما رأينا فى الشيخ عثمان بن فودي؟

إن من العجب دوران المتشددين فى نيجيريا وفى غرب إفريقيا على الطرق الصوفية التى سمّوها "طرق المبتدعة" فى طرف ومصير هذا الولي الفاضل وأهل بيته فى طرف آخر.أعنى كما عد البغدادى الطرق من جملة أهل السنة بعد سرده أهل الأهواء الضالة المبتدعة كذلك كان

الشيخ عثمان من صفوف الصوفية وهذا لا يخفى على العلماء وطلاب العلم الناظرين فى مؤلفاته القيمّة على مر الدهور.

ومن العجيب أيضا أن إخواننا المشتهرين بـ "أهل السنة" من أكثر الناس ذكرا لهذا الشيخ ودعوى التمسك بكتبه وربما لتحريره السنن والبدع فى الأمور الدينية مع الإصرار على تبديع أصحاب الطرق ومعلوم أن ذلك التبديع لم يرد فى شيء من كتبه لهؤلاء القوم.فلا ندرى أكان ذلك من عدم الوقوف على كتبه المتحدثة عن تصوفه واتباعه الطرق أم من عدم الرضا بصدورها عنه كما يدّعيه بعضهم،أم من فرية رجوعه عنها كما يسمع أحياناً،كل هذه الإحتمالات تزيدك عجباً مما يقصده إخواننا الكرام.

والأمر الأول أنه على الرغم من تفصيل البدعة فى كتاب "إحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية" لا تجد اسم طريقة صوفية واحدة ضمن مجموع البدع المذكورة أو تبديع أهلها كما يتفوه به إخواننا فى هذا العصر.وبافتراض أن الشيخ عثمان لم يكن من أهل الطرق أو رجع من السلوك الصوفى أخيراً فإنه يكفى أصحابها أنه لم يذكر ولو مرة طريقة واحدة فى هذا الكتاب مما يفيد اعتبارها فرقة مبتدعة!والدليل على التساؤل أعلاه هو هذا:بما أن على كل مسلم أن يعتقد توحيد الرسالة حتى قال الشيخ أبوبكر جومى زعيم فرقة "أهل السنة" فى نيجيريا ما ملخصه: من آمن بالطرق كدين متَّبع فى الإسلام فقد نقض إيمانه لتصديقه بنزول الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ فبماذا نحكم على أمثال الشيخ عثمان كأحد المؤمنين المصدقين بالطرق الصوفية؟

ثانيا،وإن كنا هدمنا القول بعدم دخول البدعة فى المعاملات فإننا ننصح إخواننا بالرجوع إلى كتاب "إحياء السنة" الذى هو عمدتهم فى التبديع للوقوف على نماذج المحدثات فى

المعاملات كتوسيع الأكمام،وجعل المروحات فى المساجد(فى حين أننا نضع فيها المكيفات الهوائية).

ثالثا،لو قال قائل مناقش:يجوز أن يقع هذا الشيخ فى خطأ كما وقع فيه غيره من العلماء لأنه غير معصوم نقول نعم:يجوز عليه الخطأ كسائر البشر إلا أن تحقيق ذلك ليس بأمر هيّن.ولا سيما أن كلامه محل اتفاق بين جمّ كثير إن لم نقل جمهور من العلماء وليس كلام واحد أو اثنين مما يسهل مخالفته الصواب.وبفرض كون كلام الجمهور فى المسألة خطأً—— وهيهات-- فهل الخطأ فى الإبتداع أو تحليله يمنع من تلقيب الفاعل بـ "المبتدع"؟وإن امتنعنا من تبديع الشيخ بعذر ما فلم لم نعذر بقية الأمة فى عصرنا أيضا بنفس العذر-الخطأ المفترض أو حسن الظّنّ؟ هذا لو كان فى صغار الأمور، فكيف فى المعتقدات ومسألتى الإيمان والكفر وهما التصديق والتكذيب بنزول الوحي السماوى على أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما مر فى كلام الشيخ جومى؟

بدعتان مستحسنتان:التفسير فى رمضان والاحتفال بالمولد

فى مستهل رمضان لسنة هذا التصنيف 1433 الموافق لـ 2012 راسلت أحد العلماء هاتفياً بسؤال صورته:حضرة الشيخ لو علمتنى حديثا ثبت فيه ان النبى ﷺ جمع أصحابه فى رمضان وفسر لهم القرآن خلال الشهر كما تفعلونه فى بلدنا.وإن لم يوجد حديث مرفوع عن النبي فهل روى ذلك عن أحد من صحابته —الأكابر والأصاغر-ومن أهل القرون الثلاثة الأولى ممن قلتم ما لم يفعلوه بدعة مردودة؟

فقال هذا الشيخ:إن قول النبى ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" يجيز لنا التفسير فى أي وقت شئنا! فقلت له:لكنكم القائلون بأن تخصيص الوقت وتحديد العدد والمكان لكل ما لم يرد فيه شيء من ذلك من العبادات تصيّره بدعة وضلالا(وراجع-أيها القارئ الكريم- ما نقلته ورددت به على ابن تيمية حول ذكره المخترع الذى حكاه عنه ابن القيم فى مدارجه فى كتابى "الفوائد")ولذلك أنكرتم على الصوفية أذكارها وأورادها الأصيلة.وبقولك هذا يكون لذاكر الله فى وقت محدد وللمحتفل بالمولد النبوى حجة على فعله.فقال كلا:ليس للمحتفل نص على فعله!قلت:النصى له مداخل متعددة يسوغ من كلها الإستنباط ومن ذلك الدلالة،والإشارة والمفهوم وهلم جراً.أما ترى أن الحافظ ابن حجر والإمام السيوطى استنبطا الإحتفال من حديثن-ابن حجر من حديث صيام عاشورا والسيوطى من حديث البيهقى عن أنس "أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد ما بعث نبيا"...

فقال أحاديث البيهقى ضعيفة.قلت:كيف تأكدت من ضعف هذا بعينه؟فمن ثم ادعى أنه لا يسمع كلامى على الهاتف(وكنت أسمعه جيداً) ثم أنهى المكالمة وأبى أن يرفع السماعة بعد ذلك.

ثم بعد أيام سمعته عبر المذياع يتحدّث عن نقاشنا أمام تلاميذه فراسلته قائلا:حضرة الشيخ،حقٌّ أن الصحابة كانوا أشد الناس اقتداءً برسول الله وأعلم بمقصود كلامه كما ذكرت لنا،فهل خفى عليك أنهم بعد روايتهم خيركم من تعلم القرآن وعلمه" عن النبى صلى الله عليه وسلم نهوا عن مثل هذا التفسير الذى تفعلون فى رمضان؟ راجع صحيح البخارى برقم 6337 ففيه ما نصه: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ ، فَإِنَّ أَكْثَرْتَ فَثَلاَثَ مِرَارٍ وَلاَ تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِى الْقَوْمَ**

وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – وَأَصْحَابَهُ لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ ذَلِكَ . يَعْنِي لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ ذَلِكَ الاِجْتِنَابَ . وبرقم عن ابن مسعود (66،70): **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.**

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ – يَتَخَوَّلُنَا بِهَا ، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.

فقال هذا الشيخ مراوغا:أرسل سؤالك للإجابة على aagummi@gmail.com.

ولما واصل دعوته فى تحذير الناس من البدع أجريت الإتصال به مرة أخرى وشكوت له عدم الإجابة راوغ وحاول الفرار مرة ثانية وطلب من إرسال السؤال وأنهى المكالمة فى الحال وامتنع من رفع السماعة.فراسلته قائلا: إن كنت تريد إفهام الأمة وإفادة العوام بهذا النقاش فأجبنى أمام الطلاب بعد قراءة أسئلتى ليستفيد الناس جميعا لأن كثيرا منهم لا يستخدمون البريد الإلكترونى ولا يعلمونه فلم يرد عليّ.

ثم طالبنى أخى كريم بعرض النقاش على الفيسبوك (facebook) للحوار العلمى بين الطلاب فقال قائل:إنما نهى سيدنا ابن عباس عن تلاوة القرآن أكثر من مرتين فى ال جمعة دون التفسير.فقلت لو أمعن النظر فى ألفاظ الحديث(حدّث النا س،هذا القرآن، يذكّر الناس،الموعظة) وراجع فتح البارى لرآى أن النهى عن كل من التلاوة والتفسير كما هى عادة الصحابة فى تعلّم القرآن الحكيم.ولما بلغه هذا الجواب رد بقوله :نحن لا نقبل عن مبتدع

حتى نسمع مقالة علماء السنة! يا إلهى! أيها القارئ الكريم،احكم أنت بنفسك فيما جرى بينى وبين هذا الشيخ وتلميذه.

نقاط هامّة

الأول:يتضح للقارئ من بداية هذا الكتاب صحة قولنا من أن المتشددين أنفسهم غرقى فى الإبتداع والهلاك على حسب فهمهم الخاطئ بإطلاق الضلال على جميع المحدثات كما صرّح به الشيخ أبوبكر جومى فى العقيدة الصحيحة (ص 22).وقد قدمنا نموذجا على ذلك بتفسير رمضان.

الثانى:قد رأينا عجز الشيخ المذكور–وعن غيره لساعة الكتابة– فى قصتنا عن إقامة الحجة على هذا التفسير الجارى فى بلدنا عبر العقود فى حين أننا أتينا بنهى الصحابة عن الإكثار من التحديث والتعليم،والحكم سواء سميناه عبادة أو معاملة ،لأن المسلم لا يسعى إلا لمرضاة الله ،كان ذلك فى عملية التفسير أو الإستماع إليه.ولا سيما أن ابن تيمية يعرف العبادة بأنها "كل ما أريد به وجه الله".فالخلاصة أننا اتفقنا على كون تفسير رمضان بدعة!

وهل هى بدعة حسنة كما ندعى وجودها أم قبيحة كما يقتضيه إطلاق خصومنا الواقعين فيها؟

تحقيق القول فى تفسير رمضان

هنا نناقش ما ادعاه الشيخ السابق ذكره فى حوارنا وهو:أن المفسرين فى رمضان لم يحرموا فعله فى غير رمضان ،فإنهم يفعلونه قبل وبعد الشهر المبارك،بحيث لا يكون بدعة.وهذه

حجة فى البداية دون النهاية.وإيضاح ذلك أن الكلام هنا فى بدعتين متغايرتين-بدعة العمل وبدعة الإشاعة كما يراه المحققون.

بتعبير آخر،نفس التفسير وحده أو على التتالى إلى آخر الشهر مع جميع التنظيم والخدمات المناسبة المعلومة (ولو بدون تخصيص الوقت أو تقييده) بدعة فى نفسها،وكذلك التصريح بذلك أو اعتقاده.فلم تحل المشكلة.

والأمر المهمّ أننا بالرجوع إلى تفاصيل العلماء فى تعريف البدع والمحدثات فإننا نجد له أصلا أصيلا من الحديث الذى ذكره الشيخ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (البخارى :5028،5027،أبو داود:1452) كما يثبت جوازه بالأدلة الدالة على تعليم العلم وفعل الخيرات فى الشهر الميمون——حتى يكون بدعة محمودة.

بدعة التفسير فى رمضان

ومن المطلوب أن نعلم بدعة شنيعة مذمومة يقع فيها كثير من المفسرين المشددين فى رمضان ألا وهى إضاعة الأوقات الكثيرة خلال التفسير للوقوع فى أعراض الناس والطعن فى الشخصيات المسلمة بما غرس الحقد والعداوة بين صفوف الأمة الإسلامية.

تحقيق القول فى الاحتفال بالمولد

بما أن عددا كثيرا من العلماء صنف فى جواز الاحتفال بالمولد وتاريخه وما أشبه ذلك فلا نزيد على تنبيه مختصر على عمليات حوله ولا سيما هذا كتاب صغير لا يسع للإطناب فى الموضوع.وعليه فقصارى القول أن الاحتفال بالمولد عادة مستحسنة مشتملة على خيرات

كثيرة وهى عبادة من حيث مقصدها ومضمونها.(راجع كلام جدنا –أى شيخ شيخنا العلامة الشريف السيد مُحَمَّد العلوى المكى عليه رحمة الله تعالى فى جزء " حول الإحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف").

ومن وجه آخر هو أحد الطرق لإظهار الشكر لله تعالى على أعظم مننه على الأمة وهى إخراج أحب العباد إليه سبحانه بين الخلائق أجمعين.وإضافة إلى ما سبق عن ابن تيمية من إطلاق "العبادة على كل ما أريد به وجه الله" فإن الاحتفال مستنبَط من عمل الصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.فقد أثبت الحافظ ابن حجر استنباطه من حديث صيام عاشوراء الذى عند البخارى فى الصحيح(2000-2007)ومسلم(1126،1125)حيث كان ﷺ يحيي ذلك اليوم شكرا لربه واستنبطه الجلال السيوطى أيضا من حديث أنس أنه عق عن نفسه بعد النبوة كما ذكره فى رسالة حسن المقصد فى عمل المولد(1/63-64).

ومن العجيب من قول الشيخ المحاور السابق أنه أولا – لا يعتبر كلامهما لعدم فعله من إمام مذهبهما وهو الشافعى رحمه الله وثانيا-أنهما أفتيا بجوازه فقط ولم يفعلاه،كل هذا بعدما ذكرت له تقسيم الشافعى للبدعة والذى هو عمدتها فى الاستنباط.فكان جوابه بابا جديدا فى الدين:وهو وجود فتوى ليس من المقصود العمل بها.فنعوذ بالله من الهوى!

سنة أم بدعة؟

بمقتضى ما قرره حديث الامام مسلم (1017) وكتب حديثية أخرى من تسمية المحدثات التى لها أصل فى الشرع "سنة" (أى من حيث مآلها)نقول إن الاحتفال بالمولد إذا خلا من جميع المنكرات بدعة حسنة شرعيًّا وتسمى بدعة -لغويًّا –مع أنها سنة شرعيًّا.

وهذا الذى مال وذهب إليه الحافظ ابن حجر وابن الحاجّ كما بينه السيوطى والشيخ ابن فودى فى "إحياء السنة" (105/1)رحم الله الجميع.

صحيح أن الفاكهانى يرى الاحتفال بدعة مذمومة لعدم وروده عن السلف–على رأيه من إنكار المحدثات طرًّا،ولكن الأئمة المتقدمين عليه على تقسيم البدعة كما مر ومنهم الشافعى(تـ 204)والعز بن عبدالسلام(تـ 660) والنووى(تـ 631-676).كل من الثلاثة كان متقدما على الفاكهانى (تـ 734)،الشافعى بنحو خمسمأة سنين وكل من العز والنووى بمأة.

أما قول ابن تيمية فى (294-297،و2/ 123-126) من اقتضاء صراطه أن فعل المولد واتخاذه موسما قد يفعل بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده.وأن الله قد يثيبهم على تلك المحبة لا على البدع فمشعر بإنكار البدعة الحسنة ،وهو منقوض بما نقلنا من قوله فى القاعدة الجليلة(18/1) بتقسيمها إلى واجبة ومستحبة.وبما قاله من قبله ممن ذكرنا آنفا.فالحمد لله.

تنبيه على شبهة:

قد يقول قائل إن كلام ابن تيمية فيه صواب وخطأ فلا يجب الوقوف عليه.نقول نعم إذا لم يكن قوله المحفوظ الموافق لكلام العلماء حجة معتمدة فكيف يعتمد الناس على الشاذّ المخالف؟

أسئــلة وأجوبــة

الأسئـــلـــة

1-بما أن الناس اختلفوا فى تأريخ اليوم المولد،أنى للمحتفلين بذكراه التأكّد من وقوعه فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول؟

2-لماذا يختلف التوقيت للاحتفال فيقوم به قوم فى مستهل الشهر ،وآخرون فى وسطه وقوم فى آخره بل وقوم بعد خروجه؟

3-وهل يعنى هذا أن المحتفلين لا يذكرون النبى ﷺ إلاى مرة فى جميع السنة؟

4-لماذا لم يقتصروا على الصيام إظهارا للشكر على نعمة وجوده ﷺ؟

5-لماذا لم يقتصروا على الاحتفال بالمولد النبوى فيحتفلون بموالد غيره من المشايخ؟

6-لماذا لم يفعله الصحابة إذ كلنا متفقون على كونهم أحرص منا على فعل الخيرات بتاتاً؟

الأجوبـــة

1-تقديم العمل المندوب على وقته لا يضر صاحبه لتكريم الله تعالى عباده كما أن الداعى للوليمة لا يطرد الآتى قبل يومها أو فى اليوم قبيل ساعتها،

2-يرى المحتفلون أن بركة اليوم تعم جميع الشهر فرأوا حصول الفضل فى كل من أيامه،وأمر آخر أن الجميع حريصون على حضور الصالحين لحفلاتهم فتحتم تأخير البعض إحتفالهم لحين يفرغ آخرون ويحصل كل على نصيبه.

3-المحتفلون متعلقون بالنبى الطاهر ﷺ فى كل يوم من أيام السنة وفى كل ساعة ولكنهم خصّوا ذلك اليوم وذلك الشهر المعين باحتفالات إضافية لأن الداعى فيهما أقوى.

4-لكل عصر ما يليق به ،فلما كان طلب العلم قليلا فى هذا الزمن بما فيه علم سيرة الرسول ﷺ اختار العلماء المئسسون للاحتفال إجراء المحاضرات والمواعظ لتعليم الناس أخلاقه بغية ترسيخ محبته فى قلوبهم.

5-لما كان العلماء ورثة الأنبياء جاز فى حقهم ما جاز فى حق الأنبياء عموما بغير قيد وتخصيص.وقد تقدمت الأدلة الشافية على مكانة الاحتفال شرعاً فى هذا الكتاب.

6-لقد قام الصحابة بما كان ملائما بعصرهم ولا يلزم فعل كل ما فعلوه كما أننا لا نفعل كلما فعلوه اليوم.ومن قرأ كتابنا هذا فقد وقف على نماذج لهذا القول.وإليك مزيد من ما نحن بصدده.

زيادات الصحابة فى الدين

1-جمع الخليفة عمر الناس خلف إمام واحد فى صلاة التراويح وسمى ذلك **بدعة** بقوله "نعمة البدعة هذه" (كما فى الموطأ :252 والبخارى: 2010) ثم زاد فى نداء الصبح لفظ "الصلاة خير من النوم (فى نسخة للموطأ: 156).وفى رواية الامام يحي الليثى: **154 – وحدثني عن مالك أنه بلغه :أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح.انتهى.**

2-زاد الخليفة عثمان النداء الثانى فى صلاة الجمعة كما أخرج البخارى فى الصحيح.

ففى نسخة: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ

أَنَّ الَّذِي زَادَ التَّأْذِينَ الثَّالِثَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ كَثُرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنٌ غَيْرَ وَاحِدٍ وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الْإِمَامُ يَعْنِي عَلَى الْمِنْبَرِ انتهى.(برقم 862).

وبعده:حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّ الَّذِى زَادَ التَّأْذِينَ الثَّالِثَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ – رضى الله عنه – حِينَ كَثُرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ – ﷺ – مُؤَذِّنٌ غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الإِمَامُ ، يَعْنِى عَلَى الْمِنْبَرِ . أطرافه 912 ، 915 ، 916 – تحفة 3799

3–وزاد عبد الله بن عمر قول المصلى **"وبركاته" و"وحده لا شريك له"** فى التحية كما أخرجه أبو داود (971) وإن كان ذلك واردا فى روايات أخرى ولكن غاب عنه وروده أو لم يصح عنده.والمهمّ أنه زاد معتقداً جواز الزيادة فى مثل تلك المواضع.وهو المطلوب.وهو الذى زاد فى لفظ التلبية فى الحج كما نقلناه من صحيح مسلم(1184)وسنى أبى داود (1812)والترمذى(827)وكذلك أبوه عمر كما جاء فى صحيح مسلم(1187).

4–أخرج البخارى فى الصحيح 799 ومسلم 600): **799 – حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجْمِرِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَلاَّدٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّى وَرَاءَ النَّبِيِّ – ﷺ – فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » . قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، حَمْدًا كَثِيرًا**

طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ » . قَالَ أَنَا . قَالَ « رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا ، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ » . تحفة 3605.

5–فى صحيح البخارى أيضا (1149) ومسلم (2458): – حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ « يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَىَّ فِي الْجَنَّةِ » . قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِى أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّىَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ . تحفة 14928 ، 2049 .

تنبيه:

لو قال قائل:1–أن النبى لم ينه الصحابى القائل ولا بلالا فلم يكن عملهما زيادة فى الدين و2–أن فعل عمر وعثمان سنة لقوله ﷺ "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين(كما فى أبى داود 4607 والترمذى 2685 وابن ماجه 43) قلنا له:

1–أمران:أحدهما أنه أقر الزيادة والآخر أنه أقرهما على الزيادة فى الدين بما يندرج فى أصول الشرع.وثالثها أن الصحابيين علّمنا بالزيادة شيئاً وهو جوازها فى فهمها كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم "صلوا كما رأيتمونى أصلى"؟(البخارى:631).

وعن فعلي الخليفتين نقول:كلا،لا ينفى الأمر باقتدائهما كون العمل بدعة ولذا سماه عمر "بدعة" (فى الموطأ 252)ثم أثنى عليها لموافقتها الشرع الحكيم وأصوله.وهذا ما قرر لك الشافعى رحمه الله فى تعريف البدعة كما حققناه آنفا.فافهم يا أخى.

وانظر فعل عبد الله بن عمر من غير الخلفاء الراشدين(وتركت أمثال ابن مسعود خشية الإطالة)وهو عمدة الشافعى فى تقسيم البدعة كما مرّ النقل عنه فى سنن الترمذى عند المثال بالزيادة فى التلبية من نفس عمر وابنه عبد الله رضى الله عنهما مع العزو الكامل.

فبما حررنا وقررنا لك يا أخى من فعل الصحابة وكلامهم فى التفسير إضافة إلى ما نفعله اليوم فى رمضان لا يسعنا أولا -إلا تبديع الصحابة-كمافعله ابن تيمية مع سيدنا عبد الله- لزيادتهم فى الدين وثانيا تبديع أنفسنا-الصوفية الذين تم تبديعهم والوهابية أو "أهل السنة" كما اشتهروا به لعدم خلونا من البدع!

ولكن الخطاب هنا للعاقل المنتبه الذى أبعد نفسه ورأيه عن الهوى وعمل بما وهبه الله تعالى من العلم والبصيرة اللدنية فحسب.

تنبيه آخر:أخرج البخارى (6313 أو 6315 أو 247)ومسلم (2710) :حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ **حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا الْعَلاَءُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** انتهى.

بعض الناس يقع فى إشكال ويقول هذا دليل يهدم الزيادة وهو نقوض بما ذكرنا من الأدلة المعارضة الأقوى والأكثر.والدليل فى كلام الرسول وتغيير اللفظ هو التباين التام فى المعنى بين اللفظين.وفّقنا الله للرشاد.

بدع فى الاحتفال بالمولد النبوى

وإن كنا بسطنا نوعا ما فى اندراج الاحتفال فى البدع الحسنة أو السنة فإننا نحتاج لذكر بدع منكرة أحدثت فى الاحتفال وننبه عليها.

ومن أسوأها بدعة النظر إلى غير المحتفلين أو تسميتهم أعداء النبى ﷺ والحال أنهم لا يحتفلون لعدم الاقتناع بأدلة القائمين به ليس إلا.وقد كنا نحذّر من هذا الظلم ونذكره أمام العلماء لينبهوا عليه.فأولا لا نتهم أحدا ببغض النبى ﷺ وهو يدّعى الانتساب لدين الاسلام.ممكن أن يصدر منه لفظ فيه من إساءة الأدب ما لا ينبغى صدوره إلا ممن له ضغينة للمصطفى ﷺ ومع ذلك يكون معذورا لحسن قصده أو حتى جهله.

وثانيا،إن نكرى الاحتفال ينكره للخلاف بينكما فى الفهم والمنظور من حيث شرعيته،وكيفما استضعفت حجته فلا تنس أنه مستضعف أيضا لحجتك فى المسألة.فما الدليل إذا على تسميته بسوء اللقب لمجرد الاختلاف فى فروع المسائل؟

ثالثا،قد تقدم أن الاحتفال بهذه الكيفية واحدة من الوجوه المتعددة لإظهار السرور على وجود النبى فى الأمة المحمدية.وهى المختارة عند الجماعة المحتفلين فى هذا العصر فى بلدانهم،وليست هى وحدها الطريق لذلك أو المجمع عليها،فلا يلزم أن تتفق المناظير أو يرى هذا ما يراه غيره كما لا يمنع كون هذا الطريق من أحد الوجوه الحسنة لإظهار الفرح والمحبة له ﷺ إذا خلا من المنكرات.والجرأة على التفوّه بما ذكرنا يفضى إلى رمي كبار الصالحين الماضين بمعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام وحاشاهم.

قال السيد مُحَمَّد بن علوى المالكي عليه رحمة الله تعالى:أننا نرى أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ليست له كيفية مخصوصة،لا بد من الالتزام وإلزام الناس بها،بل كل ما يدعوا إلى

الخير ويجمع الناس على الهدى ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم فى دينهم ودنياهم يحصل به تحقيق المقصد من المولد النبوى.ولذلك فلو اجتمعنا على شيء من المدائح التى فيها ذكر الحبيب ﷺ وفضله وجهاده وخصائصه ولم نقرأ قصة المولد النبوى التى تعارف الناس على قراءتها واصطلحوا عليها حتى ظن بعضهم أن المولد النبوى لا يتم إلا بها.ثم استمعنا إلى ما يلقيه المتحدثون من مواعظ وإرشادات وما يتلوه القارئ من آيات،أقول:لو فعلنا ذلك فإن ذلك داخل تحت المولد النبوي الشريف ويتحقق به معنى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف واظن أن هذا المعنى لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان اهـ من جزءه "**حول الاحتفال بذكرى المولد النبوى**".

ولذلك نكرر الدعوة لهؤلاء المتهوّرين أن ينكفّوا سريعاً عن تلك التهم لإخوانهم المسلمين ويحسنوا الظن بهم بالجميع كما فعله هذا الشيخ الصالح.وفّقنا الله تعالى للانصاف والهدى.

الاقتداء من سمات المحبّة

ومن كان منصفا لا ينكر وجود أو رؤية أحد المنتمين لفرقة من فرق الإسلام ومن المتشددين –إما من الصوفية وإما من خصومهم–(وأرى قلة ذلك فى الشيعة)ومن فاتته الرؤية بعينه فربما بلغه عن ثقة أن يكون أمثال هؤلاء فى الصف الأول فى الخديعة والخيانة أو ما يشبه ذلك مما ينافى الصدق فى المعاملات بحيث يباين عملهم الدعوى ولا نحتاج لنماذج عليه.

فلو أصلحنا أحوالنا كأمة مسلمة عن طريق التأسّى بالمصطفى ﷺ فى حياتنا اليومية لكنا أنفع لديننا بل لكان أقوى على الدعوة إلى اعتناق الإسلام ممن فى ملة أخرى على المستوى العالمى.

وألفت النظر إلى نقاش قديم بين المحتفلين وخصومهم وهو :هل المحبة هي الاقتداء فحسب كما هو رأي الخصوم أم هى غير الاقتداء كما عليه المحتفلون؟

وعندى:أن المحبة غير الاقتداء ولكن لها علامات أحدها الاقتداء،ومنها أيضا كثرة الثناء والذكر وهلم جرّا.وأمر آخر :قد تجبر عوامل على التأسّى بالشخص ولن تجبر على حبه،فإنه ممكن إظهار محبة من يُخشى شره وضرره.وعليه فليس كل اقتداء يصدر عن المحبة،وقد تحب من لا تستطيع الاقتداء به فى الطبع،وإن كانت المحبة الدينية تلزم الاقتداء بالمحبوب غالباً.

فالحب الصحيح للنبى ﷺ يورث الذكر الكثير له بالخير،السكينة فى ذكره،الشوق إلى لقائه،إيثاره على من سواه وما سواه من آباء وأبناء ونفس وكل شيء كما جاء فى صحيح البخارى(14،15)ومسلم(44).وإن اجتمعت المحبة بقدر كاف من العلم الصحيح فإنها توجب الاقتداء به.وعليه فمن اجتمعت فيه هذه الفضائل يكون بالطبع أكثر حبًّا للنبي ﷺ من غيره ممن لم تجتمع فيه والله تعالى أعلم.زادنا الله محبته عليه أفضل الصلاة والسلام.

بدعة أخرى فى الاحتفال بالمولد النبوي

وبعدما تقدم من الكلام،فهناك بدع لا تزال فى ساحة الاحتفال وإن كان بعضها متروكا بعد نصيحة العلماء فى البلدان الإسلامية.ومن جنس ما ترك بعضه اختلاط الرجال بالنساء،أما المعازف وآلات اللهو الحديثة والتقليدية المجمع على تحريمها بين المذاهب الأربعة –كما حكاه السيوطى أو الشيخ عثمان بن فودى–فأمر متزايد بل هو بمثابة الموضة.

وأذكر حواري مع إخوة شباب قديما حيث نقلوا عن شيوخ قولهم :كل ما استخدم فى مدح النبى ﷺ من المعازف فهو جائز شرعاً.وكأنهم قصدوا بذلك الرد عليّ فى تحريمها.

فالسؤال الأول:هل استعمال الشيء المحرم فى مدح النبى ﷺ يصيّره حلالا؟

الثانى:فلماذا منع أمثال الفاكهانى الاحتفال بمولده أصلا كما تقدم؟

الثالث:وهل نسينا أنه حتى المجيزين للاحتفال مثل الحافظ ابن حجر والسيوطى بشرط خلوه من المعاصى نهوا كلهم عن تلك والمعازف؟

إذا ليس لهذا القول أساس من العلم والحجة،ونستغفر لقائله مهما كانت جلالته فى العلم والمعرفة.نعم،لقد اختلف الناس فى أحكامهم فى المعازف كما قد نذكره فى موضعه من هذا الكتاب.ولكن أكثر ما يستخدمه المحتفلون اليوم فى ميدان المولد-كالبيانو وغيره- حرام بلا مثنوية.

ولكن الصحيح أن إنشاد أشعار دينية وقصائد مشتملة على كلمات حسنة داعية إلى التزهد من الدنيا والتأهب للآخرة والتى تغرس التقوى وخشية الله سبحانه فى القلوب أو محبة الرسول ﷺ وسائر عباد الله الصالحين والأعمال الصالحة —سواء فى بقعة الاحتفال أم فى غيره-أمر معروف كما بسطه السيوطى فى حسن المقصد وكما سنفصله لاحقا إن شاء الله إن شاء الله إن شاء الله.

الابتداع فى الدعاء

أولا،من المعلوم كون الدعاء عبادة كما أخرجه الترمذى فى السنن (3382 و 2969 و3232): عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} قَالَ : الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ، وَقَرَأَ : {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ، إِلَى قَوْلِهِ : {دَاخِرِينَ}.وقال عقبه:هذا حديث حسن صحيح.

وثانيا،بما أن دعاء النبى ﷺ مأثور فى عدة أحاديث وبما أن الشرع الحكيم علّمنا كيفية الدعاء فى المواضع المناسبة ،فلا بد من الامتثال.

الدعاء دبر الصلوات

باعتبار ما أحدثه نقول إن الخلاف شديد بين من يستحسن الانتصاب للدعاءالجماعى عقب الصلوات المكتوبة بحيث يأمر الإمام أو أحد الفضلاء بتلاوة بعض السور أو الآيات والأدعية ثم يدعو ويأمّن المأمومون بصوت واحد وبين من ينكره.والدليل لإنكاره عند المنكرين هو عدم وروده عن النبي ﷺ.

فالأمر الأول أن الدعاء عقب المكتوبة جاء فى أحاديث كثيرة.كان النبى ﷺ يقول بعد فراغه من الصلاة: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عِصْمَةً وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ قَالَ وَحَدَّثَنِي كَعْبٌ أَنَّ صُهَيْبًا حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُهُنَّ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَلَاتِهِ(وراجعه برقم 1354 و 1329 و1346).

وهكذا كان يعلم معاذ بن جبل بقوله : عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ
أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ فَقُلْتُ وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ أخرجه الامام أبو داود (1522) وهذا لفظ النسائى 1286 وأيضا ،1303 و1299).

أما الدعاء بالكيفية السابقة فحق أن النبي ﷺ لم يكن يفعله ولا صحابته فيما بلغنا من الروايات.إلا أنه لا يسوّغ هذا تبديع فاعله ممن لا يفعله كما نشاهده اليوم لسبب الأدلة المذكورة فى هذا الكتاب.كيف وقد أورد الشيخ عثمان بن فودى فى "إحيائه" (ص 65-69) قول الامام الشافعى أنه سنة(أو بدعة حسنة كما تم تحريره فى الحديث عن البدعة)وإن كان مالك يكرهه.ومن المعلوم أن كلا القولين مبنى على حجة صاحبه المخالفة لما عند الآخر من دون طعن له أو استضلاله كما هو الحال فى عصرنا.

ولم يتخلص إخواننا من بدع لم ترد عن النبي ﷺ بعضها لا تقلّ عن الدعاء دبر الصلوات كالمصافحة عقب المكتوبات وبعد الجمعة (وراجع الإحياء ص 69-70)وبعضها أشدّ للنهي الوارد الخاصّ عنها كالمسابقة فى تلاوة القرآن التى يعاكسها حديث :" لاَ سَبَقَ إِلاَّ فِي خُفٍّ أَوْ فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ"(أخرجه أبو داود 2574 والترمذى 1700 والنسائى3585 و3586 و3587 بلفظ أوضح: "لاَ يَحِلُّ سَبَقٌ ، إِلاَّ عَلَى خُفٍّ ، أَوْ حَافِرٍ".

أضف إلى ذلك الاحتفال بختم القرآن(وليس الكلام هنا عن الوليمة)،صلاة التهجّد جماعةً (ولو قلنا هي والتراويح سيّان)كما صرّح به سيدنا عمر بن الخطاب فى الموطأ وقد سبق بله الاحتفال بأسبوع الشيخ ابن عبد الوهاب فى المملكة العربية السعودية والذى لا فرق بينه وبين الاحتفال بالمولد النبوى بعد النية.

فبدليل قول العلماء المورود فى إحياء الشيخ بن فودى(ص 65-69) وكتاب المغير للشيخ الشريف إبراهيم بن صالح الحسينى رحمهما الله(ص 409-430) والذى فيه تجويز هذا الدعاء بالكيفية المذكورة بُعيد الصلوات لا ينبغى التشدّد فى الأمر وجعله ميزانا للتلقيب بلقب "أهل السنة" أو "المبتدعة".ومثل هذا الدعاء بعد دفن الميت مما يثير الغبار أيضا فى

ظروف الجنازة لنفس النزاع وقد شمله كلام الشيخ بن فودى فليراجع فى المكان المشار إليه.وفقنا الله تعالى للهدى.

الدعاء للميت بعد ثلاثة أيام والابتداع فيه

بعد التمهيد على أن الدعاء دبر المكتوبات بهذه الكيفية والجمع على الذكر أو تلاوة القرآن ليست جميعها حسن عند الشافعى وليست بحرام عند شيخه مالك كما سيأتى،فالدعاء فى اليوم الثالث بعد وفاة الميت أو فى السابع أو فى الأربعين أو فى تمام السنة بعد موته بدعة بحسب ما قصد به وانطوى عليه فقط على وفق القاعدة.ومعنى هذا أنه لم يفعله الرسول ﷺ ولا صحابته ولكن لما ثبت أصل الدعاء شرعا ولم يرد نص فى النهى عنه مثله فإن فعله بقصد حسن وشكل جميل يجعله أمرا مقبولاً فى الشرع.

يظهر ما قلناه ما جاء فى الحديث أنه ﷺ رآى رجلا أو سمعه يدعو بدعاء لم يكن علّمه إياه فقال : لقد سألت الله باسمه الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب.(أخرجه أبو داود بأرقام 1493 1494،1495 والنسائى 1296 و 1297)

البدعة فى الدعاء

إننا نكرر قولنا بأنه بدعة مذمومة أن يرمى بعضنا القائمون بمثل هذا الدعاء من لا يفعله بأنهم لا يسالون الله حوائجهم عقب المكتوبات كما يُسمع فى بعض المناطق.فكانت ثمة بدعتان:بدعة من يتهم الفاعلين بمخالفة سنة الدعاء وبدعة من يرمى التاركين بترك سنة الدعاء!وسبحان الله.

والحق الذى لا مرية فيه أن يستقيم كلا الطرفين وينبذ الغلوّ.فقد سمع الفريق الأول–وهم المنكرون –حجة الفاعلين بحيث يوجب الانكفاف من تسميتهم مبتدعة،وليعلم–الفريق الثانى– الفاعلون أن الدعاء له عدة مواضع فى الصلاة:فيدعو المصلى فى الإقامة أو بعدها،وفى السجود،وفى التحية،كل هذه قبل السلام من الصلاة،حتى لا نحصره على ما بعد الانصراف من الصلاة. وأمر آخر لا يلزم من الدعاء أن يدعو الداعى مع الناس فى الجمع،على الرغم من فضل ذلك الوارد فى الحديث الذى أخرجه الحاكم(مرفوعا فى المستدرك برقم 5478 عن حبيب بن مسلمة ولفظه مختصرا:**لا يجتمع ملأ يدعو بعضهم ويؤمن البعض إلا أجابهم الله** الخ) وذكره الشيخ عثمان فى النقل عن الشافعى فى كتاب الإحياء.

فربما دعا المصلى وحده وسأل الله حاجته فى خاصة نفسه حتى خرج من المسجد قبل شروع الناس فى الدعاء الجماعى بقيادة الامام.فليفهم هذا.

من هم "أهل السنة" فى الحقيقة؟

قد كنا وعد بالرجوع لهذا اللقب–أهل السنة–الذى خص به إخواننا أنفسهم واخترت تلقيبهم به خلال هذا الكتاب لحسن الظن.

وأصل هذا اللقب فى بحثى يرجع إلى ما أخرجه ابن أبى حاتم واللالكائى فى سنته موقوفا بسند ضعيف(ففيه مجاشع بن عمرو المتروك) فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال تبيض وجوه اهل السنة والجماعة أو إلى

المروفوع الذى أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد وأورده السيوطى فى الدر المنثور وفيه مالك بن سليمان الهروى وهو منكر الحديث.

وقد كان يلقب به جماعة المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة بمن فيهم الطائفة الصوفية كما تقدم وغيرهم من متّبعى الكتاب والسنة وفقه العبادات بخلاف غلاة الشيعة–لأن معتدليهم أيضا من أهل السنة معناً وإن لم يسمّوا كذلك لفظاً–والمعتزلة والقدرية والجبرية والمرجئة الذين يأتى بعض الحديث عنهم.

وقد تركنا الحديث عن الفرق فى الإعتقاد لشدة النزاع حول المتّبعين للسنة لحين التصنيف الخاصّ فى العقيدة بمشيئة الله تعالى.والمهم أنه لا بأس بالتلقيب بإسم حسن ما لم يكن فى ذلك ظلم لأحد بغض النظر عن التوقيت له.والبدعة القبيحة فى رمى المخالف فى الفهم بلقب سيّء وتلقيب النفس بلقب جميل كما يفعله بعض الناس فى هذا العصر.اللهم إلا إذا كان غيرةً على اتباع رجاءً أو لحسن الظن فلا غبار عليه.

أما أن تزكية النفس فغلو لا يجوز بحال.قال تعالى فى النجم(32): فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى.صحيح أنه ،على الرغم من أخطائهم فى المسائل التى يخوضون فيها،فى المناطق التى لم يتم بلوغ العلم الدينى إليها أو قل العلماء فيها أو لم تشع فيها دعواهم كالمدن:

1–تجد هؤلاء فى الصف الأول من الاجتهاد فى الاقتداء بالسنة فى عبادات الصلاة والصيام وغيرها وتنظيف مواضع العبادة وتزيين المساجد(وإن كان ذلك بدعة كما فى الحديث إلا أن الظروف توجبها)وإحداث أنظمة أو حركات فى الدين كتحسين القراءة ونشر العلم ونحو ذلك.

2-إننى شخصياً أرى قصور العلماء الذين جاءوا بعد الشيخ عثمان وأهله(إن لم ندخل من قبلهم)فى نشر العلم بين الناس فى بعض الأمصار اللهم إلا لمن وصل إليهم للتلقى حتى تركوا فجوة لإخواننا الخائضين فى المدن والقرى لتعليم الناس.

ومع ذلك،فلا يهان بما بذله العلماء فى تلك الأمصار والمعلمون الذين تلقى إخواننا عنهم الدين وتعاليمه فى المدارس التقليدية حتى قاموا بنفس جهودهم المذكورة وإن خرج منهم من خرج إلى دول أخرى للتعلّم.ونسال الله القبول والجزاء الحسن للجميع على ما قدموا من الخدمات لهذ الدين.

وعليه،فمن الشطط أن تدخل نفسك فى عداد "أهل السنة والجماعة" وتصف أخاك بأنه "مبتدع "والحال أنه متمسك بما أنت تاركه كما أنت أيضا متمسك بما قد يفوته من السنن.رزقن الله تعالى الانصاف.

فى كلا الطرفين مبتدع

والذى نوضّحه أن المبتدع الحقيقى من حزب إخواننا هو من أحدث شيئا من البدع المنكرة المذكورة أو سمى أخاه مبتدعا لفعل ما أجازه السلف أو لم يخالف أصول الشرع ونهجهم أو اعتقد هذا التبديع له أو رأى مخالفا لمن يقتدى به من العلماء مبتدعا.

وعلى الصعيد الآخر لا يكون المتبع للطرف الصوفى مبتدعا بمجرد فعل ما لم يفعله السلف أو فعلوه بشكل مغاير ولكن يبتدع بإجبار الناس على ما استحسنه هو أو تلقيب مخالفه بإسم قبيح كتارك الاحتفال بالمولد أو الدعاء الجماعى دبر الصلوات أو بعد دفن الميت

بثلاث أو سبع أو أربعين يوما أو ذكر جماعى بكيفيته المختارة ونحو ذلك من الأعمال.وهذا هو الحق الذى هدانا الله تعالى إليه ونسأله سبحانه أن يوفقنا جميعا لرشده آمين.

الباب الثانى

التوحيد والشرك

وبعد الفراغ من الكلام فى السنة والبدعة وما يتفرع عنهما من النزاع بقدر ما عندنا من الفهم،سندخل فى ساحة أكثر خطرا وأهمية(لشموله مسألتى الايمان والكفر)لنا من كل جهة ألا وهو النزاع أو الجدل فى مفهوم وحدود التوحيد والشرك.

ولكننا قبل الخوض فى هذا نضطرّ حتماً لبعض التعبير عن الشيوخ الثلاثة:الشيخ أحمد بن تيمية،والشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهّاب ث الشيخ أبوبكر محمود جومى، لما كان لهم من التأثير الكثير فى الموضوع على المجتمع الإسلامى من المستوى العالمى إلى غرب إفريقيا ثم إلى دولتنا نيجيريا كما توعّدنا به فى الباب الأول،ليسهل للقارئ فهم الأمور كما هى وليستطيع الإنصاف كما ينبغى.

الإمام أحمد بن تيمية (661- 728 AH)

حياته: اسمه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية،وكان مولودا بدمشق(فى سوريا)سنة 661 هجريّاً ومنتقلا إلى ربه سنة 728 وهو ابن 63 سنة،رحمه الله تعالى.

علمه:لقد بلغ علم هذا الشيخ عند كل من محبيه وخصومه ما يستحق به المرء أن يسمى عالما فى دين الإسلام كما يشهد به تصانيفه وتلاميذه الذى كانوا أعلاما فى العالم

الإسلامى.ولقد تلقى العلم عن شيوخ كبار حتى كان أشهر منهم وكان من تلاميذه أعلام كثيرة منهم الشيخ ابن قيم الجوزية والحافظ الذهبى وابن كثير والعلامة ابن عبد الهادى وغيرهم ممن تأثّر بأفكاره رحم الله الجميع.

فهمه/عقيدته/تعليمه

وهنا نعتذر لأتباعه وأحبابه على سرد ما وقف عليه بحثنا فيه دون ما زيادة ونقصان إن شاء الله.فقد كانت حياته مليئة بالفتن والشغب تجاه العلماء ومعارضيه من صفوف المسلمين وولاة الأمور فى عصره مما أدى إلى حبسه فى السجن مرارا حتى توفاه الله تعالى فى نهاية المطاف مسجونا.

فما كان السبب لنزاع مع العلماء؟ الجواب طويل وبما أننا عهدنا بالاختصار لضيق الوقت والمجال فنذكر نبذةً للقارئ بقدر ما لدينا من الانصاف والاطلاع،رجاء أن يزن الأمور بعلمه وعقله.

من الصحيح كثرة المناوئين لابن تيمية منذ بداية أمره ولكنه أيضا كان مقاوما لأناس كثيرين كان يرى نفسه على الهدى ويراهم على الباطل فى حين أنهم يرونه على الباطل،أو قل:يرى نفسه مسئولا بمقاومتهم وإرجائهم إلى الصراط المستقيم وكانوا يرون أنفسهم مسئولين بهدايته إلى النهج القويم.

فنكرر السؤال:ماذا كان الباعث على نزاعه مع الخصوم ومن كان هو المحقّ بينهما؟

فى نظر هذا المؤلف:لم يكن الصواب حليف ابن تيمية فى أكثر المسائل، وقد يكون محقاً فى بعضها فى البداية إلا أنه للأسف الشديد يتهدر من صوابه أخيرا بدافع المبالغة

والتشدد.وسذكر نماذج فيما يناسبه من المواضع.ولما كان الانصاف والميل للحق عيدا عن التعصب قليلا جدا وصعبا فى أيامنا،يدعى معظم أتباعه إن المناضلين له هم المبتدعة والشيعة مع الصوفية القبوريين كما يسمونهم،ما مفاده أنه هو المحق دائما،وليس كذلك! وهكذا يقول الغلاة من مبغضيه إن المعارضين له هم المحقّون فى جيمع القضايا.وهيهات!

ولم نكن نحن بحمد الله تعالى من الفريقين.بل رأينا ما قاله أحد تلاميذه المنصفين :"وأعدائك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أوليائك فيهم وفجرة وكذبة وبطلة وعور وبقر"(راجع الرسالة الذهبية المسندة للحافظ الذهبى المورودة فى آخر "السيف الصقيل" للعلامة الكوثرى وقبله "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ السخاوى).

والخلاصة أن ابن تيمية رحمه الله كان إماما خادما للاسلام كأحد العلماء ولكن له عدة مشاكل لا نستطيع الخوض فيها فى هذا الكتاب الصغير(وقد توسعنا فيها فى كتابينا "الفوائد" و"الإشارت" الخارجين عن قريب).مثال ذلك أنه كان من تعنته فى الرد على الرافضة انتهى إلى الطعن فى أهل بيت النبى ﷺ كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان(319/6)،وله آراء فى مسائل الفروع والفقه تخالف ما عليه الجمهور ممن قبله ومعاصريه ومن بعده كما نقف عليه فيما نستقبل.

والأمرّ أن منها ما لم يسمع قبله أو سمع ولكنه شاذّ بتقرير العلماء سواء فى العقائد والصفات أو فى التوحيد عموما ولا سيما فيما يجرّ إلى الشرك وهو ما أجبرنا على الحديث عن حياته وكل ذلك مورود فى الباب.وأيضا له آراء خاصة فى فنون علمية وعملية كالتصوف والفلسفة ونحوهما حيث يتشدّد في أصحابهما وربما كفّرهم أحيانا.ولكن لا يخلو كل ذلك من تخبّطات وتناقضات هنا وهناك كما يشهد به من طالع كتبه على بصيرة.

وقد كان–رحمه الله–منتصراً لرأيه ولو عن طريق البتر للكلام وتحريفه لإفحام الخصوم حتى ولو كان الكلام نصا من الكتاب أو الحديث النبوى(قال الذهبي فى موضع من الرسالة:يا ليت أحاديث الصحيحن تسلم منك بل فى كل وقت تغير عليها بالتضعيف والاهدار،أو بالتأويل والانكار..."الخ) أو الوقوع فى أعراض الأكابر أثناء الجدل.وقد صرّح بهذا العلامة الذهبى فى النصيحة الذهبية التى تقدم ذكرها والنقل عنها وفى كتابه "زغل العلم والطلب".والحال–الله يشهد–أننا اضطررنا لذكر هذا تبليغا للعلم فإن انتشار كتبه فى العالم يقتضى تضرّر الطلاّب من الجهل بحقيقة أمره وتأذّيهم منه.

الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهّاب (1115-1206 AH)

وكان لقب "الوهابية" الذى خص بأتباعه مشتقا من اسم والده.ولأسباب عدة لن نضيع وقتنا على اللقب على إشاعته والاختلاف فيه من ناحية إسلامية إلى أخرى ومع إنكاره من بعض الملقّبين به.وبالاختصار،بعد نشأته أمام والده الذى كان عالما حنبليا،كان ابن عبد الوهاب مخالفا لجميع العلماء فى بلده تقريبا.كان أكثر أفكاره موافقة لأفكار ابن تيمية ولكنه حصل على الدعم من قبل الدولة السعودية(وهذا بعد هجرته نتيجة تفاقم الأمور بينه وبين علماء البلد) فسلّ السيف لإجبار الناس على فهمه وفهم إمامه مذهبه ابن تيمية.

ولقد جمع جيوشا للوصول بها إلى قرى للغزو والدعوة إلى ما سماه إخلاص العقيدة(التوحيد)وترك عبادة الصالحين أو قبورهم(الشرك)بحيث تم إهرق آلاف من دماء المسلمين.

فهو بطل مجدد للدين ومحارب للشرك والابتداع عند أتباعه،وسنترك القارئ بما سنورده لاحقا فى المسائل المنقولة من كتبه وكتب شيخه ابن تيمية وسائر من ذهب على فهمهم مع

مصنفات العلماء المتقدمين ليسهل المقارنة وتمييز الحق من الباطل فيما بين قول الموافقين والمعارضين له.

الشيخ أبوبكر محمود جومى(1922-1992 AD)

ويختلف موقفى منه عن موقف كثير من الموافقين له وكذا من موقف المعارضين له.ولما كان ديدن كتابنا هو التصريح بالحق ولو كان مرّاً على حسب فهم الكاتب ولكن بالطريق الأنفع،فلا أحجم عن موافقته فيما أصاب فيه فى نظرى بحجته ومخالفته فيما أخطأ فيه.

هذا وإننى لأشكر الله تعالى على إدراك أواخر حياة هذا الشيخ رحمه الله تعالى.ومما أدركت من أخبار صحيحة عنه وبحثى فى فتاويه أو قرائتى لدروسه ومؤلفاته بل وجميع حياته أدركت أن الشيخ أبوبكر محمود جومى من ولاية زمفرا المتفرّعة عن ولاية سكتو ونزيل ولاية كدونا كلها من شمال نيجيريا قام بخدمات كثيرة لدين الاسلام وأمته كموظَّف حكومى متقاعد وإمام معلّم.

وأيضا كان فى نظرى زاهدا فى الدنيا من حيث جمع الأموال وإن كان النظر إلى وجوه دنيوية أخرى-كالمجد والاشتهار وما أدى إلى غلطاته فى تعليم الدين عن غير الالتفات غلى الظروف المحيطة به قد يفضى لإلغاء ذاك النظر.والحق المنجلى لنا والذى لا يكاد يخطئ من قاله هو:إن أكثر القضايا المتنازع فيها بينه وبين سائر العلماء فى وطنه مبنيّة على تعاليم ابن تيمية والتى أجبر الناس عليها ابن عبد الوهّاب،وهى أفهام لم تزل -كما قلنا- **خاطئة!**

فعلى الرغم من رؤيته معذورا فى الموضع المناسب والتلهّف على ما غلطاته مع حسن الظن به ومن تبعه فيها بقدر ما ظهر لنا من الأدلة،وتقديره من أصرّ على فهمه برؤية نفسه على

الحق ،إننى متأسّف على وجود أناس من تلامذته على نفس ما حاربه الشيخ بدعوته ألا وهو النهى عن اتخاذ عالم –ولو كان هو بنفسه–كنبى منزل عليه الوحي بحيث لا يتطرّق إليه الخطأ.وأقصد بهذا أن ثيرا من أحبابه لا يسلّمون لتغليطه لأسباب ربما انفردوا بمعرفتها.ونرجو ذكر الأمثلة عليه فيما نستقبل.

تمهيد هامّ

وهذا الباب أهمّ من السابق لأن عليه مدار النزاع اللامقطوع حيث يحكم إخواننا "أهل السنة" من جانب بكفر أتباع الطرق الصوفية والشيعة من جانب آخر،نتيجة النظر إلى انحرافهم عن عقيدة التوحيد الصحيحة الخالصة.والطائفتان يرون أنفسهم مظلومين بالتكفير وهم أهل "لا أله إلا الله" إضافة إلى سائر العبادة لله.وهذه الرؤية حقّ ولكن المسلم قد يكفر عن طريق الردّة وهى حجّة المكفّرين للطائفتين.

فبما أن من النزاع نشأ من مفهوم "التوحيد" "والشرك" الذى اختلف فيه الطرفان،سنتناوله بالنقاش من أصله حتى نقف على محور المشكلة.

بين الشرك والتوحيد

الاختلاف فى الفرق بين ما يتكون منه الشرك والتوحيد كما ذكرنا هو ما جرّ إلى تكفير بعض الفرق أو تشريكها لغيرها التى تفعل ما لا تراه شركا ألبتة.فأول الأمر أن نقف على معناهما عند السلف الصالح حتى نزن موقف إخواننا "أهل السنة" من موقف غيرهم للوصول لنقطة الخلاف.

التـوحيد

التوحيد لغة هو "الافراد".

وشرعاً إن قصدنا به علما أوفناً فهو "العلم الذي يعلم به العبد ما يجب عليه معرفته فى ربه من أسماء وصفات واجبة أو جائزة أو منفية فى حقه تعالى إلى أفعال وغيرها مما أوجب عليه ربه التصديق به".وإن أردنا عقيدة فهو "إفراد الله تعالى فى قدرته على الخلق وتدبير خلقه وسائر أفعاله والذى يوجب وحدانيته واستحقاقه العبادة مع تصديق ما جاء به رسله".وقد عرّفه ابن حجر "بانتفاء التشبيه لخلقه أو تعطيله عن صفاته أو وجوده" سبحانه وتعالى.

العبادة

العبادة لغة هى منتهى الخضوع.

وشرعاً تأتى بمعنى "العبادة" فتفيد "الخضوع والتذلّل بقصد العبادة للمعبود"،وكذا تأتى بمعنى العمل المعبود به كالصلاة والصيام ونحوهما.ولا تصح العبادة إلا لله وحده كما قرره العلماء منهم اللغويون.وعليه فمن قصد بها غير الله تعالى كان "**مشركا**" بالله.

تنبيه: محض العبادة تختلف عن **العبادة العامّة**. فالأولى هى مثل الصلاة والصيام والحج التى لا تفعل أبدا إلا لله(لا تنس قولنا: إن العبادة هى منتهى التعظيم والخضوع)وهى وإن كانت لا تصح (لله عبادة) إلا بالنية،فلا يمنع من كونها شركا إذا صرفت لغير الله.فمن صلى أو ركع أو خرّ ساجدا(سجود الصلاة) لغير الله فقد أشرك ولو ادعى فعل ذلك لله تعالى.

والثانية كالقيام للتعظيم أو الانحناء عند التحية أو تقبيل رجل أو بقعة (ولو كان الحجر الأسود لأن الأمر لا يغير حقيقة العمل فى ذاته وإنما يغيّر نتيجته) بقصد عبادة الرجل أو المكان فكلها شرك إلا أن الحكم بتشريك فاعله لا يثبت إلا بعد علمه وإصراره عليه.

أقسـام التوحـيد

والمقصود من هذا أن مفهوم التوحيد ينقسم من حيث ما تعلق به،لا أنه ينقسم ذاتيًّا ،وسوف نصل إليه عند أقسام التوحيد فى منظور أهل السنة.

1-**توحيد الذات** المقدّسة:وهو الايمان بوحدانية الله تعالى وانتفاء شريك له فى كل حال أو صاحبة أو مولود أو والد أو نحو ذلك له كما تفيده سورة الاخلاص والآياتان :**فاطِرُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَمِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11 من سورة الشورى)و :لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ) (4 من الزمر)**

2-**توحيد الخلق**:وهو الايمان بانفراده تعالى بخلق ما سواه من غير أسمائه وصفاته من ملائكة وإنس وجن وبهائم وجميع ما فى الدنيا والآخرة.فالآية (102) من سورة الأنعام تقول : **(ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)**

ومن الرعد: **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (16)** ومن غافر: **ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ**

إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(62) ومن فاطر :أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(3).

3-**توحيد الربوبية**:وهو الايمان بوحدانيته فى إجراء الأمور فى الدنيا والآخرة بخلاف ما يراه الطبيعيّون كما فى الآيات الآتية فى يونس : إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (3) وفى الرعد: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) ومن النازعات :فَالْمُدَبِّراتِ أَمْرًا (5)

4-**توحيد التشريع**:وهو الايمان بوحدانية الله تعالى فى استحقاق التشريع لعباده فى حياتهم وعبادتهم له واتباعهم كل ذلك ما أمكن.وفى المائدة قوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)وقال فى نفس السورة : إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (44) وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) إلى قوله: وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (47)

5-**توحيد الطاعة**:ومعناه التصديق بأنه تعالى انفرد بوجوب الطاعة له فى جميع أوامره ونواهييه وفى جميع الأوقات والأحوال.وإنما يطاع الرسول وسائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والعباد الصالحين بأمره تعالى،ففى سورة البينة قوله تعالى: **وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)** وقال أيضا فى النساء: **وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً (64)**.

6-**توحيد الملك**:وهو الايمان بانفراده تعالى بملك العباد جميعهم،ولو كان ملك فى الأرض فإنما هو نائب له فى ذلك كا أفاده الآيتان-الأولى فى الأنعام: **قُلْ إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ (57)** والثانية فى يوسف: **ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (40)**.

7-**توحيد العبادة**:وهو وإن كان الأهمّ والأدلة عليه أكثر،إلا أنه منبع الخلاف بين "أهل السنة" وسائر المسلمين حتى أدّى ذلك إلى التكفير.وعدم التمييز بين "العبادة" التى يسمىّ تخصيصها لله تعالى توحيدا وصرفها لغيره أو إشراكه فيها مع الله سبحانه يشكّل شركا هو عين المغالطة.

ففى الرعد قوله تعالى: **قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ (36)**("التوحيد والشرك" للشيخ جعفر السبحاني مع تصرفات من عندنا).

تنبيه:قولنا إن التوحيد لا ينقسم ذاتيًّا مبنى على أن فقد جزء من أجزائه يُخلّ بصحة الايمان،كما أن العبد يكفر بارتكاب أى جنس من الكفريّات مما هو خارج عن المعذور- كالجهل ونحوه –وكما هو مبسوط فى محلّه.فالنوع الرابع المتقدّم،يكون مخالفه معذورًا ما لم يعتقد بفعله التكذيب أو يقترن به(أى أن نظام غير الله تعالى أفضل) كما هو حال أكثر الأمة الاسلامية اليوم.

الشرك والكفر

يتحد الكفر والشرك من حيث مآلهما إلا أن الشرك وسيلة إلى الكفر وهو منقسم كالآتى.

تقسيم الشرك من حيث أسبابه:

1-**شرك الاستقلال**:هو الايمان بأن لعبد أو شيء ما (كصنم)قوة ذاتية للتأثير لإيجاد فعل أو نفع أو تنفيذ فيعمل بنفسه استغناء عن الله تعلى أو يشترك فى فعله وتأثيره مع (قوة)الله،ومثال الواقع فى هذا النوع من نفى وجوده سبحانه أصلا.

2-**شرك التّبعيض**:وهى اعتقاد جواز انفصال شيء أو جزء من ذاته المقدّسة بفرضه سبحانه جسما مركّبًا وهو شرك آخر كما يقتضيه نسبة الابن أو البنت له تعالى عن كل ذلك.ومثال الواقع فيه اليهود والنصارى.

3-**شرك التّقليد**:وتشل جميع أنواع الشرك إلا أن صاحبه يقتدى بأسلافه من أجداد وآباء وسائر المتقدمين.وهو وارد فى تواريخ كثير من الأنبياء وكفارهم،وإن كانوا فى شرك آخر فهذا شرك مستقلّ بنفسه.

4-**شرك التّقريب**:ومن العجيب أنه عمدة إخواننا "أهل السنة" فى تكفير سائر المسلمين كما يأتى.وهو شرك عبادة غير الله تعالى عن طريق السجود أو الذبح له أو رؤية قدرته على الشفاعة عند الله.ولو كانت الشفاعة طلب شيء أو نفع لعابده من الله.ومثال الواقع فيه كفار مكة كما فى سورة الزمر عند قوله تعالى:(**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**) (3).

فالواقع فى الأنواع الأربعة السابقة مشرك وخارج عن دين الاسلام.

5-**شرك التّأثير والأسباب**:وهو الايمان بتأثير شيء نافع كالدواء على المرض والطعام على الجوع وما أشبه ذلك.فإن اعتقد العبد أن شيئا من ذلك يتأثر بقوته النفسية كفر،وإن رآه فاعلا بقوة أودعها الله فيه فسق وكان ضعيف الإيمان.والاعتقاد الصحيح أن الأسباب لا تقضى الحاجات بحال أبدًا،وإن الذي يقضيها هو الله سبحانه إذا شاء عن طريق هذه الأسباب.

6-شرك الأغراض:وهو شرك العمل لطلب مرضاة غير الله أو طلب الجزاء منه من ملك أو أجر مالّي أو مدح ونحوه،وهو الرياء بتعبير آخر.وننبه هنا على أنه على الرغم من تعريف العبادة بأنها "العمل المقصود به وجه الله" فإن العمل مقرونا بمثل هذا القصد لا يشكّل شركا مخرجًا عن الملّة.وإنما يصير به فاعله فاسقا("برآءة الأشعريين" بزيادات منا).

7-**شرك التّهاون والتّدنيس**:وزدت هذا النوع السابع الذى اشتهر به السحرة بحيث يخلط آيات من الكتاب أو نفس المصحف أو أسماء لله تعالى ببعض القاذورات أو يلعب بها تهاونا

بقصد الحاجات.ففاعله كافر مرتد بلا مثنوية ولا سيما مع قول العلماء بكفره ولو ادعى قصدا غير التهاون لفعله.

تقسيم الكفر من حيث مخرجه

ينقسم الكفر إلى ثلاثة أقسام من حيث خروجه:

1-**الكفر الاعتقادى**:وهو إضمار أن يكون لله نقص فى (ذات) أو صفة أو إسم أو فعل كالعجز والنسيان والجهل ونحوها،أو حتى جحود صفة ثابتة له ولكن لا كما يتفوّه به إخواننا كما سنورده.

2-**الكفر القولى**: وهو التلّفظ بألفاظ قبيحة كتسمية أحد ابنا أو أختا لله سبحانه أو كسب نبيّ أو ملك.

3-الكفر العملى:وهو ارتكاب فعل مكفّر كإلقاء المصحف أو شيء مقدّس فى النجاسة عمدًا أو وطأته أو شد الزنّار أو تعليق الصليب على عنقه.

تنبيه:النوع الأول هو المتقدم غالبا فى الحكم على النوعين الآخرين،ولذا يعذر من تلفظ بلفظ مكفّر عند:

1-حكاية قول أحد فى ظروف الحاجة

2-التلفّظ به فى حين زوال العقل

3-التلفّظ به عند سبق اللسان

4-التلفّظ به فى حالة الاكراه(قال تعالى:إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان:النحل:106)

ومن تلفّظ بما هو مشترك بين الكفر وغيره لا يحكم بكفره حتى يصرّح بالمعنى المفيد للكفر.

تقسيم الكفر من حيث أنواعه

1-كفر التّشبيه:وهو تشبيه الله تعالى بمخلوقاته كتجسيمه ونسبة معنى جسمى أو صفة جسمية،وهذا يُنبّه فاعله بسرعة ليرجع عنه.فإن رجع وإلا حكم بكفره.

2-كفر التّكذيب:وهو يشمل جميع التكذيب لكلام الله تعالى عن طريق كتبه ورسله كالقيامة والجزاء ونحوهما.

3-كفر التّعطيل:وهو جحود أو إنكار صفة من صفاته الثابتة.ويحدث الأقسام الثلاثة فى القلب واللسان معًا("الصراط المستقيم فى التوحيد" مع تصرف منا).

تقسيم الكفر الثانى

ويختلف هذا عما سبق لمن تأمّله.

1-**كفر الإنكار**:ويجحد صاحبه وجود الله تعالى بقلبه ولسانه فضلا عن توحيده.

2-**كفر الجحود**:وصاحبه قد يقر بوجود الله تعالى وربوبيته ولكن لا ينطق بكلمة الشهادة.ومثاله إبليس وأمية بن الصلت.

3-**كفر المعاندة**:وصاحبه قد يقر بوجود الله تعالى بالقلب واللسان ولكن لا يعبده(كأبى جهل ونحوه).

4-**كفر النّفاق**:وصاحبه يقر باللسان ويكذّب بقلبه.ومثاله جميع المنافقين فى عصر النبي ﷺ.

التوحيد عند إخواننا "أهل السنة"

قد كنا وعدنا بالوصول لنقطة الخلاف من أصل مادّة التوحيد إلى فروعها فيما بين إخواننا المشتهرين بـ "أهل السنة" وسائر المسلمين بمن فيهم الطائفة الصوفية والشيعة الجعفرية.

للتوحيد ثلاثة أقسام

فى نظر إخواننا من الأقسام توحيد الربوبية ومعناه:انفراده تعالى بخلق العباد وتدبير الخلق أجمعين.ويقولون إن الكفار السابقين ومنهم كفار مكة فى زمن النبي ﷺ كانوا عليه ولم يكونوا به مؤمنين.والدليل-كما قالوا-أنهم فقدوا القسمين الآخرين المبعوث بهما الأنبياء لتعليم الناس.فالايمان بتوحيد الألوهية الذى يفيد وحدانية الله تعالى فى استحقاق العبادة واقترانه بالقسم الآخر-توحيد الأسماء والصفات-هو ما يصيّر العبد كامل الايمان.

فعقيدتهم أن كثيرا-أو أكثر المسلمين-فى الشرك بالله تعالى لأن توحيدهم مقتصر على الربوبية وهو الايمان بقدرته على الخلق والتدبير دون الألوهية مما جعلهم فى صفّ واحد مع الكفار السابقين!ولذلك-على حد قولهم-يدعون غير الله عند الاستغاثة والتوجّه إليهم بأنواع العبادة التى لا يقصد بها إلا الخالق سبحانه كالذبح والسجود والنذر لقبور الصالحين...

منشأ احتجاجات "اهل السنة"

وهذه الاحتجاجات منبعها ما جاء فى مجموع الفتاوى(71/1 فى نسخة) لشيخ الاسلام(ذكرت فى "الاشارات" أن أول من لقّب بهذا اللقب فى تاريخ الاسلام هو أبو إسماعيل الهروى نقلا عن الحافظ ابن حجر)أحمد بن تيمة ومجموعة التوحيد وكشف الشبهات وغيره من كتب الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب والتى تدعى "أن المشركين فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم أقروا بالربوبية لله تعالى ولكن لم يكُفّ عن قتالهم ولا عن تحليل دمائهم..." ويضيف ابن تيمية قائلا "إن عبّاد الأوثان أو آلهة أخرى فى ذلك العهد لم يروها خالقة أو رازقة،وإنما يطلبون شفاعتها عند الله".وقد قال هذا أيضا الشيخ ابن عبد الوهاب.وحجتهما ما فى قوله تعالى فى سورة يونس: **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (31)**.والزمر : **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ (3)**.

ملحوظة هامّة:

إن الشيخين هاهنا بصدد الرد على ما أجاب به العلماء وهو قولهم: إن كثيرا من أولئك الكفار لم يكونوا مؤمنين بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والإرزاق على الرغم من تصديقهم بربوبيته،فكان جوابهما بما تقدم.

توحيد إخواننا "أهل السنة" فى الميزان

إننى أولا أسال الله التوفيق لتصنيف كتاب فى توحيد الأسماء والصفات باللغة العربية(وقد وفّقنى الله لذلك قبل هذه الترجمة بتأليف "العمدة فى العقيدة" يسّر الله طبعه).فإن أخطاءهم هنالك أفحش إذ بلغت لحدّ تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه كالناس والدّوابّ مما لا يمكن ضرب المثال عليه.

وبعد ذلك،لقد نفى كثير من الناس سلفا لابن تيمية فى تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وقسم ثالث،وكان ذلك عندى لعدم الوقوف عليه فى جانب،وفى آخر ربما لخطر التقسيم المؤدّى لتكذيب القرآن فى آخر المطاف كما يأتى.والحق أنه وجد إشارة أو تصريح بتقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية من علماء قبل ابن تيمية وإن كان الفرق واضحاً بين قولهم وموقفه!

وثانيا،كما تقدم،التوحيد فى ذاته جزء لا يتجزّأ بحال من الأحوال،ولكنه قد ينقسم بحسب ما يتعلق به.

ثالثا،نفهم من كلام الشيخين الأخير أنهما قاما بتصحيح ما فى تعريف الربوبية ،حيث أدخلا فيه "الخلق" و "التدبير" كما سنورده.

رابعا،من الصحيح أن الذى ثبت ربوبيته هو المستحق للعبادة،وأن بعض المقرّين له بها قد يعبد شيئا غيره كحال طائفة من الكفار،أو يعبده مع غيره أو يقرّ له مع غيره بالربوبية،وسيأتى التفصيل لكل هذا.

الفرق الأول

نرى أن إخواننا لم يُتقنوا فى تعريف الربوبية ومفهومها بحيث جعلوا الخلق والتدبير شيئا واحدا.ومع أن الشيخين حدث لهما تغيير فى الرأي فإنهما كالمتّبعين لهما على تلك التسوية فى مواضع كثيرة!ونحن نقول هما أمران متغايران،فإنه وإن سوّى بينهما آيات فقد فرّق بينهما أخرى!

الفرق الثانى

يقول إخواننا إن الآيات التى تخاطب الكفار تذكّرهم بعقيدتهم وما هم عليه فى حين يرى سائر المسلمين أنها تتحدّاهم عليها (أو ترد عليهم دعواهم) وتحذّرهم منها كعقيدة شنيعة كما تجدها تأمر النبى بأن يتحدّاهم عليها.فآية **مريم ويس** و**الأنبياء** على الترتيب مثلا تقول: **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81)**

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43).وهلم جرًّا(وانظر أواخر الخطاب فى الجميع).

الفرق الثالث

وقبل التدليل على خطأ "أهل السنة" من العلماء المذكورين إلى زملائنا فى الداخل والخارج فى مفهوم الربوبية،نحتاج لاظهار خطأهم كما أثبته البحث العلمى فى جمع الأدلة على الشرك ومعرفة أنواعه وكذا تاريخه فى العصر الجاهلى والذى جرّ إلى غلطهم أخيرًا، سنتّبع وجوه احتجاجاتهم بالآيات التى تمسكوا بها من القرآن فى ذلك.

أولا،ينبغى أن نعلم تنوّع الشرك الذى كان الكفار يرتكبونه فى العصور الجاهلية وعصور أنبيائهم،فمنهم من اختصّ بنوع منها،ومنهم من جمع أنواعا كثيرة.ومن ذلك الايمان بتعدد الآلهة ،ومنه الشك بين ثبوت وجود الإله الحق وعدم وجوده، ومنه اعتقاد وجود آلهة مستعان بها،ثم اعتقاد أنها تشفع عند الله كما قال تعالى فى الزمر: **قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44)**.

حكم إقرار الكفار

بالنظر الدقيق فى معانى الآيات والأحاديث المتحدّثة عن التوحيد والشرك يظهر غلط إخواننا "أهل السنة" فيما فهموه تجاه النزاعات مع سائر المسلمين فى هذا الباب أصلا.
والسبب أنه فاتهم دافع إقرار الكفار فى خطاباتهم مع الرسل كما يحكيه القرآن الكريم.فقالوا إن إقرارهم بأن الله تعالى هو الخالق المنزل للمطر والمميت المحيي وغير ذلك من أفعاله هو توحيدهم فى الربوبية!والذى لم يمنع من كونهم مشركين!
والحال أن إقرارهم كان على أنواع ولأسباب متعددة.
1-فبعض الآيات تخاطب صنفا خاصًّا من الكفار وعقيدتهم،وليس جميع أصنافهم.ومن هذا النوع الآية التى يرمى بها إخواننا المسلمين بالشرك فى أكثر الأوقات وهى فى **الزمر (3)**.
قال السيوطى فى الدرر المنثور (**211/7 و 633/12**):**وأخرج ابن جرير من طريق جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما {والذين اتخذوا من دونه أولياء} قال : أنزلت في ثلاثة أحياء ، عامر وكنانة وبني سلمة ، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون الملائكة بناته ، فقالوا {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}**.

وأخرج عَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير ، وَابن المنذر عن مجاهد ﷺ في قوله {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} قال : قريش يقولون للأوثان ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزيز.انتهى.

2–وصنف يقرّون بذلك دفاعا عن النفس وفرارا من التحدّيّات من قِبل الأنبياء المجادلين لهم وليس إيمانا بربوبية الله،ولذلك يكذّبهم تعالى فى آخر الخطاب بقوله: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**).

3–وصنف يقرّون حقا إلا أنهم فى نفس الوقت يؤمنون بألوهية آلهة صغار أخرى على أنها تتنصرهم فى الدنيا وتشفعهم فى الآخرة،إضافة إلى نسبتهم لله إبنا أو عبادتهم الملائكة.

4–وأيضا قولهم "**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**" (**الزمر:3**) "كان فرارا من الذّمّ على نسبة النقص لله تعالى بجعل شريك له سبحانه.وإن شئت قلت:جميعهم منطوون على هذه العقائد ومتّصفون بهذه الصفات إلا أن الآيات تحكى بعضها هنا وتذكر أخرى هناك،كما يصرّحون به كلما قوبلوا بالاحتجاج.

مغالطة "أهل السنة" فى الربوبية

والآن نرى مواقع خطأهم فى مفهوم الربوبية بالأدلة فى الآيات التالية.

1–أولا،كما قلنا،لم يكن شرك المشركين فى الجاهلية على نوع واحد.أى ليس كل من أقرّ بأن الله تعالى خالق يصدّق بأن المنفرد بتدبير الأمور فى الدنيا.فحينما تثبت آية الزخرف: **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** (**87**) إقرارهم بالربوبية،أفاد حديث البخارى (1038) ومسلم (71–73) أنهم مؤمنون بقدرة النجوم على إنزال المطر.وهاك نصه: **عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – صَلاَةَ الصُّبْحِ**

بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ » . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِى وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » . (أطرافه 1038 ، 4147 ، 7503 – تحفة 3757).

2–قد روى ابن هشام فى لقاء عمرو بن لحى مع الكفار فى الشام حتى طلب منهم وأعطوه صنم "هُبل" مما كانوا يعبدون ويسألون المطر كما فى سيرته (1/94-95 و 2/202).

3–وأيضا نفهم إيمان الكفار بقوة الأوثان على الإضرار والتى هى أيضا من ضمن الربوبية من قوله تعالى فى الزمر: **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ(36).**

قال العلامة القرطبى فى تفسيرها:**قوله تعالى:" وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ" وذلك أنهم خوفوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضرة الأوثان، فقالوا: أتسب آلهتنا؟ لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك أو تصيبنك بسوء. وقال قتادة: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس. فقال له سادنها: أحذركها يا خالد فإن لها شدة لا يقوم لها شي، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس. وتخويفهم لخالد تخويف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه الذي وجه خالدا. ويدخل في الآية تخويفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكثرة جمعهم وقوتهم، كما قال:" أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ" [القمر: 44]" وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ" تقدم." وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ" أي ممن عاداه أو عادى رسله.اهـ.**

وقال فى بعد كلام :**قوله تعالى:" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ" أي ولين سألتهم يا مُحَمَّد" مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" بين أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بإلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض." قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ" أي قل لهم يا مُحَمَّد بعد اعترافهم بهذا" أَفَرَأَيْتُمْ" إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ" بشدة وبلاء" هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ" يعنى هذه الأصنام" أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ نعمة ورخاء" هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ" قال مقاتل: فسألهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسكتوا. وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئا قدره الله ولكنها تشفع. فنزلت" قل حسبى وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعنى فسيقولون لا (أي لا تكشف ولا تمسك) «1» ف" قُلْ" أنت" حَسْبِيَ اللَّهُ" أي عليه توكلت أي اعتمدت و" عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ" يعتمد المعتمدون. وقد تقدم الكلام «2» في التوكل.**انتهى.

وقال البغوى:**{ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ معرة الأوثان. وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } .**

وفى زاد المسير :**خُوِّفونَكَ بالذين مِنْ دونِهِ } أي : بالذين يَعْبُدون مِن دونِهِ ، وهم الأصنام .**

ثُمَّ أَعْلَمَ بما بعد هذا أن الإِضلال والهداية إليه تعالى ، وأنه منتقم ممن عصاه ، ثم أخبر أنهم مع عبادتهم ، يُقِرُّونَ أنه الخالق . ثم أمر أن يُحْتَج عليهم بأن ما يعبُدون لا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرٍّ ولا جَلْبَ خَيْرٍ انتهى.

وقد ذكر الطبرى قصة خالد السابقة فى كلام القرطبى رحمهما الله(24/9).

4–وفى الاصابة (664/7):كانت زنيرة رومية فأسلمت فذهب بصرها فقال المشركون أعمتها اللات والعزى فقالت إني كفرت باللات والعزى فرد الله إليها بصرها وأخرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من رواية زياد البكائي عن حميد عن أنس قال قالت لي أم هانئ بنت أبي طالب أعتق أبو بكر زنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما يغني اللات والعزى ولا ينفعان فرد الله إليها بصرها انتهى.

كل ما سبق ذكره يؤيد قولنا بتغليط من قال إن الكفار فى الجاهلية وفى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا على توحيد الربوبية أى أن الله هو الخالق النافع المضر المدبّر،وإنما فقدوا التوحيد فى الألوهية!

5–كانوا ينسبون الله تعالى البنات فى أكثر الأحيان والابن فى بعضها،وهو شرك واضح فى الربوبية.ففى آيات النحل: **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (57).**

قال القرطبي **قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ) نزلت في خزاعة وكنانة، فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات. (سُبْحانَهُ) نزه نفسه وعظمها عما نسبوه إليه من اتخاذ الأولاد.**انتهى.

وفى مريم:**وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (89) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً (91) وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً (92)**

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً(93).

وفى البقرة: وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (116)

قال القرطبى :فيه خمس مسائل: الاولى– قوله تعالى:" وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً" هذا إخبار عن النصارى في قولهم: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. وقيل عن اليهود في قولهم: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وقيل عن كفرة العرب في قولهم: الملائكة بنات الله. وقد جاء مثل هذه الاخبار عن الجهلة الكفار في" مريم «1»" و" الأنبياء «2»".انتهى.

وقال البغوى:[وقالوا اتخذ الله ولدا] (1) نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: "عزير ابن الله" وفي نصارى نجران حيث قالوا: "المسيح ابن الله" وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله (2) { سُبْحَانَهُ } نزه وعظم نفسه.انتهى.

وفى يونس: قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (68)

وفى النجم:أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى (22) ثم أردف بقوله: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى(23).

فنسبة الابن أو البنات لله تعالى تنفى الربوبية للاشتراك فى الشبه والملك كما أفاده تفاسير القرطبى(121/10)والنسفى(142/2)والآلوسى(90/18)و مجموع الفتاوى(15/17)والشوكانى(587/3)والقرطبى(134/12-135) أيضا.

إذًا، لم يكن مشركو اليهود والنصارى وقريش مكة على توحيد الربوبية كما ادّعاه ابن تيمية وابن عبد الوهّاب وأتباعهم!

6-لم تكن صفة الارزاق خاصّة بالله تعالى فى اعتقادهم.ففى العنكبوت: **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17)**.قال القرطبى: **أي أصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله فإياه فاسألوه وحده دون غيره. (وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ)**.

7-كان المشركون معتقدين أن الآلهة قادرة على نصرهم وشفاعتهم عند الله كما فى هود : **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54)** ومريم: **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81)**.ففى الجلالين:

واتَّخَذُوا" أَيْ كُفَّار مَكَّة "مِنْ دُون اللَّه" أَيْ : الْأَوْثَان "آلِهَة" يَعْبُدُونَهُمْ "لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا" شُفَعَاء عِنْد اللَّه بِأَنْ لَا يُعَذَّبُوا انتهى.

8- ليس لقوله تعالى فى المؤمنون :**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91)**والأنبياء: **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)** والإسراء: **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)**معنى إلا الرد على دعوى الربوبية فى الآلهة. قال ابن كثير تحت الأولى:ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك، فقال: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا

لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } أي: لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود.انتهى.

ومن الواضح أن الكلام فى الربوبية،أى لو قدّر أرباب وخالقون متعدّدة لااصطدموا فى تدبير العالم بمخالفة بعضهم بعضا فى القصد والتنفيذ والكل قادر،سبحان الله وتعالى عما يصفون.

9-والآيتان فى الروم ترد على دعوى الربوبية فى الآلهة أو تدبيرها ومن ثم ضرب المثال فى الثانية أى أن الله تعالى أجدر بأن لا يكون له شريك فى الملك:**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28)**.

10-ودلت أيضا آية الاسراء على شركهم فى الربوبية بقوله تعالى:**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)**.والأمر فيها واضح جليّ.

11-فأول خطأ إخواننا هو نسبة التوحيد فى الربوبية لكفار مكة ولم يكونوا على شيء منه كما رأينا،لأنهم أقرّوا بجزء منه فحسب.وثانيا،متى ما ثبت التوحيد فى الربوبية فبالتالى يحصل الألوهية ولذا أخذ الله الميثاق من بنى آدم بلفظها كما فى سورة الأعراف: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)**.وأيضا لذلك يسأل الميت فى القبر بلفظها كما أخرج البخارى فى الصحيح بدون لفظ "الرب":

ولكن عند مسلم: **5117 – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ**

{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ }

قَالَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ.

والترمذى(3411) أيضا: **– حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلاَنَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنِى عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثِدٍ قَالَ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ عَنِ الْبَرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فِى قَوْلِ اللَّهِ (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ) قَالَ « فِى الْقَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.**انتهى.

12–ملحوظة:كلمة "الرب" تفيد لغة "من يربّى،مالك،صاحب الشيء،مصلحه أو القائم به".قال فى القاموس المحيط(111/1): **الرَّبُّ بِاللامِ : لا يُطْلَقُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وقد يُخَفَّفُ...ورَبُّ كُلّ شَيْءٍ : مالِكُهُ ومُسْتَحِقُّه أو صاحِبُهُ ج : أرْبابٌ ورُبُوبٌ** انتهى. ولكن توسّع القرآن في معناها فى مختلف الآيات.فبدون هذا التفريق نقع فى تغليط كتاب الله تعالى يوما ما –ولا سمح الله–فى مثل سور آل عمران: **قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)** وأيضا :**وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا**

الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) وفى يوسف: **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)**والأعراف: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ (172)**.لاحتمال أن نستشكلها.وسبحان الله العظيم.

الأولياء والشفعاء

ومن العجيب أن كثيرا مما يعتمد عليه إخواننا من الآيات فى تكفير المسلمين المخالفين لهم – أى الآيات المتحدثة عن اتخاذ الأولياء شفعاء– هى بنفسها حجة على عدم توحيد المشركين فى الربوبية! فكما نرى إن كلمة "الولي" أو "الشفيع" لكليهما معنى إيجابى وسلبي فى الكتاب العظيم. فآيات الزمر: **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ(3)**.والعنكبوت : **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)**
والأعراف(**196–197**): **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**.وغيرها مما لا مجال لسرده هنا تفيد أن من الشرك اتخاذ وليّ مستقلٍ بقوته أو نافع وضارّ كما تقدم التفسير.فلو تأمّلنا هذا الرد على لسان أنبيائهم لوجدنا دليلا على شركهم فى الربوبية!فكيف كانوا على توحيد الربوبية؟

ومن جانب آخر،يثنى الله تعالى على الولي الحسن فى مثل النساء: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً (144)** والتوبة: **الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)** والأنعام: **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14)**.

فكان المفهوم من النهي عن اتخاذهم فى النساء هو الأمر به فى التوبة وغيرها من المواضع.

والمغالطة هى أولاً أن الآيات تفيد عدم توحيد المشركين فى الربوبية وثانيًا أن الكلام فى الأولياء المعبودين أو الناصرين المزعوم قدرتهم.

الشفعاء

فكلمة "الولي" تكون "إلها" كا "الشفيع" فتضم الشرك وتأتى أيضا بمعنى "الشفيع المأذون له بالشفاعة من الله" فحينئذ لا يكون المعنى سلبيًّا ولا يكون من اتخذه مشركا.ولا إشكال إذا أتت سورة البقرة والأحقاف بكلمة "الشهداء" :**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (23)** و"قربان": **فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْباناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذلِكَ إِفْكُهُمْ وَما كانُوا يَفْتَرُونَ (28)**بدلا من "شفعاء" لأن الثلاثة بمعنى واحد.وكلها تفيد الأصنام كما فة تفسير البغوى وزاد المسير وهلم جرًّا.

وجاءت كلمة "الشفيع" فى سورة غافر : **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)** والزمر: **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ قُلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ (43).فكلما جاء النفي المطلق فمعناها "الآلهة" أو "ألأولياء"(الناصرون) عند الله.يراها المشركون شفعاء ولو بدون إذن ويقرّبونهم من الله ومن ثم رد الله عليهم بالآيتين السابقتين فى البقرة والأحقاف.**

وأيضا تأتى الشفاعة الشرعية فى الآيات التى تنفى الشفاعة مستثنية بمن أذن لهم كما فى يونس: **انَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3)** ومريم: **لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (87)** والنجم: **كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى (26)**وسبأ: **وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23)** ونحوها.

ونلاحظ أنه متى ما اقترنت كلمة "الولي" مع "الشفيع" فالمعنى "الذى يشفع بقوته وقدرته عند الله" وهو المنهي عن اتخاذه.كما فى الأنعام: **وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51).**

تنبيه:لم نقتصر على المعنى اللغوى لكلمة "الولي" و"الشفيع" لأن البحث أمامنا واسع.وثانيا،سنرجع إلى موضوع الشفاعة وكونها شركا أو عدمه سواء كان الشفيع والمشفّع فى دار الدنيا أو الآخرة.

ابن جرير والألوهية

صحيح أن الامام ابن جرير الطبرى مال فى تفسير آية البقرة إلى إقرار الكفار بالربوبية عند قوله تعالى: **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)**

بقوله بعد كلام:**حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد:"وأنتم تعلمون"، يقول: وأنتم تعلمون أنّه لا ندّ له في التوراة والإنجيل** (2).

قال أبو جعفر: وأحسِب أن الذي دَعا مجاهدًا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دُون غيرهم – الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أنّ اللهَ خالقها ورازقها، بجحودها وحدانيةَ ربِّها، وإشراكها معه في العبادة غيره. وإنّ ذلك لَقولٌ! ولكنّ الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحدانيته، غير أنها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها، فقال جل ثناؤه:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة الزخرف: 87]، وقال:(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) [سورة يونس: 31].

فالذي هو أولى بتأويل قوله:"وأنتم تعلمون" – إذْ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانِيَّة الله، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم، نظيرَ الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين، ولم يكن في الآية دلالة على أنّ الله جل ثناؤه عني بقوله:"وأنتم تعلمون" أحدَ الحزبين، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامٌّ للناس كافةً لهم، لأنه تحدَّى الناس كلهم بقوله:"يا

أيها الناس اعبدُوا ربكم" – أن يكون تأويلُهُ ما قاله ابنُ عباس وقتادة، من أنه يعني بذلك كل مكلف، عالم بوحدانية الله (1) ، وأنه لا شريكَ له في خلقه، يُشرِك معه في عبادته غيرَه، كائنًا من كان من الناس، عربيًّا كان أو أعجميًّا، كاتبًا أو أميًّا، وإن كان الخطابُ لكفار أهل الكتابِ الذين كانوا حَواليْ دَار هجرة رسول الله ﷺ، وأهل النفاق منهم، وممن بينَ ظَهرانيهم ممّن كان مشركًا فانتقل إلى النفاق بمقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم .انتهى كلام الطبرى وليس حجة فى الحقيقة لمن قسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فضلا عمّن أثبت لكفار مكة الايمان بربوبية الله كما سبق تفصيله.(الخلل الوهّابى فى فهم التوحيد القرآنى بتصرّفات منا).

تكميل

فإذا كان القارئ معنا اتّضح له أن المشركين على تنوّعهم فى عصر النبي ﷺ أقروا فقط بجزء من الربوبية ومع ذلك كانوا يعبدون آلهة أخرى اعتقدوها قادرة على أفعاله سبحانه قال تعالى : **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)**

ملحوظة

لقد اعترف بقولنا صاحب "القول السديد فى الرد على من أنكر تقسيم التوحيد" ص 87 كما أورده الدكتور محمود سعيد ممدوح فى "كشف الستور عما أشكل من أحكام القبور" ص 36.وسنشرع الآن فيما يعوّل عليه إخواننا فى تكفير المسلمين المخالفين وهى أفعال تشكّل فى نظرهم وسائل للشرك المخرج عن الملة وهى :التبرّك،والتوسّل،والاستغاثة،والذبح والنذر للقبور،والبروك مع غاية التبجيل عند التحيّة ونحو ذلك من المبالغة فى توقير الأكابر

وشرب المكتوب بعد غسله من آيات القرآن واستعمال هذه الآيات مكتوبة معلقة للتعويذ وما يدخل تحته حتى نصل لنقطة الخلاف.

التبـرّك

ومعناه التقرّب إلى الله تعالى فى طلب حاجة بعبد صالح كنبي أو ملك أو غيره أو بأثر من آثاره أو جزء منه أو شيء متعلّق به ومثله بقعة مباركة بغية الحصول على بركة العبد والمكان.وليس له معنى عند فاعله سوى المذكور.

التبرّك فى نظر إخواننا

وينظر خصومنا من منظورهم فى التوحيد إلى التبرك (بمعنى التوسّل)أنه شرك إلا بطلب الدعاء إن كان وليا صالحا أو بطاعته إن كان نبيا مرسلا.ويشترطون أيضا فى التبرّك بجزء منه أو دعائه أو أثره أن يكون فى حال حياته فإنه لا ينفع أحدا بعد مماته كما لا ينفع أثره،والحكم فى التبرّك بقبره كالحكم فى هذه الأشياء-إشراك بالله تعالى!

وهذا مما صرّح به ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم(1/142-143) وسمّى ابن عبد الوهّاب التبرّك بشجرة أو حجر أو نحوهما شركا من غير تفريق فى النّوايا كما فى فتح المجيد(/100) وكشف الشبهات وشرحه.وحجته الحديث الذى أخرجه الترمذى (2181):

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا

ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- « سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ».
قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَأَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ.
وَفِى الْبَابِ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ وَأَبِى هُرَيْرَةَ.(وهو أيضا برقم 2335) والآية فى الأعراف:(138).

حقيقة التبرّك

ومغالطة إخواننا الأولى أن زعموا الفاصل الوت والحياة كالحد الفاصل بين التوحيد والشرك،وليس كذلك.فقولهم إن التبرّك جائز حال الحياة دون بعدها معناه الكمين-لمن فهمه-أن الشرك يجوز فى حالة الحياة وكذا نسبة قوة نفسية للشيء المتبرّك به والذى هو شرك فى الربوبية!

أدلة التبرّك بالأحياء

وإن كنا اتفقنا مع إخواننا فى جواز التبرّك بالأحياء إلا أنهم خصّوا ذلك بدعائه دون جاهه(كما يأتى فى التوسّل)فهاك الأدلة على جوازه بآثار النبى ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى:

1-أخرج البخارى(**185**، و**2529**) **عنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا**

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ...وفيه:**ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ الخ.

2-وقد قال الحافظ ابن حجر فى شرح حديث حلقه بحجة الوداع:

حيث أنه ناول أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس قال النووي وفيه طهارة شعر الآدمي وبه قال الجمهور وهو الصحيح عندنا وفيه التبرك بشعره صلى الله عليه و سلم وجواز اقتنائه انتهى.وأخرجه مسلم (1305).فكان الأول أيضا نوعا من التبرّك.

3-أخرج البيهقى بسنده فى الكبرى(256/3) **إلى أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقيل عند أم سليم فتبسط له نطعا فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها وتبسط له الخمرة ويصلي عليها**

وأخرج عن عبد الله بن أنيس أنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه و سلم... وفى آخره ثم قام بي رسول الله صلى الله عليه و سلم فدخل بيته فأعطاني عصا فقال أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا معك يا عبد الله بن أنيس قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه و سلم وأمرني أن أمسكها عندي قالوا فلا ترجع إليه فتسأله عن ذلك قال فرجعت إليه فقلت يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا قال آية ما بيني وبينك يوم القيامة وإن أقل الناس المتخصرون يومئذ قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم يزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه فدفنا جميعا وكذلك رواه إبراهيم بن سعد وعبد الوارث بن سعيد عن مُحَمَّد بن إسحاق انتهى.

فائدة:لهذا التبرّك أنواع كثيرة ولكن هنا على ما رآه القارئ.

التبرّك بعد الممات (1)

نكرر أنه لا ينكر أحد التبرّك بالرجل الصالح حال حياته بطلب الدعاء منه وإنما النزاع فى فعله بعد الممات فعده الخصوم إشراكا بالله لأن الميت لا قدرة له على شيء فى نظرهم وهو خطأ فاحش فالأنبياء وعباد الله الصالحين لهم قوة روحية أودعها الله تعالى فيهم بعد الانتقال أكثر مما لهم فى دار الدنيا كما سنراه بفضل الله ومشيئته.

التبرّك بعد الممات (2)

وأقصد به التبرّك بأجزاء أو آثار النبى عليه الصلاة والسلام وسائر الصالحين.يراه إخواننا شركا كما وقفت عليه فى تعليق للعلامة ابن باز على فتح البارى!وبالاختصار:

1-أخرج مسلم (2069 و **3855**)**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ خَالَ وَلَدِ عَطَاءٍ قَالَ أَرْسَلَتْنِي أَسْمَاءُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَتْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَرِّمُ أَشْيَاءَ ثَلَاثَةً الْعَلَمَ فِي الثَّوْبِ وَمِيثَرَةَ الْأُرْجُوَانِ وَصَوْمَ رَجَبٍ كُلِّهِ فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ رَجَبٍ فَكَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الْأَبَدَ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ الْعَلَمِ فِي الثَّوْبِ فَإِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ الْعَلَمُ مِنْهُ وَأَمَّا مِيثَرَةُ الْأُرْجُوَانِ فَهَذِهِ مِيثَرَةُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِذَا هِيَ أُرْجُوَانٌ فَرَجَعْتُ إِلَى أَسْمَاءَ فَخَبَّرْتُهَا فَقَالَتْ هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ بِالدِّيبَاجِ فَقَالَتْ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا.**

2-أخرج البخارى(6910 و6796) عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ لِي
انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَسَقَانِي سَوِيقًا وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.

3-وفى المطالب العالية للحافظ ابن حجر(357/13): قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ الله عَنْه : " اعتمرنا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةٍ اعْتَمَرَهَا ، فَحَلَقَ شَعْرَهُ ، فَاسْتَبَقَ النَّاسُ إِلَى شَعْرِهِ [فَاسْتَبَقْتُ] إِلَى الناصية ، فَأَخَذْتُهَا ، فَاتَّخَذْتُ قَلَنْسُوَةً " ، فجعلها فِي مُقَدَّمِ [قلنسوته] ، فَمَا وجهها فِي وَجْهٍ إلا فتح له .انتهى.

فالسؤال هنا:هل يستطيع إخوننا "أهل السنة" القول بأن هؤلاء الصحابة وأهل بيت النبوة –المنقول عنهم الدين–كلهم كانوا مشركين بالله لتبرّكهم بآثار من مضى؟

التبرّك بالأموات وقبورهم

ومن الجدير بالذكر أولا أن أكثر المواقف فى الحج كالصفا والمروة ومقام إبراهيم والحجر الأسود كلها مواضع التبرّك.وإن أصر المانعون على موقفهم لأنه شرك فى نظرهم،فيلزمهم المنع من تعاطى الأدوية للمرضى صيانة لإيمان الناس من اعتقاد أن الأدوية والأطعمة والمشروبات هى النافعة غير الله تعالى(البركة والتبرّك).

وثانيا،سننظر فى كلام ابن تيمية ودعواه أنه لم يتبرّك أحد من الصحابة والتابعين والسلف الصالح بالدعاء أو بقبر نبي أو صالح ونرى ثبوت ذلك أو عدمه.

التبـرّك بالـدعاء عنـد قبر نبي

1-جاء فى تهذيب الأسماء واللغات للنووى(472/1)فى ترجمة عقبة بن عامر أنه وصل المدينة فى سبعة أيام، ورجع منها إلى الشام فى يومين ونصف بدعائه عند قبر رسول الله – ﷺ – وتشفعه به فى تقريب طريقه.

2- وفى شعب الإيمان للبيهقى3867 – أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَتَحَ الصَّلَاةَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ انْصَرَفَ ".(راجع 53/6).

مـــسّ القــبور

وكثير ممن ينفون التبرّك بالدعاء عند القبر فى زمن الصحابة يعتمدون على ما ورد أن سيدنا الحسن نهى رجلا كما أورد الذهبى فى السير (40/8-42) وفى القصة:

أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً وَقَفَ عَلَى البَيْتِ الَّذِي فِيْهِ قَبْرُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَدْعُو لَهُ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (لاَ تَتَّخِذُوا بَيْتِيَ عِيْداً، وَلاَ تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُم قُبُوْراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ مَا كُنْتُم، فَإِنَّ صَلاَتَكُم تَبْلُغُنِي). (484/4).

قال الذهبى:**هَذَا مُرْسَلٌ، وَمَا اسْتَدَلَّ حَسَنٌ فِي فَتْوَاهُ بِطَائِلٍ مِنَ الدَّلاَلَةِ، فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ الحُجْرَةِ المُقَدَّسَةِ ذَلِيْلاً، مُسْلِماً، مُصَلِّياً عَلَى نَبِيِّهِ، فَيَا طُوْبَى لَهُ، فَقَدْ أَحْسَنَ الزِّيَارَةَ،**

وَأَجْمَلَ فِي التَّذَلُّلِ وَالحُبِّ، وَقَدْ أَتَى بِعِبَادَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فِي أَرْضِهِ، أَوْ فِي صَلاَتِهِ، إِذِ الزَّائِرُ لَهُ أَجْرُ الزِّيَارَةِ، وَأَجْرُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَالمُصَلِّي عَلَيْهِ فِي سَائِرِ البِلاَدِ لَهُ أَجْرُ الصَّلاَةِ فَقَطْ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلَكِنْ مَنْ زَارَهُ – صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ – وَأَسَاءَ أَدَبَ الزِّيَارَةِ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ، أَوْ فَعَلَ مَا لاَ يُشْرَعُ، فَهَذَا فَعَلَ حَسَناً وَسَيِّئاً، فَيُعَلَّمُ بِرِفْقٍ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ.انتهى مختصرا وفى كلامه إساءة الأدب مع الامام الجليل الصادق سيدنا الحسن سبط رسوله الله غفر الله له ونسأله سبحانه السلامة.

وقال ابن كثير (**475/6**)و (**516/3**)**في إسناده رجل مبهم لم يُسَمَّ**.وقد قالوا إنما النهى عن إساءة الأدب فى ذلك المكان المشرّف.ولا سيما أن الامام أحمد –إمام ابن تيمية–ممن يفعله.فالحمد لله تعالى.

التبرّك عند القبور

من كرامات السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد أن الناس كانوا يتبرّكون بقبرها لكن الذهبى ذكرها فى تاريخ الاسلام(414/14-415) وقال: **للجهال فيها اعتقاد لا يجوز مثله، وقد بلغ بهم الشرك بالله. ويسجدون للقبر، ويطلبون منها المغفرة انتهى ملخصا.**

وفى السير عند ترجمة ابن لال:(**65/33**):**وَالدُّعَاءُ عِنْد قَبْرِهِ مُسْتَجَابٌ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَمَاتَ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَة ثَمَانٍ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ**.(**77/17**) .

ومثل هذا كثير مما أورده الذهبى وغيره.

العجب العجاب!

ومما يدهش القارئ تبرك الناس برؤية ابن تيمية بعد وفاته كما ذكره ابن عبد الهادى فى العقود الدرية ونص ابن كثير فى البداية (14/141-142 و 161):**وشرب جماع الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما**.الخ

والقائل أنهم فعلوه بغير إذنه نسأله:من هؤلاء الأشخاص؟أو ليسوا تلاميذه المنقول عنهم أخباره؟ وهل نقل مثل هذا عن وفاة أحد قبله؟ والقصة مذكورة أيضا فى طريق الهجرتين.

قصة مكذوبة

والملاحظ أن كثيرا من الناس يظنون الحجة فى الشيء وعند التتّبع ينكشف أنها غير حجة.فمثلا يحكى ابن تيمية أن سيدنا عمر أمر بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم لأن الناس يفتتنون بها ويرتكبون شركا عندها كما فى اقتضاء الصراط(1/386،و2/144) ونصه:

وأمر عمر ﷺ بقطع الشجرة التي توهموا أنها الشجرة التي بويع الصحابة تحتها بيعة الرضوان . لما رأى الناس ينتابونها ويصلون عندها ، كأنها المسجد الحرام ، أو مسجد

المدينة ، وكذلك لما رآهم قد عكفوا على مكان قد صلى فيه النبي ﷺ عكوفا عاما نهاهم عن ذلك ، وقال : "أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟" انتهى.

ومن ثَم ادّعوا منع التبرّك.والقصة وإن جاءت فى الطبقات لابن سعد (2/،100) **وعنْ نَافِعٍ ، قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الرِّضْوَانِ فَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَوْعَدَهُمْ فِيهَا وَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ.اهـ.**

فالأدلة على عدم ثبوتها كثيرة منها:

1- قول البخارى (،4154، و3839) **أن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ.(وعند مسلم 3453 ،و1856)**

2- قول البخارى (3844 ،و4162)**عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ الشَّجَرَةَ ثُمَّ أَتَيْتُهَا بَعْدُ فَلَمْ أَعْرِفْهَا(وعند مسلم 3461،و1859)**

3-قال ابن سعد(1716):- **أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ طَارِقٍ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ فَقُلْتُ مَا هَذَا الْمَسْجِدُ قَالُوا : هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي : أَنَّهُ كَانَ فِي مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ : فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا . قَالَ سَعِيدٌ : إِنْ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ.**

4–قول البخارى (**2958**) – **حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ نَافِعٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ – رضى الله عنهما – رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا ، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ . فَسَأَلْتُ نَافِعًا عَلَى أَىِّ شَىْءٍ بَايَعَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ قَالَ لاَ ، بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ . تحفة 7629.**

فهى دلالة واضحة على أن مكانها كان خفيًّا على الصحابة ومن بعدهم على الرغم من البحث عنها.

وقد كان البخارى نفسه متبرّكا بالقبر الشريف.فلقد أورد الذهبى فى السير (400/12-402، و393/23)قوله : وصنَّفْتُ كِتَابَ (التَّارِيْخِ) إِذْ ذَاكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي اللَّيَالِي المُقْمِرَةِ، وَقَلَّ اسْمٌ فِي التَّارِيْخِ إِلاَّ وَلَهُ قِصَّةٌ، إِلاَّ أَنِّي كَرِهْتُ تطويلَ الكِتَابِ انتهى.

فهل ترى التبرّك من فعل السلف الصالح أم من فعل المبتدعة؟

التوسّل

التوسل معناه التوصّل إلى الله تعالى بعبد أو عمل ابتغاء قضاء حاجة، وعليه فجميع عباداتنا لله "وسيلة" للحصول على الجزاء الموعود به للعباد.

تنبيه:لقد فرّق الشيخ زكى إبراهيم بين "الوسيلة" والواسطة" وقال الأولى:طلب من الله تعالى مباشرة مع الاستشفاع بما يحب أو بمن يحب...أما الواسطة فشيء غير ذلك...فهى طلب من ذات الوسيط وإيمان بأنه قادر على الفعل والترك انتهى من الإفهام والأفهام.

ولكن السيد مُحَمَّد بن علوي يطلق عليه "الواسطة". ففى مفاهيمه :والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى الخ..فالخلاف لفظى ولا مشاحة فى الاصطلاح.

أقسـام التـوسّـل

وينقسم التوسل إلى نحو أربعة أقسام:

1-التوسل بالايمان أو بالطاعة لمن أمر الله بتصديقه وطاعته ومحبته وكل ما يدخل تحت هذا(وزدته على الرغم من عدم النزاع فيه)

2-التوسل بالعمل الصالح والقسمان لا نزاع فيهما حتى عند إخواننا لورودهما فى السنة وحياة السلف الصالح.

3-التوسل بدعاء العبد الصالح فى حال حياته والجميع على جوازه.

4-التوسل بجاه العبد الصالح،وينكره الخصوم لما يتلو:

1-قال ابن تيمية فى القاعدة الجليلة:لم يكن النبى صلى الله عليه آله وسلم يعلم هذا النوع من التوسل ولم يكن صحابته أيضا يعلمونه،فإنه إقسام على الله ولذا منعه الامام أبو حنيفة!

2-وردد هذا الكلام العلماء المتبعون له وقالوا لا يسأل الله تعالى بمخلوقه(ونسوا أن العمل أيضا مخلوق! فقد قال تعالى:والله خلقكم وما تعملون،الصافات:96)لأنه سبحانه قريب من العباد ونحوه من الاحتجاجات.

3-أوّلوا الأحاديث فيه بأنها فى النوع الثالث،أي بدعاء العبد الصالح.

فـما هى الحـقيـقة؟

وبما أننا لا نطيل هنا حتى ننشغ عن بعض المسائل الهامّة المقصودة سنقتصر على حديثين أو ثلاثة فيها جواز التوسل الذي ينكره إخواننا.وقبل ذلك ننبه على أن كثيرا ن أتباع ابن تيمية يغترّون بكثرة أقواله وأقوال تلاميذه وكتبهم وجلّها تردّد شيئا واحدا والحق بخلافه.

الحـديث الأول

أخرج الترمذى (3589) و(3927) وابن ماجه(1385)والنسائي فى عمل اليوم والليلة(417) **فقال النسائى فى عمله:أخبرنا مُحَمَّد بن معمر قال حدثنا حبان قال حدثنا حماد قال أخبرنا أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف أن رجلا أعمى أتي النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله أني رجل أعمى فادع الله أن يشفيني قال بل أدعك قال ادع الله لي مرتين أو ثلاثا قال**

توضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي مُحَمَّد نبي الرحمة يا مُحَمَّد إني أتوجه بك إلى الله أن يقضي حاجتي أو حاجتي إلى فلان أو حاجتي في كذا وكذا اللهم شفع في نبيي وشفعني في نفسي انتهى.

والحديث صحيح كما قال الترمذي بعد تحسينه وهو كذلك عند الطبرانى وابن خزيمة والذهبى وراجع رفع المنارة من ص 23.

رأي ابن تيمية وإخواننا

يقولون إن فعل الرسول هنا مقتصر على الدعاء للأعمى مما دلّ على مشروعية هذا النوع من التوسّل-التوسل بالدعاء-مشروطا بحياة المتوسَّل به!ويقول معارضيهم بأنه أولا لفظ الدعاء هو "أتوجه إليك بنبيك" وليس "بدعاء نبيك".وثانيا،وإنه إضافة إلى الدعاء فقد تُوُسّل بالنبي أو بجاهه مما دلّ على استمرار جوازه إلى يوم القيامة.ولذلك ترجم له بعض أصحاب الحديث-وهل نشك فى فهمهم للدين؟- بقولهم "باب ما يقول لمن ذهب بصره".وقال النسائى :ما يقول إذا راعه شيء.ومثله ابن ماجه والطبرانى والمنذرى وبعضهم فى قضاء الحاجة.والمهمّ لمن أبصر أن الرجل جاء لطلب الدعاء من النبى ﷺ(النوع الثالث)فدعا له وعلمه الدعاء الذى فيه التوسل بذاته(النوع الرابع) بعد الدعاء له.

وأعظم منه أن الصحابى الذى شاهد القصة -عثمان بن حنيف-لم يفهم ما فهمه ابن تيمية وأتباعه من عدم الجواز بعد وفاة المتوسّل به ولذا علّم رجلا آخر ليدعو به فى طلب حاجته من الخليفة عثمان بن عفان كما رواه الطبرانى بالسند الصحيح.

ويجدر بنا الوقوف هنا ونتسائل ما كنا ندين لله:هل يمكن أن يكون هذا الفعل ممنوعا وبدعة ويذهب على جوازه وفعله والأمر به الصحابة والعلماء قبل ابن تيمية؟أم نتّهمهم بالخيانة لله ورسوله؟

الحـديث الثـانى

أخرجه البخارى (**1010** و**954**) وابن خزيمة (**1421**) **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ انتهى.

قال الحافظ بن حجر فى شرحه :"**ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه**".

رأي ابن تيمية وإخواننا

إنهم مصرّون على دعواهم أن التوسل فى الحديث بدعاء العباس ودعاء النبي قبله–مع عدم ورود ذلك فى لفظه– لا بجاه أحدهما وقول الحافظ السابق يرد عليهما.والحقيقة أنهم جانبوا الصواب فهم القائلون إن عمر اختار العباس لكون النبي منتقلا لو طُلب منه الدعاء وبنوا عليه عدم جواز التوسل بجاهه ﷺ وقالوا لو كان بجاهه فليس بفائت بعد انتقاله.وما زالوا فى السعي لتوهين كل حجة فى جواز هذا النوع الرابع من التوسل.

رأي أهـل السِـنة فى الميـزان

1–تحتاج دعواهم أنه لم يفعل النبي ولا الصحابة ولا العلماء السابقون هذا النوع من التوسل إلى حجة للحديث الذى قدمنا والذى فيه تعليم النبي للرجل الأعمى.

2–لم نعلم أن النبى عني هذا النوع إلا بفعل الصحابى الذى علّمه الرجل الداخل على سيدنا عثمان فى زمنه.

3–أورده المحدثون فى كتبهم مجوّزين الدعاء به لمن يأتى.

4-نفس ابن تيمية المنكر له يذكر فى فتاويه(24/1)أن ابن أبجر من السلف الصالح فعله.

5-لن نقف فى بحوثنا على إمام واحد قبل ابن تيمية يقول بتحريم النوع الرابع من التوسل.

6-وما روى عن أبى حنيفة فإنما هو فى منع سؤال الله تعالى بحق أحد مشعراً بأن لأحد حقا على الله ولذا لم يرد المنع عن تلاميذه.ولا أدرى لماذا أبى شيخ الاسلام العمل بقول إمامه أحمد الذى نقل عنه مثل هذا التوسل؟

7-لم يكن فى رواية البخارى دعاء العباس ولكنه مذكور عند الزبير بن بكار

وابن عبد البر فى الاستيعاب ونصه ملخصا (246/1): **ثم قال عمر: يا أبا الفضل قم فادع. فقام العباس فقال: بعد حمد الله تعالى والثناء عليه اللهم إن عندك سحاباً وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الأصل وأدر به الضرع اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ولم تكشفه إلا بتوبة وقد توجه القوم إليك فاسقنا الغيث اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا اللهم** إنا شفعنا بمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا اللهم اسقنا سقياً وادعاً نافعاً طبقاً سحاً عاماً اللهم إنا لا نرجو إلا إياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب إلا إليك اللهم إليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف.... في دعاء كثير.انتهى.

ولكن دعوى إخواننا أن عمر توسل بدعائه تنهدم بقول العباس فى رواية الزبير بن بكار التى ذكره الحافظ فى الفتح ففيها "وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك" فكان التوسل بدعاء ومكانة العباس وأصل كل ذلك من مكانة النبي ﷺ!وبعبارة أخرى،توسل عمر بهما تبرّكا بالنبى ﷺ.والحاصل أن التوسل بدعاء أحد توسل بجاهه كما أن التوسل بالعمل توسل أيضا بالعامل.

أحـاديث التـوسـل

أولا،لو كانت الأحاديث السابقة ضعيفة تكون حجة مقبولة لعمل العلماء الأمة بها،فكيف وهى صحيحة؟

ثانيا،ومن تأمل صنيع إخواننا وجدهم يستدلّون بالأحاديث الواهية والتى لا أصل لها،وربما نرى بعضها فيما يأتى.

ثالثا،لا نطيل فى ذلك ومن أراد الوقوف عليها فعليه بـ "رفع المنارة" و"الرد المحكم" الأول للدكتور محمود سعيد ممدوح والثانى لشيخه الحافظ عبد الله الغمارى.فيقارنهما القارئ برأيه وما قرأه لإخواننا فى كتب مذهبهم.

رابعا،كان كثير من علماء الأمة على هذا العمل الذى يمنعه إخواننا ولن نذكرهم لمرور فعل الصحابة والمحدثين المتقدمين.وجلّهم مضوا بقرون قبل ولادة ابن تيمية كما تجد أسمائهم فى كتاب "أخطاء ابن تيمية" من ص 342.

نقد آخر لموقف إخواننا "أهل السنة"

حديث الأعمى:

1-نص الحديث يدل على تعليم النبى الأعمى التوسل به-ﷺ-إلى الله فى حاجته كما قال "أتوجه بك إلى ربي" ولم يذكر "الدعاء؛فالقول بأن المقصود الدعاء صرف للفظ عن الحقيقة إلى المجاز وهو ما ينفي وجده ابن تيمية فى اللغة العربية!

2-نص الحديث "**قَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ: فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بنا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ ، حَدَّثَنَا إِدْرِيسُ بن جَعْفَرٍ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بن عُمَرَ بن فَارِسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيُّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بن سَهْلِ بن حُنَيْفٍ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بن حُنَيْفٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَحْوَهُ**"(الكبير للطبرانى **412/7**). فلو دعا له النبى هناك لكان الراوى أولى بإلاخبار عن ذلك.

3-لم يرد دعاء النبي ﷺ له فى طريق أو رواية أخرى.

4-وهب أنه كان بدعائه-وليس كذلك-،فهل يكون التوسل بدعاء كل أحد أم بعبدمن عباد الله المقرّبين؟ إذا كان بكل أحد دخل فيه الكافر،وإلا فقد رجعنا إلى فهم المجوّزين للتوسل بالذوات الفاضلة :أى أن قرب العبد الداعى هو المطلوب!

5-علّمه النبى الدعاءَ بعد طلب الدعاء منه،فلو قلنا إن النبى دعا له فما فائدة تعليمه هذا الدعاء؟

6-ليس عندنا دليل –سوى التخمين-على دعاء النبى له!

7-لو وجد دعاء له عن طريق آخر،فقد علّمه هذا مما دلّ على سنية الأمرين!

8-عادة النبى ﷺ هى الدعاء لمن طلب منه أو كان محتاجا للدعاء كما دعا لأبى هريرة فى النسيان فى قوله: **فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي ثُمَّ يَقْبِضْهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ**(البخارى 6807 و119) ومسلم (4547 و 2492) وتعليم من احتاج للتعليم كالدعاء للتعوذ من الفزع الذى أخرج أبو داود (3893) **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ** : **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ**

اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ(والترمذى 3872 و3539).

9-والتوسل بدعاء العبد توسل بعمله،فلن يقصد أحد التوسل بالفاجر،والعمل هو العلامة الظاهرة لصلاح الرجل.أما الباقية فلا يعلمها إلا الله.

10-وإضافة إلى كون العمل مخلوقا-مما يهدم القول بعدم جوازه بالمخلوق-وإن كان قولا بلا دليل-فلا يستطيع أحد الإطلاع على المقبول من أعماله أو الواقع فى ميزانه،لأنه قد يبطل سعيه قبل تقديمه وبعده!

الإســتغاثــة

إنه لمن أهمّ الفصول وأخطر ما يحتاج المرء لفهمه فبه يكفّر إخواننا "أهل السنة " المسلمين بدعوى أنهم مشركون بالله إذ فى الاستغاثة نداء الأسماء أو التفوّه بكلمات موهمة بالطلب من غير الله.وكان أكبر غلطهم فى تفسير كلمة "الدعاء" بـ "النداء" فى المواضع التى أتت بمفهوم "العبادة" بحيث حكموا على الناس بما ليسوا بصدده.وسوف نرى هذا فيما يتلو.

وأيضا سنؤخّر أدلة المستغيثين لحين الفراغ من حجج المانعين وهم "أهل السنة" كما اشتهروا به.وقبل كل شيء نحتاج للتعريف بالكلمة عند أصحابها لا عند إخواننا الذين لا علم لهم بمفهومها الاصطلاحى.

معنى الاستغاثة

الاستغاثة نوع من التوسل أى طلب الحاجة من عند الله تعالى عن طريق عبد صالح لبركته ومكانته المرضية عند الله،إلا أن لفظه مختلف عن التوسل.فبينما فى التوسل قول العبد "ببركة فلان" أو بشرفه أو مكانته أو جاهه الذى جعلت له أو بالذهاب إليه لطلب الدعاء أو تعليق الحاجة عليه أو المكان(حيث يصير التبرّك توسلا)أو الوقت أو نحو ذلك من وجوه مشروعة،ينادى المستغيثُ العبدَ مباشرة(بقوله:يا فلان!)سواء كان حيا أو ميتا،قريبا أو بعيدا،يسأل مطلوبه(أعطنى كذا أو افعل لى كذا)إما بقصد أن يمكّنه الله من فعله(كالدعاء فى حاجته مثلا فى الدنيا والشفاعة فى الآخرة) لمكانته عند الله أو الاتيان بمن يقضى حاجته أو الطريق لقضائها ببركة المدعو.فهذا- وإن تعجّب منه القارئ لقلة الاطلاع من صفوف إخواننا-أمر درب عليه وعلمه الصحابة وتابعوهم وجلّ علماء المسلمين ولم يقل أحد - سوى من اقترح فيه إصلاحات- بأنه شرك أو أن فاعله مشرك قبل مجيء ابن تيمية!

ومعلوم أنه –بكل تقدير له كعالم جليل-علاوة على انفراده بأمور (رحمه الله)كما نذكرها فى هذا الكتاب،فلن يقبل عاقل-فضلا عن عالم-أن يذهب كل أولئك على جواز الشرك والجهل به وهم النقلة لدين الاسلام حتى يأتى ويكشف عنه ابن تيمية وتلاميذه! وسنرجع إلى هذا فى الصفحات القادمة.

أدلـة إخواننـا فى الاسـتغاثـة

أولا،بعد قول ابن تيمية فى قاعدته الجليلة(2/ و52 2/33–32):وهذا ونحوه مما يبين أن الذين يدْعون الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم (وغير قبورهم)(1) من المشركين الذين يدعون غير الله، كالذين يدعون الكواكب، والذين اتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً،..."

2–وقول ابن عبد الوهاب: باب (13) من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره...ثم قال: وروى الطبراني بإسناده "أنه كان في زمن النبي ﷺ

.. منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله".

فيه مسائل:

الأولي: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ}.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.انتهى من كتاب التوحيد (38/1).

3–وقال الشيخ عثيمين فى القول المفيد(160/1 و 120–121) :الثاني: أن تدعو مخلوقا مطلقا، سواء كان حيا أو ميتا فيما لا يقدر عليه إلا الله; فهذا شرك أكبر لأنك جعلته ندا لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكرا.

الثالث: أن تدعو مخلوقا ميتا لا يجيب بالوسائل الحسية المعلومة; فهذا شرك أكبر أيضا لأنه لا يدعو من كان هذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفا خفيا في الكون.انتهى مختصرا.

وقال الشيخ صالح االفوزان فى إعانة المستفيد 193/1 و 267):القسم الأول: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، فهذه هي الشرك الأكبر، لأنها صرف للعبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

أما الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق كاستغاثة بغيره في الحرب ليساعده ويناصره على عدّوه؛ فهذا جائز، كما قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} ، فالاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه– كالاستغاثة بالأموات والغائبين– شرك أكبر، لأنه يستغيث بمن لا يقدرون على شيء أبداً، فالذين يستغيثون بالأضرحة، وبالأولياء وبالصالحين، والأموات، أو يستغيثون بالغائبين من الجن، أو بالشياطين، كل هذا من النوع الممنوع.اهـ.

ومقصودهم باشرك كسائر المصنفين وكما فى فتاويهم هو أن الاستغاثة بالصالح الميت أو الغائب أو الحاضر الذى –فى نظرهم–لا يقدر على المطلوب.

خـطأهم فى تفـسير الآيــات

بما أن منشأ الخطأ من إخواننا فى قضية التوحيد–كما قلنا– كان فى تفسير الآيات والاحاديث بغير معانيها الصحيحة،فننصح القارئ بالصبر على اتباعنا حتى نصل لاثبات ما قلناه فى الأمثلة المقبلة.

ومن الآيات التى فيها "الدعاء" بمعنى "العبادة" وليس "النداء" كما فسرها به القوم:

1-سورة مريم :**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)**.فهذه الآية كما فى الجلالين تتحدث عن "العبادة" كالآيات التالية من نفس السورة وهى قوله تعالى قبلها:

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) وبعدها: **فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49)**.

قال البغوى:**أى أعتزل ما تعبدون من دون الله...أى عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته** الخ.وفى زاد المسير:**وفى معنى قوله "تدعون" قولان:أحدهما:تعبدون والثانى: وما تدعونه ربا.وأدعو ربي :أى وأعبده.** انتهى.وراجع أيضا ابن كثير.

2-سورة الكهف: **وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً (14)**والدعاء هنا بمعنى العبادة.قال الشوكانى : **أى لن نعبد معبوداً آخر غير الله لا اشتراكاً ولا استقلالاً**(راجع الفتح القدير).

3-سورة الجن: **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18)**وهذه متحدثة عن **"العبادة"** كما أفاده الطبرى بقوله:**وأخلصوا العبادة له** والبغوى بذكره إشراك اليهود والنصارى فى كنائسهم وبيعهم. ونقل ابن الجوزى أربعة أقوال فى المسجد كلها بمعنى العبادة فى زاد المسير ثم قال:**أخلصوا ولا تسجدوا لغيره** انتهى.ومثله فى التفسير الميسر والجلالين.

4-سورة يونس:**وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106)**.**وهذه أيضا فى "العبادة" وليست فى "النداء" كما هو واضح من نظيرها وإن كان ابن عبد الوهاب يحتج بها فى تكفير المستغيثين بالصالحين**.ونظيرها

السابقة: **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104)**,

قال القرطبي:**ولا تدع:أى لا تعبد...الخ**.وقال نفس الكلمة البغوى.أما الطبرى فقال مفصلا:**لا تعبدها راجيا نفعها وخائفا ضرها الخ**.وفى زاد المسير:**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن تركت عبادته** انتهى فدل على المطلوب.

5–سورة النساء: **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117)**.

قال الطبرى :**ما يعبدون**.وقال ابن الجوزى:**إن** بمعنى:**ما ويدعون** بمعنى :**يعبدون**.وقال البغوى:**نزلت فى أهل مكة**:

أى ما يعبدون كقوله :**وقال ربكم ادعونى** الخ.ونظيرها آية يس: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60)**.

6–سورة غافر: **ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)**.

فهتان الآيتان فى العبادة كما أفاد الجلالين والتفسير الميسر بذكر الكلمتين "الدعاء" أو "ندعو".**قال الطبرى قوله:(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبد وخدمه...ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا: أي لم نكن نعبد شيئا؛ يقول الله تعالى ذكره:(كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم** الخ.وقد

لمح إلى ذلك البغوى.وقال ابن كثير: **أي: قيل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ { قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا } أي: ذهبوا فلم ينفعونا، { بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا } أي: جحدوا عبادتهم** انتهى ملخصا.

وللأسف أن إخواننا "أهل السنة" مصرون على تكفير الناس لنداء الصالحين بمقتضى تفسيرها الخاطئ بـ "النداء" من قِبل علمائهم، والتحقيق أن النداء لا يشكّل عبادةً صحيحة إلا مقرونا بشروط كما نذكره فى الصفحات القادمة.

7- سورة غافر :وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60).فالمقصود هنا **"العبادة"** (الجلالين والميسر)كما روى الحاكم فى المستدرك(667/1 برقم 1802)

قال القرطبى :**قوله تعالى:" وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" الآية روى النعمان بن بشير قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:" الدعاء هو العبادة"**.ومثله وقبله الطبرى فقال قبل ذكر الحديث :**اعبدونى وأخلصوا لى العبادة الخ**. والبغوى:**اعبدونى دون غيرى...عبر عن العبادة بالدعاء الخ**. ونقل فى زاد المسير قولين أحدهما ما تقدم ورجحه الشوكانى فى فتح القدير.

8-سورة الرعد: **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (14).**

فحتى القرطبى الذى فسرها بالذى يدعو من دون الله إلها ختم بقوله: **أي ليست عبادة الكافرين الأصنام إلا في ضلال، لأنها شرك**.فدل المعنى على ما غاب عن الخصوم وهو :**دعوة غير الله إلها!** قال الطبرى **(والذين يدعون من دونه) يقول تعالى ذكره: والآلهة**

التي يَدْعونها المشركون أربابًا وآلهة .وقال البغوى: **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى.اهـ.**

وفى زاد المسير: **قوله تعالى : { وما دعاء الكافرين إِلا في ضلال } فيه قولان :**

أحدهما : وما دعاء الكافرين ربَّهم إِلا في ضلال ، لأن أصواتهم محجوبة عن الله ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثاني : وما عبادة الكافرين الأصنامَ إِلا في خسران وباطل ، قاله مقاتل .اهـ.

وقال العلامة ابن كثير: **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } (2) أي: ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله.**انتهى.

9–سورة الأعراف: **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (194).**

فكلمة "**تدعون**" تفيد "**العبادة**" والثانية "**فادعوهم**" تفيد "**النداء**" وفسرها البغوى بالعبادة.

نقلا عن ابن عباس أى فاعبدوهم.وقد نقل عنه القرطبي فى الأولى وقال:تدعون :تعبدون وقيل:تدعونها آلهة.ومثلها قوله تعالى: **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197)** وقوله:**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)**.وراجع تفسير الطبرى وابن كثير.

10–سورة الأحقاف: **قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ماذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(4) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ (5) وَإِذا حُشِرَ النَّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ (6)**

وقد فسر القرآن نفسه بقوله فى التالية "وكانوا بعبادتهم" الخ.قال العلامة الطبري بعد كلام: **وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب** انتهى.

وقال ابن كثير فى التى قبلها:**{ قُلْ } أي: لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره: { أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ } أي: أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض، { أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ } أي: ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير، إن المُلْك والتصرّف كله إلا الله، عز وجل، فكيف تعبدون معه غيره، وتشركون به؟ من أرشدكم إلى هذا؟ من دعاكم إليه؟ أهو أمركم به؟ الخ**.فالدعاء فى **"تدعون" أو "يدعو"** معناه **"دعاء العبادة"** وسيأتى شروطه وضوابطه كما توعّدنا.والآية من أكثر ما يستدلّ به خصوم المتوسّلين من ابن تيمية إلى ابن عبد الوهاب فى تشريك الاستغاثة!

11-سورة الفرقان: **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)**

قال الطبرى:**يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة** انتهى.وانظر الجلالين والتفسير الميسر.

وفى زاد المسير:**وقوله { يَدْعُون } معناه : يَعْبُدون** اهـ.

وأخرج البخارى(4389 و 4726) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ

سَأَلْتُ أَوْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ قَالَ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأخرج (4394)فى قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ } عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ

أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ

{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا }

فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ وَعَنْ

{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ }

قَالَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ انتهى.

12-سورة الشعراء: فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213).

قا الطبرى:أي لا تعبد معه معبودا غيره.وقال ابن كثير: يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ومخبرًا أنّ مَنْ أشرك به عذبه.انتهى.

13-سورة القصص: وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)

قال الطبرى:ولا تعبد يا مُحَمَّد مع معبودك الذي له عبادة كلّ شيء معبودا آخر سواه.

وقوله:(لا إِلَهَ إِلا هُوَ) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كلّ شيء هالك إلا وجهه.اهـ.

14–سورة الصافات: أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125).

قال الطبرى بعد أقال فى أنه صنم قال ابن زيد، في قوله(أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) ؟ قال: بعل: صنم كانوا يعبدون، كانوا ببعلك، وهم وراء دمشق، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها.اهـ.

وعند البغوى:**أتعبدون (1) { بَعْلا } وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: "البعل": الرب بلغة أهل اليمن.**

{ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ } فلا تبعدونه انتهى.

وقال ابن كثير بعد حكاية مثل الاقوال السابقة: **وقوله: { أَتَدْعُونَ بَعْلا } أي: أتعبدون صنما؟ { وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ } أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.**انتهى.

15–سورة الأنعام: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)

قال ابن كثير رحمه الله:**وقوله { يَدْعُونَ رَبَّهُمْ } أي: يعبدونه ويسألونه { بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } قال سعيد بن المسيب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: المراد بذلك الصلوات المكتوبات. وهذا كقوله [تعالى] (3) { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: 60] أي: أتقبل منكم.**

وقوله : { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } أي: يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات.اهـ.

ونقل الطبري اختلاف الناس فى "يدعون" من أن الصلوات والذكر والقرآن والعبادة وقال أخيراً: قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا ﷺ أن يطرُد قومًا كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي، و"الدعاء لله"، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا = وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها، وغيرُها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابدَه بما هو عامل له. (1) وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي، لأن الله قد سمى"العبادة"،"دعاء"، فقال تعالى ذكره: وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ، [سورة غافر: 60]. وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء. ولا قول أولى بذلك بالصحة، من وصف القوم بما وصفهم الله به: من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم، ولا يخصُّون منها بشيء دون شيء.انتهى مختصراً.

وذكر ابن الجوزى فى زاده خمسة أقوال ثالثها العبادة وخامسها :دعاء الله بالتوحيد والإخلاص له وعبادته اهـ.

16-سورة الكهف: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28).وهى مثل السابقة.

17- سورة الأنعام: قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71).

قال فى زاد المسير : **قوله تعالى : { قل أندعوا من دون الله } أي : أنعبد مالا يضرنا إن لم نعبده ، ولا ينفعنا إن عبدناه ، وهي الأصنام . { ونُردُّ على أعقابنا } أي : نرجع إلى الكفر { بعد إذ هدانا الله } إلى الإسلام** اهـ.

وفيها يقول البغوى :قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا } إن عبدناه، { وَلا يَضُرُّنَا } إن تركناه، يعني: الأصنام ليس إليها نفع ولا ضر... { قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى } يزجر عن عبادة الأصنام، كأنه يقول: لا تفعل ذلك فإن الهدى هدى الله، لا هدى غيره،...انتهى المراد منه.

18-سورة الأنعام : وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108)

قال البغوى فى معالم التنزيل:

قوله عز وجل: { وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } الآية 122/ب قال ابن عباس: لما نزلت "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"(الأنبياء، 98) قال المشركون: يا مُحَمَّد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم.اهـ.

وانظر اللطيفة الغالية التى تخفى على خصوم المستغيثين هنا فى قول ابن عباس رضى الله عنهما:لما نزل قوله تعالى "إنكم وما تعبدون" وقال الكفار ما قالوا رد سبحانه تعالى ردّاً

استيراتيجيًّا بقوله "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله" أى أن الحديث بأسره فى "**العبادة**"! فكانت كلمة "**تعبدون**" مرادفة لكلمة "**يدعون**"، وأين عقولنا يا أمة الطلاب؟

وقال ابن الجوزى بعدما ذكر السبب الأول لنزولها كما تقدم والثاني : **أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار ، فيردون ذلك عليهم ، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله ، قاله قتادة . ومعنى «يدعون» : يعبدون ، وهي الأصنام** انتهى.

19-سورة الأعراف: **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)**

ففى زاد المسير:**قوله تعالى : { أين ما كنتم تدعون } أي : تعبدون { من دون الله } ، وهذا سؤال تبكيت وتقريع . قال مقاتل : المعنى : فليمنعوكم من النار** .اهـ.

وقال الطبرى:**يقول: قالت الرسل: أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء؟** انتهى.

وقال البغوى العلامة: **وقال مُحَمَّد بن كعب القرظي: ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمال فإذا فنيت، { جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ } يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه، { قَالُوا } يعني يقول الرسل للكافر، { أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ } تعبدون، { مِنْ دُونِ اللَّهِ } سؤال تبكيت وتقريع، { قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا } بطلوا وذهبوا عنا، { وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ } اعترفوا عند معاينة الموت، { أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }**.انتهى.

20–سورة يونس: أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66).

تفسيرها عند البغوى ليس كما يدّعيه أتباع ابن تيميو وابن عبد الوهاب.

فإنه قال :**هو استفهام معناه: وأي شيء يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ وقيل: وما يتبعون حقيقة، لأنهم يعبدونها على ظن أنهم شركاء فيشفعون لنا، وليس على ما يظنون. { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ } يظنون أنها تُقَرّبهم إلى الله تعالى، { وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ } يكذبون**.انتهى.

ونختتم بابن كثير القائل:**ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأن المشركين يعبدون الأصنام، وهي لا تملك شيئا، لا (2) ضرًا ولا نفعا، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم**.انتهى ما ذكره.وهو واضح فى أنهم –كسابقيهم–كانوا مشركين بعبادتها فافهم.

21–سورة هود: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101).

قال الطبرى:**ويدعونها أربابًا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربُّهم من شيء** انتهى.

وقال ابن كثير:**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ } أي: أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها، { مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } أي: ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم، { وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } (3)**.اهـ.

وفى تفسير القرطبى:(عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) في الكلام حذف، أي التي كانوا يعبدون، أي يدعون. (لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) أي غير تخسير، قاله مجاهد وقتادة. وقال لبيد:

فلقد بليت وكل صاحب جده ... لبلى يعود وذاكم التتبيب

والتباب الهلاك والخسران، وفيه إضمار، أي ما زادتهم عبادة الأصنام، فحذف المضاف، أي كانت عبادتهم إياها قد خسرتهم ثواب الآخرة.انتهى.

22–سورة النحل :وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86).

قال البغوى:{ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ } أربابا ونعبدهم، { فَأَلْقَوْا } يعني الأوثان، { إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ } أي: قالوا لهم، { إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.انتهى.

وفى جامع البيان لأبى جعفر الطبرى:القول في تأويل قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) }

يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك ، قال الله تعالى ذكره(فألْقَوْا) يعني: شركاءهم الذين كانوا

يعبدونهم من دون الله ، القول ، يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا.اهـ.

وقال ابن الجوزى: **{ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم } يعني : الأصنام التي جعلوها شركاء لله في العبادة ، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه ، فيقول المشركون : { ربَّنا هؤلاء شركاؤنا الذِين كنا ندعو } أي : نعبد من دونك... وقال أبو عبيدة : «فألقوا» أي : قالوا لهم . يقال : ألقيت إِلى فلان كذا . أي : قلت له . قال العلماء : كذَّبوهم في عبادتهم إِياهم ، وذلك أن الأصنام كانت جماداً لا تعرف عابديها ، فظهرت فضيحتهم يومئذٍ إِذْ عبدوا مَن لم يعلم بعبادتهم**،انتهى المراد منه.

وفيها يقول ابن كثير:**ثم أخبر تعالى عن تبرئ آلهتهم منهم أحوج ما يكونون إليها، فقال: { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ } أي: الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، { قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون } أي: قالت لهم الآلهة: كذبتم، ما نحن أمرناكم (5) بعبادتنا. كما قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف : 5، 6] وقال تعالى: { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } [مريم : 81 ، 82]**.اهـ.

23–سورة الاسراء :قلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57).

قال الطبرى:**يقول تعالى ذكره لنبيه مُحَمَّد ﷺ: قل يا مُحَمَّد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبيّ ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجنّ...ثم روى بسنده عن عبد الله قال عبد الله في هذه الآية(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) قال: قَبيل من الجنّ كانوا يعبدون فأسلموا** انتهى ملخصا ومثله عن ابن عباس والمزيد هنالك لمن شاءه.

وقال البغوى:أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة يعبدونهم. وقال عبد الله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية (1)انتهى.

ونص زاد المسير:**وفي معنى «يدعون» قولان .**

أحدهما : يعبدون ، أي : يدعونهم آلهة ، وهذا قول الأكثرين .

والثاني : أنه بمعنى يتضرعون إِلى الله في طلب الوسيلة . وعلى هذا يكون قوله : «يدعون» راجعاً إِلى «أولئك» ، ويكون قوله : «يبتغون» تماماً للكلام . وعلى القول الأول : يكون «يدعون» راجعاً إِلى المشركين ، ويكون قوله : «يبتغون» وصفاً ل «أولئك» مستأنَفاً . وقرأ ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو عبد الرحمن : «تدعون» بالتاء قال ابن الأبناري : فعلى هذا ، الفعلُ مردودٌ إِلى قوله : { فلا يملكون كشف الضُّرِّ عنكم } . ومن قرأ «يدعون» بالياء ، قال : العرب تنصرف من الخطاب إِلى الغَيبة إِذا أُمن اللَّبْس . ومعنى «يدعون» : يدعونهم آلهة . وقد فسرنا معنى «الوسيلة» في [المائدة : 35] .انتهى.

وقال ابن كثير:(**قلِ) يا مُحَمَّد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله: { ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ } من الأصنام والأنداد، فارغبوا إليهم، فإنهم " لا يملكون كشف الضر عنكم" أي: بالكلية، { وَلا تَحْوِيلا } أي: أن يحولوه إلى غيركم**.اهـ.**ثم أورد** عن ابن مسعود قوله وهو عند البخارى (**4714 و4715**) ومسلم (**5356،و5357 و5358**).

24–سورة الحج: **يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُ وَما لا يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13).**

قال القرطبى الامام :**قيل: يعبدونهم توهم أنهم يشفعون لهم غدا، كما قال الله تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ 10: 18" «1» [يونس: 18]. وقال تعالى:" ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى " «2» [الزمر: 3)** اهـ.

وفى تفسير الطبرى:

قول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتدّ عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تضرّه إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها(ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ) انتهى.

وفى معالم التنزيل:**{ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ } إن عصاه ولم يعبده، { وَمَا لا يَنْفَعُهُ } إن أطاعه وعبده، { ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ } عن الحق والرشد. { يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ } هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة:**

أولها قالوا: قد قال الله في الآية الأولى "يدعو من دون الله ما لا يضره"، وقال هاهنا: "لمن ضره أقرب"، فكيف التوفيق بينهما؟

قيل قوله في الآية الأولى "يدعو من دون الله ما لا يضره" أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: "لمن ضره أقرب" أي: ضر عبادته.

فإن قيل: قد قال: "لمن ضره أقرب من نفعه" ولا نفع في عبادة الصنم أصلا انتهى.

وفى زاد المسير:**قال السدي : ضره في الآخرة بعبادته إياه أقربُ من نفعه .**

فإن قيل : فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟

فالجواب : أنه لا نفع من قِبَلِه أصلاً ، غير أنه جاء على لغة العرب ، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون : هذا بعيد .انتهى.

قلت:وقد تم تفسير الآيتين بالتى قبلهما "ومن الناس من يعبد الله على حرف".

25-ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62).

قال الطبرى رحمه الله:يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله:(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)اهـ.

وفى زاد المسير: والمعنى : وأنَّ ما يعبدون { من دونه هو الباطل }. انتهى.

ونص القرطبى:قوله تعالى: (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) أي ذو الحق، فدينه الحق وعبادته حق. والمؤمنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق. (وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ) أي الأصنام التي لا استحقاق لها في العبادات. انتهى.

26-سورة الحج: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) .

قال ابن الجوزى رحمه الله:وتأويل الآية : جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمِعوا حالها؛ ثم بيَّن ذلك بقوله : { إِن الذين تدْعُون } أي : تعبدون { من دون الله } ، وقرأ ابن عباس ، وأبو رزين ، وابن أبي عبلة : «يدعون» بالياء المفتوحة . وقرأ ابن السميفع ، وأبو رجاء ، وعاصم الجحدري : «يُدْعون» بضم الياء وفتح العين ، يعني : الأصنام اهـ.

قال القرطبي :هذا متصل بقوله:" وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً". وإنما وإنما المعنى ضربوا لله مثلا فاستمعوا قولهم، يعنى أن الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره، فكأنه قال جعلوا لي شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبيه. الثاني– قول القتبي: وأن المعنى يا أيها الناس، مثل من عبد آلهة لم تستطع أن تخلق ذبابا وإن سلبها الذباب شيئا لم تستطع أن تستنقذه منه. وقال النحاس: المعنى ضرب الله عز وجل ما يعبد من دونه مثلا، قال: وهذا من أحسن ما قيل فيه، أي بين الله لكم شبها ولمعبودكم. (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قراءة العامة" تَدْعُونَ" بالتاء. وقرا السلمى وأبو العالية ويعقوب:" يدعون" بالياء على الخبر. والمراد الأوثان الذين عبدوهم من دون الله، وكانت حول الكعبة «1»، وهي ثلاثمائة وستون صنما انتهى.

يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ } أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به، { فَاسْتَمِعُوا لَهُ } أي: أنصتوا وتفهموا، { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ } أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروالى خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك. كما قال الإمام أحمد.انتهى.

27–سورة العنكبوت: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42).

قال السعدى:**هذا مثل ضربه اللّه لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات** انتهى.

قال القرطبى :**والمعنى: إن الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه. وقرا عاصم وأبو عمرو ويعقوب:" يدعون" بالياء وهو اختيار أبي عبيد، لذكر الأمم قبلها. الباقون بالتاء على الخطاب. قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها) أي هذا المثل وغيره مما ذكر في" البقرة" و" الحج" وغيرهما (نضربها) نبينها (للناس وما يعقلها) أي يفهمها (إلا العالمون).** انتهى.

وفى زاد المسير:**قوله تعالى : { إِنَّ الله يَعْلَمُ ما يَدْعُون مِنْ دونه مِنْ شَيء } أي : هو عالِم بما عبدوه من دونه ، لا يخفى عليه ذلك** اهـ.

28–سورة فاطر:**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14).**

فالدعاء أو "تدعون" فى الأولى بمعنى **"العبادة"** وفى الثانية بمعنى **"النداء"**.

قال الطبرى:

وقوله(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له

الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته(مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها...

قوله تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون(وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم.انتهى المراد منه.

29–سورة فاطر: قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40).

جاء فى زاد المسير:قوله تعالى : { أرأيتُم شركاءكم } المعنى : أَخبِروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعمكم ، بأيّ شيءٍ أوجبتم لهم الشركة في العبادة الكفار ؟! أبشيءٍ خلقوه من الارض ، أم شارَكوا خالق السموات في خَلْقها؟! ثم عاد إِلى فقال : { أم آتيناهم كتاباً } يأمرهم بما يفعلون { فَهُمْ على بيّنة منه } ؟! قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، وحفص عن عاصم : { على بيّنةٍ } على التوحيد . وقرأ نافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم : { بيّناتٍ } جمعاً . والمراد : البيان بأنَّ مع

الله شريكاً { بل إِنْ يَعِدُ الظَّالمون } يعني المشركين يَعِدُ { بعضُهم بعضاً } أنَّ الأصنام تَشفع لهم ، وأنّه لا حساب عليهم ولا عقاب . وقال مقاتل : ما يَعِدُ الشيطانُ الكفَّار من شفاعة الآلهة إِلاَّ باطلاً .انتهى.

30–سورة الزمر: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38).

فى تفسير الطبرى:يقول تعالى ذكره لنبيه مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ولئن سألت يا مُحَمَّد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض ؟ ليقولن: الذي خلقه الله ، فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة(إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ) يقول: بشدة في معيشتي، هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ الخ.

وقال ابن كثير:وقوله: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } يعني: [أن] (6) المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما (7) لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؛ ولهذا قال: { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } أي: لا تستطيع شيئا من الأمر (8).انتهى.وانظر زاد المسير.

31–سورة غافر:وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (20).

قال فى جامع البيان: وقوله:(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئا، ولا تقدر على شيء، يقول جلّ ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئا، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.انتهى.

32–سورة غافر:قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66).

والعجيب أن الآية تفسر نفسها كما نرى.

33- وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86)وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87).

قال الطبرى :قوله:(إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) قال: كلمة الإخلاص، وهم يعلمون أن الله حقّ، وعيسى وعُزير والملائكة يقول: لا يشفع عيسى وعُزير والملائكة إلا من شهد بالحقّ، وهو يعلم الحقّ.

وقال آخرون: عني بذلك: ولا تملك الآلهة التي يدعوها المشركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة إلا عيسى وعُزير وذووهما، والملائكة الذين شهدوا بالحقّ، فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحقّ، وشهادته بالحقّ: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخصص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله.انتهى.

وفى زاد المسير:{ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ } وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون "من" في محل الرفع، وقيل: "من" في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا من شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } يصرفون عن عبادته.انتهى.

الــدعاء قســمــان

ويحاول المجوّزين للاستغاثة لإفهام من يرونها شركا أن بالتأمّل نجد كلمة "الدعاء" تأتى بمعنيين فى التنزيل-**دعاء العبادة** الآتى فى أكثر الخطاب مع الكفار **ودعاء المسألة** الذى لا يشكّل عبادة إلا بشروط مقترنة.

وكما أن إخواننا "أهل السنة" أخطأوا فى خلط الأول مع الثانى وقالوا إن الاستغاثة شرك كذلك جعلوا معنى"النداء" لها والحال أنها أحد معانيها فى اللغة العربية فرأوا كل من دعا أى نادى ميتا أو بعيدا منه عابدا له!وكل هذا نتيجة الخطأ فى تفسير الآيات السابقة والتى في بعضها كلمة "الدعاء" بمعنى "العبادة".ولإخواننا بقية من الاحتجاج.

دعاء المسألة يتضمّن دعاء العبادة

. قال ابن تيمية فى مجموع فتاويه(**15/120-121**،و**10-15**):**دُعَاءِ وَكُلُّ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ .وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ } يَتَنَاوَلُ نَوْعَيْ الدُّعَاءِ . وَبِكُلِّ مِنْهُمَا فُسِّرَتْ الْآيَةُ . قِيلَ : أُعْطِيهِ إذَا سَأَلَنِي . وَقِيلَ : أُثِيبُهُ إذَا عَبَدَنِي.وَالْقَوْلَانِ مُتَلَازِمَانِ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ كِلَيْهِمَا أَوْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ ؛ بَلْ هَذَا اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِيقَتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ عَظِيمُ النَّفْعِ وَقُلْ مَا يُفْطَنُ لَهُ** . وقد قال قبله: **وَكُلُّ مَنْ يَمْلِكُ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ فَإِنَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ . وَلِهَذَا أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى مَنْ عَبَدَ مَنْ دُونِهِ مَا لَا يَمْلِكُ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا . وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ }**

وَقَالَ : { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } فَنَفَى سُبْحَانَهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْبُودِينَ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ الْقَاصِرَ وَالْمُتَعَدِّيَ فَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِعَابِدِيهِمْ . وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ الْمَعْبُودَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِلنَّفْعِ . وَالضُّرِّ فَهُوَ يَدْعُو لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ وَيَدْعُو خَوْفًا وَرَجَاءً دُعَاءَ الْعِبَادَةِ فَعُلِمَ أَنَّ النَّوْعَيْنِ مُتَلَازِمَانِ فَكُلُّ دُعَاءِ عِبَادَةٍ مُسْتَلْزِمٌ لِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ انتهى.

وقال أيضا: وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ دُعَاءَ الْمُشْرِكِينَ لِأَوْثَانِهِمْ فَالْمُرَادُ بِهِ دُعَاءُ الْعِبَادَةِ الْمُتَضَمِّنُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ فَهُوَ فِي دُعَاءِ الْعِبَادَةِ أَظْهَرُ ؛ لِوُجُوهِ ثَلَاثَةٍ : " أَحَدُهَا " أَنَّهُمْ قَالُوا : { مَا نَعْبُدُهُمْ إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى } فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ دُعَاءَهُمْ إيَّاهُمْ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ . " الثَّانِي " أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى : فَسَّرَ هَذَا الدُّعَاءَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } { مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ } وقَوْله تَعَالَى { إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } . وقَوْله تَعَالَى { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } فَدُعَاؤُهُمْ لِآلِهَتِهِمْ هُوَ عِبَادَتُهُمْ . " الثَّالِثُ " أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الرَّخَاءِ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الشَّدَائِدُ دَعَوْا اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَرَكُوهَا وَمَعَ هَذَا فَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا بَعْضَ حَوَائِجِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنْهَا وَكَانَ دُعَاؤُهُمْ لَهَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ . وقَوْله تَعَالَى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } هُوَ دُعَاءُ الْعِبَادَةِ وَالْمَعْنَى اُعْبُدُوهُ وَحْدَهُ وَأَخْلِصُوا عِبَادَتَهُ لَا تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ . انتهى.

أدلـة ابن تـيمـية

وقد اعتمد ابن تيمية فى دعواه أن دعاء المسألة يتضمّن دعاء العبادة على ثلاثة أشياء:

1–آية الزمر:وقد أوردها حيث قالوا "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله".

2–آية الشعراء والأنبياء والكافرين والتى فيها التصريح بذلك.

3–" أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فِي الرَّخَاءِ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الشَّدَائِدُ دَعَوْا اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَرَكُوهَا وَمَعَ هَذَا فَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا بَعْضَ حَوَائِجِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنْهَا وَكَانَ دُعَاؤُهُمْ لَهَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَدُعَاءَ مَسْأَلَةٍ .

وقَوْله تَعَالَى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }.

وقد زاد آيات إبراهيم (39) ومريم(4)والاسراء (110)والطور (28) التى تتحدث عن دعاء المسألة وإن فسر الأخيرة بدعاء العبادة بعد المسألة.

أدلـة ابن تيميـة فى الميـزان

ومن الجدير بالملاحظة من كلامه:

1–أنه اختار ما يثبت رأيه من الآيات– أى أن دعاء المسألة يتضمّن دعاء العبادة–ونرك ما يضادّه مما وقف على أمثاله القارئ فى هذا البحث،وقد قلنا إن الآيات متنوّعة:بعضها متحدّثة عن المسألة فحسب،وبعضها عن العبادة،وأخرى عن كليهما،لسبب نذكره لاحقاً.

2–ساق ابن تيمية النوع المتكلم عن الموضوعين،دون تبيين حقيقة لم تكن خافية على مثله.والحقيقة هى:أن هذا النوع من الآيات إذا عني به المسألة فإنه يوجد الخطاب معجزاً للكفار أى:"ادعوهم" أو "ادعوا هؤلاء الذين تدعون(دعاء العبادة زاعمين أنهم شفعاء) ليشفعوا لكم"!

بتوضيح آخر:

1-أن الكفار كانوا يدعونهم بقصد العبادة

2-أنهم كانوا يدعونهم آلهة زاعمين (أو سائلين إياهم) أنهم قادرون على شفاعتهم بقدرة مستقلة.

3-ولهذا عابهم الله تعالى على عبادة الأصنام فى الأنبياء (98) والكافرين وكما صرّحوا به فى الزمر كما مر سرده،وليس لمجرد الدعاء كما يدّعيه ابن تيمية!

وآيات البقرة(186)،والفرقان(73) ونحوها مما فيه دعاء المسألة والعبادة يفسر كلها بما هو أقرب من المعنى المناسب بسياقها.وحين التفسير بالعبادة فلا بد من اعتبار الشروط اللازمة لصحة العبادة.

4-وهذه الآيات جاءت بدعاءي المسألة والعبادة لمقابلة الكفار بأن يدعوا من كانوا يعبدون فى الدنيا ليشفعوا لهم-لأنهم-1-عبدوهم كما ثبت و2-زعموا أنهم شفعاء لهم وأنهم يجزونهم يوم القيامة .فليس الدليل لتضمّن كل دعاء مسألة لدعاء العبادة مقتضى اللغة العربية أو ورودها فى الآيات التى ذكرها من القرآن ،بل الدليل القرينتان السابقاتان!

وعليه فدعواه التلازم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة ليس صحيحاً!

الأمـــثلة على قولـــــنا

1-سورة الكهف:**وَيَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (52).**

2-سورة الأنعام :**وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)**

3-سورة الأعراف:**أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ (195) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)**

فقد أبرز المعنى الآيات التالية (195،193 و198).وقلنا سابقا إن الآية (194) فيها الدعاء بمعنى العبادة والنداء، وإن روى الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما فالثلاثة السابقة واضحة فى النداء كما مهّدت (191) القائلة: **أَيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191).**

والمهم لو كانا متلازمين لما استغاث السلف كما سنذكره،وكانوا مشركين بالله،ولن نجترأ على التفوّه بهذا!

قال القرطبي :**قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ) حاجهم في عبادة الأصنام." تدعون" تعبدون. وقيل: تدعونها آلهة." من دون الله" أي من غير الله. وسميت الأوثان عباد (ا)لأنها مملوكة لله مسخرة. الحسن: المعنى أن الأصنام مخلوقة أمثالكم. ولما اعتقد المشركون أن الأصنام تضر وتنفع أجراها مجرى الناس فقال: (فَادْعُوهُمْ) ولم يقل فادعوهن. وقال:" عباد"، وقال:" إِنَّ الَّذِينَ" ولم يقل إن التي. ومعنى" فَادْعُوهُمْ" أي «1» فاطلبوا منهم النفع والضر. أن عبادة الأصنام تنفع. قال ابن عباس: معنى فادعوهم فاعبدوهم. ثم وبخهم الله تعالى وسفه عقولهم فقال:" أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها" الآية. أي أنتم أفضل منهم فكيف تعبدونهم**.انتهى.

مغالطة فى تعريف الشفاعة

من تتبّع هذه المدرسة لتصفية التوحيد وإزالة الشرك بالله فلا شك أنه معرض للتناقض الذى يحول بينه وبين ما تريد تعليمه للأمة.فمثلا خلط علمائها بين أشياء حتى يكاد متّبعيهم يقول إنهم يعلّمون الناس ما لا يعلمون.ومن هذا القبيل الشفاعة،والتى يظهر عدم الفهم الصحيح لها أو خلط طلبها بالعبادة نتيجة دعوى التلازم **بين دعاء المسألة ودعاء العبادة**.فهاهنا أمور:

1-الشفاعة معناها مجملا:طلب الشيء لأحد من أحد،وغالبا ما من الأدنى إلى الأعلى.وفى لسان العرب(183/8): **والشَّفاعةُ كلام الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ في حاجة يسأَلُها لغيره وشَفَعَ إِليه في معنى طَلَبَ إِليه والشَّافِعُ الطالب لغيره يَتَشَفَّعُ به إِلى المطلوب يقال تَشَفَّعْتُ بفلان**

إلى فلان فَشَفّعَني فيه واسم الطالب شَفِيعٌ... قد تكرر ذكر الشَّفاعةِ في الحديث فيما يتعَلَّق بأُمُور الدنيا والآخرة وهي السُّؤالُ في التَّجاوُزِ عن الذنوب والجَرائِمِ والمُشَفِّعُ الذي يَقْبَل الشفاعة والمُشَفَّعُ الذي تُقْبَلُ شَفاعَتُه انتهى.(وقد التقطنا بعضه من فتح البارى).

2-مع الخلاف فى الموضع الذى يطلب فيه المشركون الشفاعة من أصنامهم،الأصح أن ذلك فى الدارين(وقد سبق حديث الأعمى فى التوسل)لمثل آيات يونس: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18).

3-قد أثبت الله تعالى الشفاعة بشروطها فى آيات متعددة ومنها:

الزخرف: وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86)،ومريم: لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (87)،وطه: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (109)والنجم: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى (26) وسبأ :لَا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23)والأنبياء: يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28)وآيات أخرى.

4-لم يكن الله تعالى ليأمر بالمعصية كما تفيد الأعراف: وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (28) وآل عمران:وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)

5- نفس ابن تيمية يثبت الشفاعة مقيدة بقيود فقال فى فتاويه(55/7 و 77-78): { **وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } فَنَفَى عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إلَّا الشَّفَاعَةُ ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإِذْنِهِ } وَقَالَ تَعَالَى عَنْ الْمَلَائِكَةِ : { وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } . وَقَالَ : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } . فَهَذِهِ " الشَّفَاعَةُ " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ . وَأَمَّا مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَكُونُ . فَأَخْبَرَ : { أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا . فَإِذَا سَجَدَ وَحَمِدَ رَبَّهُ بِمَحَامِدَ يَفْتَحُهَا عَلَيْهِ ؛ يُقَالُ لَهُ : أَيْ مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَك وَقُلْ تُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ أُمَّتِي فَيَحُدُّ لَهُ حَدًّا فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ . وَكَذَلِكَ فِي الثَّانِيَةِ وَكَذَلِكَ فِي الثَّالِثَةِ وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : مَنْ قَالَ : لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ } . فَتِلْكَ " الشَّفَاعَةُ " هِيَ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ لَيْسَتْ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ وَلَا تَكُونُ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ الشَّافِعِ الَّذِي أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ بِذَلِكَ وَيَنَالَ بِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ والآخرون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَسْتَسْقِي لَهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ وَتِلْكَ شَفَاعَةٌ مِنْهُ لَهُمْ فَكَانَ اللَّهُ يُجِيبُ دُعَاءَهُ وَشَفَاعَتَهُ .**

6-ابن عبد الوهاب يثبتها كما فى شرح كشف الشبهات(ص 50).

7–لقد علق المدرسة الشرك على ممارسة الاستغاثة بمن لا قدرة له على المطلوب،وقد أثبتوا للنبي ﷺ القدرة عليها بعد الإذن الالهى وهكذا سائر المسلمين.

8–سورة الأنعام: **وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)**.

فقد شمل عمل الكفار فى الآية أمرين:شرك عبادتهم وشرك اعتقاد قادرين على شفاعتهم.وليس المقصود تسمية كل نوع من الشفاعة شركا كما فسرها ابن عباس، ففى زاد المسير: **وفي شفعائهم قولان** .

أحدهما : أنها الأصنام . قال ابن عباس : شفعاؤكم : أي : آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم . و { زعمتم أنهم فيكم } أي : عندكم شركاء . وقال ابن قتيبة : زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء .

والثاني : أنها الملائكة كانوا يعتقدون شفاعتها ، قاله مقاتل .انتهى.**فالشرك الثانى إما اعتقاد شفاعة الأصنام أو الآلهة أو قدرتهم على الخلق.**

.ومثلها آية الروم: **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13)**.

9–وآيات مثل الفرقان: **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55)** تحدّث عن عبادة الكفار لغير الله تعالى بدون اتخاذ المعبود شفيعا،ونوع آخر فيها اعتقاد شفاعتها دون التعرض لشركيّة ذلك(وسبق النماذج لها)،وقد ذكرنا معناها بما فى وسعنا فيما تقدم.

أسـئلـة هـامــة

1-بعد ما سبق،ما معنى قول ابن تيمية إن الشفاعة المنفية فى القرآن هى المقترنة بالشرك؟

وقول ابن عبد الوهاب فى شرح كشف الشبهات: **فإن قال: النبي -ﷺ- أعطيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله، فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا. فقال تعالى: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [سورة الجن، الآية: 18]...**

فدعاء غير الله وهو دخل في قول الله تعالى: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ؛ لأنه شبهة. يقول: طلب الشفاعة ما هو بدعاء، إذا قال: يا رسول الله اشفع لي، دعاء غير الله، فيكون مشركًا، لكن الناس حينما يسألون الرسول -ﷺ- يوم القيامة، هذا لا بأس. الرسول حي حاضر قادر، إذا دعوت حيًا حاضرًا قادرًا، إن دعوت حيًا حاضرًا قادرًا وقد لا يكون، فهذا شرك.

لكن إذا دعوت ميتًا أو غائبًا لا يسمعان، يكون هذا شرك، والناس في حياة النبي -ﷺ- يطلبون منه الشفاعة، فهذا جابر - رضي الله عنهما - طلب من النبي -ﷺ- أن يشفع له من حرماهما من اليهود لأن يخفي دينه، وهذا مغيث زوج بريرة طلب من النبي -ﷺ- أن يشفع له عند بريرة حتى تأتي معه لما أُعتقت، وفي يوم القيامة يسأل الناس النبي -ﷺ- الشفاعة، لكن بعد موته لا يُسأل إذًا، فإذا أحياه الله يوم القيامة وسأله الناس فهو حيٌ حاضرٌ، فلا يكون هذا شركًا. اهـ.

2-إذا الفرق واضح بين طلب الشفاعة والشرك.

3-ألم يطلب الصحابة الشفاعة من النبى فى زمن حياته؟

4-ألم يرد فى الأحاديث الصحيحة قدرة النبي والصالحين على الاطّلاع على الأحداث فى الدنيا بعد انتقالهم(كما يأتى)؟

مـــا فات هـــؤلاء القوم

يمكن أن ننسب لإخواننا نسيان ما قالوا من "أن طلب الشيء ممن لا يقدر عليه أو من الغائب أو الميت هو الشرك،أما مع القدرة عليه فليس ذلك من الشرك فى شيء".فلو ضم هذا القول إلى حقيقة الشفاعة التى هى طلب العون من الله تعالى على شيء من خلال عبد صالح نجدها غير الشرك،للإذن فيها للنبي المطلوب منه أو الصحابى أو الرجل الصالح. وأعجب منه أنه لما أثبت المدرسة توحيد الربوبية للمشركين الكفار وهو الإقرار بالقدرة على الخلق والإرزاق وجميع النفع والضر لله تعالى وحده-وقالت إنما صرفوا العبادة لغيره-فمن الغريب نسبة الشرك إليهم(المشركين الموحّدين فى الربوبية) فى طلب الشفاعة!

وإلا انهدمت تلك الدعوى-وهو اللازم لا سبق ذكره.وأقصد المشركين القدامى المعروفين أو استُنبط شركهم فى العصر الحديث!

كـلام الفـوزان فى الميـزان

وقد كرر الشيخ صالح الفوزان كلام ابن تيمية وهو أن دعاء العبادة متضمّن لدعاء المسألة وان السائل عابدا لمسئوله كما فى إعانة المستفيد والواسطة.وبالنظر العابر يدرك القارئ الخطأ القريب فى هذا الاستنتاج.أولا،دعوى أن كل سؤال عبادة كما ادّعى عبادة من قرأ الفاتحة أو سبّح الله يلزمنا الحكم لمن استغاث بسيدنا موسى عليه السلام من شر القبطي بأنه عبده!وهم -إخواننا-لا يقولون بذلك!

ثانيا،ن المعلوم والممكن أن يسأل الله العبدُ حاجته دون قصد للعبادة وإن كان ذلك عبادة عند الله، كما يمكن أن عبد الله مقرونا بسؤال الحاجة كالصلاة والصيام إضافة إلى محض العبادة.فلو قال:لا يعبد المرء أحدا إلا بالنظر إليه مستحقًّا لسؤال الحاجة منه،أو قال–هو وأمثاله–سؤال العبد ربه فى حاجته إن كان على وجه شرعيّ عبادة لصحّت مقالته،لأن كل عمل عمله العبد كما شرعه الله تعالى وأمر به عبادة مأجورة ولو ضمّ تلذّذاً.

أســئلــة لإخـوانــا "أهل السنة"

بما أنكم تتّهمون المستغيثين بالشرك فى الألوهية وهم موحّدون فى الربوبية كالمشركين فى زمن النبى ﷺ:

1- على أننا رأينا تفريق العلماء بين دعاء العبادة ودعاء المسألة،فأنى لكم إقحام الاستغاثة فى الشرك وهى دعاء طلب؟

2-إننا بالتفريق بين الدعاءين حكمنا بانفصالهما،فكيف جعلناها شيئا واحداً؟

وإن قلنا الدليل هو اعتقاد قدرة المستغيث- وهو شرط صحيح للشرك–فبدونه تجوز الاستغاثة وهو ما نقول!

3-وإن قلنا هى عبادة لطلب ما لا يقدر عليه المسؤول فكيف نسمّيه شركا فى الألوهية والحال أن أكثر الطلب–إن لم نقل كله–داخل فى مجال الربوبية كالنجاة والرزق ونحوها؟

4-وإذا كانت الاستغاثة شركا فى الربوبية كما يدعمه الدليل فأنى لنا إثبات التوحيد فيها_أى الربوبية–لمشركي وكفار الزمن الماضى والحاضر؟

حـلّ شبـهات إخواننـا فى الاسـتغاثـة

جاء فى كل من القول المفيد وإعانة المستفيد كلام الشيخ عثيمين والفوزان أن الدعاء ينقسم لدعاء مسألة ودعاء عبادة وأن سؤال ما لا يقدر عليه المسؤول شرك كما قص الله تعالى خبر من طلب الغوث من سيدنا موسى(فى سورة القصص:15).

وزادا أن المستغيثين بالأموات من الأولياء والصالحين الغائبين والجن عند القبور وغيرها من الأماكن كلهم مشركون.وردّده ابن عبد الوهاب فى شرح كشف الشبهات وقال إن الله تعالى أعطى النبى الشفاعة ولكن نهى أن يسألها وقد قالوا كلهم إن الناس لا يسألون الأنبياء فى ساحة القيامة إلا ما هم قادرون عليه،فه متوسلون بهم فحسب!

أدلـة سـؤال الشـفاعة والاسـتغاثـة

وأكبر مشكلة الخصوم لفاعل هذه الأشياء –فى نظرى–إما قلة البحث العلمى فيها علميًّا وإما الجهل بحقيقة ما يقدر عليه المسؤول مما لا يقدر عليه.

سـؤال الشـفاعة فى حيـاة النبى ﷺ

أخرج الترمذى (2620 و 2433)– ... حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ –ﷺ– أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ « أَنَا فَاعِلٌ ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ « اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ ». قَالَ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ « فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ ». قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ « فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا

حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.انتهى.وهو فى المسند (12848 و12414).

سـؤال الشـفاعة بعد المـمات

إذا تمهّد أن الشفاعة شاملة لكل طلب من الله تعالى من خلال عبد مقرّب –وهو التحقيق فيها–سواء كان الطلب لرحمة فى الدار الآخرة أو حاجة فى الدنيا فلا فرق بينها وبين الاستغاثة بالنبى أو عبد صالح.وعليه فكل ما صح حجة للاستغاثة بالميت يصح أيضا حجة لطلب الشفاعة بعد الممات.

ثانيا،أصل غلط إخواننا كان فى زعمهم أن الميت لا يسمع دعاء الحي المنادى له فضلا عن إجابته،وهو نتيجة خطإهم فى تفسير بعض الآيات كالنمل (80) **إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80)**.

(قال القرطبى :(إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى) يعنى الكفار لتركهم التدبر، فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل. وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن. (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ) يعنى الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون، نظيره" صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ" كما تقدم... وقد احتجت عائشة رضى الله عنها في إنكارها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسمع موتى بدر بهذه الآية، فنظرت في الامر بقياس عقلي ووقفت مع هذه الآية. وقد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:" ما أنتم بأسمع منهم" قال ابن عطية: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقاله ولولا إخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين... وقد عورضت هذه الآية بقصة بدر وبالسلام على القبور، وبما روي في ذلك من أن الأرواح تكون على شفير القبور في أوقات، وبأن الميت يسمع قرع النعال إذا انصرفوا عنه، إلى غير ذلك، فلو لم يسمع الميت لم يسلم عليه. وهذا واضح وقد بيناه في كتاب" التذكرة".الخ.)

والروم(52) **فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52)**

(وهى كالسابقة)وربما عدة أحاديث.وصفوة القول أن الخطأ الثانى نتيجة الأول فإنهم لما خلصوا إلى أن الميت لا يسمع النداء فضلا عن الإجابة ولا يقدر على نفع الحي أو ميت آخر،وإنما ينفعه الحي،فكل نداء أو سؤال للطلب منه "**شرك**"!

حيـــاة الموتـى

ومن الجدير بمعرفته أن موت الإنسان ليس فقدانا لروحه،بل هو انتقال من عالم الأجساد إلى البرزخ-أى هو تغيير فى شكل الحياة.(راجع التذكرة للعلامة القرطبى).

أخرج الحاكم (7849) والبيهقى فى الشعب (9761) والطبرانى (3791) الحاكم والبيهقى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما **يقول و هو على المنبر : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ألا أنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم** انتهى.

وإن قال الذهبي في تلخيص المستدرك :فيه مجهولان ففى تفسير ابن كثير (**440/3 و 209**):**وقد ورد: أن أعمال الأحياء تُعرَض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: "اللهم، ألهمهم أن يعملوا بطاعتك". (3)**

وقال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق، عن سفيان، عمَّن سمع أنسًا يقول: قال النبي ﷺ: "إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم، لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا".انتهى.

بل فى فتاوى ابن تيمية ما نصه(368/24): **ولما كَانَتْ أَعْمَالُ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتَى كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِك أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا أُخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ " . فَهَذَا اجْتِمَاعُهُمْ عِنْدَ قُدُومِهِ يَسْأَلُونَهُ فَيُجِيبُهُمْ** انتهى المراد مما دل على ثبوت الرواية عندهما.

وقد ذكر ابن القيم فى كتاب الروح أن لأرواح المؤمنين قوة فوق ما لهم قبل الممات بحيث يحضرون ميادين القتال وينصرون المسلمين وأن السلف ومنهم الامام مالك أثبتوا ذلك.

ثم أنت بالرجوع إلى فتح الحافظ تجد قوله فى حديث تعذيب الميت ببكاء أهله: **قال الطبري ويؤيد ما قاله أبو هريرة أن أعمال العباد تعرض على اقربائهم من موتاهم ثم ساقه بإسناد صحيح إليه وشاهده حديث النعمان بن بشير مرفوعا أخرجه البخاري في تاريخه وصححه الحاكم** انتهى كلام الحافظ بن حجر.

حيـاة الأنبـياء بعـد الممـات

لما أخبر القرآن الكريم بأن شهداء المعركة غير أموات كما فى البقرة: **وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ (154)** وآل عمران: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)** ونحن متيقنون من أنهم لم ينالوا ذبك إلا بتصديقهم لرسالة لأنبياء،ولما دلت الأحاديث السابقة على قدرة المؤمنين وسماعهم أخبار الدنيا بعد مماتهم،فالأنبياء يليق بهم ما هو أفضل مما للفريقين.

ومن ثم كان للحافظ البيهقى جزء "حياة الأنبياء"كما للحافظ السيوطى رسالة "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء".

ومقام نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أعلى وأعلى من ذلك كله.فقد روى البزار فى مسنده(1925) **عَنْ عَبْدِ اللهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**.انتهى.

ومن أراد البيان الشافى عن الحديث فعليه بجزء الحافظ عبد الله الغمارى "نهاية الآمال بصحة وشرح حديث عرض الأعمال".وأيضا أخرج أبو داود فى باب زيارة القبور(2041): **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**.انتهى.

فـمـاذا نفـهـم؟

1-أن الميت المؤمن الذى مات على الصراط تبلغه الأحداث فى الدنيا بعد وفاته ولا سيما ما يتعلق بهلا كما يقول إخواننا.

2-أنه يستطيع المطلوب منه بحسب مكانته عند الله بشرط جواز الطلب وضوابطه فى الشرع كما جاء فى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح،كمسالة الشفاعة السابقة.

3-ومما يستطيعه النبي أو الميت المؤمن الاستغفار للحيّ عند الله وهو نوع من الدعاء كما رأينا قريبا أن المؤمنين يستغفرون الله لأقاربهم.إذا يجوز أن يطلب الدعاء- ويوجد توفيقا- من الميت فى حاجة كما يوجد العون منه فى غير ذلك من النصر فى القتال ونحوه مما أفاده ابن القيم.

تنبيه:هذه الأحاديث كغيرها من المخصّصات مثل حديث "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث-صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" مما أخطأ الناس فى معناه.

الإعتمـاد على بعـض الأحـاديـث

ومن حجتهم ما وراه الطبرانى-وهو مفقود من نسخته الموجودة –وأخرجه أحمد فى المسند **:حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا موسى بن داود ثنا بن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلا سمع عبادة بن الصامت يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أبو بكر** ﷺ **: قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه و سلم من هذا**

المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى انتهى ولفظ الطبرانى **"لا يستغاث بى إنما يستغاث بالله عز وجل"**.

2–ما أخرج الترمذى(2706) **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**.انتهى.

الحـديث الأول فى المـيزان

1–أولا،لا يليق بمن يدعى العمل بالصحيح من الحديث أن يستدلّ بهذا الضعيف المضطرب! قال الامام ابن كثير ما أثبت ضعفه فى تفسيره(174/3، 333/5) ولو لم يقل ذلك فلا يخفى حال عبد الله ابن لهيعة على طالب علم الحديث.

ونص ابن كثير:**قال ابن أبي حاتم، رحمه الله: ذكر عن زيد بن الحباب، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا الحارث بن زيد الحضرمي، عن علي بن رباح اللخمي، حدثني من شهد عبادة بن الصامت، يقول: كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق، ﷺ، يُقْرِئُ بعضنا بعضا القرآن، فجاء عبد الله بن أبي بن سلول، ومعه نُمْرُقة وزِرْبِيّة، فوضع واتكأ، وكان صبيحًا فصيحًا جدلا فقال: يا أبا بكر، قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون؟ جاء موسى بالألواح، وجاء داود بالزبور، وجاء صالح بالناقة، وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة. فبكى**

أبو بكر، ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: قوموا إلى رسول الله (2) ﷺ نستغيث به من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: "إنه لا يقام لي، إنما يقام لله عز وجل" .**ثم** قال: **وهذا الحديث غريب جدًا**.انتهى.

2-كل من له أدنى إلمام بعلم الحديث يعلم عدم الحاجة لتأويل ما لم يصح إذا جاء فيه إشكال.

3-ثالثا،ومعنى هذا الحديث بفرض صحته:لو كنت مستعينا بالنبى أو بشيء فإنما ذلك فى الظاهر،فإنك فى الحقيقة مستعين بالله تعالى كما فى سورة الأنفال: **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)** والفتح: **إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (10)**.

4-وهذا ما فسره الامام الطبرانى نفسه-راوى الحديث-وفهمه منه كما نرى إن شاء الله.ويفسر رواية المسند بأن الله وحده هو المستحق للقيام عبادةً وإن خالف هذا مقصود الخصوم.

5-وقد بين الدكتور محمود صبيح فقدان الحديث من نسخ الطبرانى الموجودة وهو كما قال، فالحمد لله.

الحــديث الثــانى فى الميــزان

موضوع الحديث هو تعليم التوكل على الله كسابقه وإن أخذت بالسبب فى طلبك للشيء،وليس نفيا للانتفاع بأحد أو نهيا عن الاستعانة به.ولذا قال فى آخره : **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ"**. **فدل على جواز الانتفاع بأحد ولو بتفويض الأمور كلها لله**.(أفاد هذا الشيخ مُحَمَّد بن علوي فى مفاهيمه).وزاد الدكتور محمود صبيح إن الحديث موضوعه تعليم التوحيد للمبتدئين.

الحــديثــان

من فسر الحديثين بمعنى النهى عن الاستعانة بأرواح الصالحين فلأنه-كما قلنا-جهل مفهوم الموت والفرق بين ما يستطيعه الصالحون بعد الممات وما لا يستطيعونه،ومثله من أطلق النهى على كل من الأحياء والأموات.

أدلــة الاســتغاثــة بالأمــوات

1-روى الامام ابن أبي شيبة والبيهقى وابن عساكر بإسناد صحيح كما قاله الحافظ ابن حجر فى الفتح(495/2)وابن كثير فى البداية(91/7-92 و 105)ونصه المختصر: **عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لامتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله**

ﷺ في المنام فقال: إيت عمر فأقره (2) مني السلام واخبرهم أنهم مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس.

فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه (3).

وهذا إسناد صحيح.انتهى كلام ابن كثير.وقد أورده جماعة اقتصرنا على هؤلاء.وفيه استشفاع واضح واستغاثة صريحة بالنبي بعد وفاته مما يسمون شركا كما يأتى أسفله.

2-جاء فى تذكرة الحفاظ للقيسرانى(3 / 974- 973) وسير الذهبى (400/16-401) (و 473/31) ونفس الذهبى فى تذكرة الحفاظ (121/3-122) ونصه:**وروي عن أبي بكر بن أبي علي قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم, فلما كان وقت العشاء حضرت القبر وقلت: يا رسول الله الجوع؛ فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير وقال: شكوتموني إلى النبي -ﷺ- رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم** انتهى.

دروس هــامّــة

1-كما ذكرنا،هذا الحافظ الطبرانى نفسه راوى الحديث-المفقود-الذى بسببه يكفر هؤلاء المسلمين -جهلاً-لم يفهمه كما فهموه!اللهم إلا أن نتهمه بنبذ الحديث والضرب به عُرض الحائط هو والحافظان المذكوران.وكلهم عاشوا من آخر القرن الرابع إلى وسط الخامس-ابن المقرئ توفى 381 والطبرانى 362 وأبو الشيخ 369 رحم الله الجميع.

2-فهل -بتعليم مدرسة إخواننا أن سؤال أهل القبور شرك-أشرك هؤلاء الحفاظ وأرادوا أن يقتدي الناس بهم فى شركهم بتدوينه فى كتب التراجم والسير؟

3-وقد يقول قائل بعدم عصمتهم -لأنهم ليسوا أنبياء- من الخطأ وهو حق،فما حكم العمل بما نقلوه لنا مما نعبد الله تعالى به والحال أنهم واقعون فى الشرك؟

4- بما أنهم عاشوا وماتوا قبل ولادة ابن تيمية فما قولنا فى دعواه فى الفتاوى (159/1) حيث قال:

وَأَمَّا دُعَاءُ الرَّسُولِ وَطَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنْهُ وَطَلَبُ شَفَاعَتِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ فَهَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَصْدُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْقَبْرِ مَشْرُوعًا لَفَعَلَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَكَذَلِكَ السُّؤَالُ بِهِ فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ وَسُؤَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ؟ . فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَا فِي الْحِكَايَةِ الْمُنْقَطِعَةِ مِنْ قَوْلِهِ " اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ "كَذِبٌ عَلَى مَالِكٍ مُخَالِفٌ لِأَقْوَالِهِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَفْعَالِهِمْ الَّتِي يَفْعَلُهَا مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ وَنَقَلَهَا سَائِرُ الْعُلَمَاءِ إذْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَسْتَقْبِلْ الْقَبْرَ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ وَيَسْتَشْفِعَ بِهِ يَقُولُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْفَعْ لِي أَوْ ادْعُ لِي أَوْ يَشْتَكِي إلَيْهِ مَصَائِبَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْ يَطْلُبُ مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الْمَوْتَى مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْ مِنْ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا يَرَاهُمْ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُ أَوْ يَشْتَكِيَ إلَيْهِمْ الْمَصَائِبَ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ فِعْلِ النَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنْ مُبْتَدِعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ انتهى المراد منه؟

وفى (**265/1**) قال:**وَفِي الْجُمْلَةِ فَقَدْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ السُّؤَالُ بِهِ بِخِلَافِ دُعَاءِ الْمَوْتَى وَالْغَائِبِينَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ وَالشَّكْوَى إلَيْهِمْ**

فَهَذَا مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَلَا رَخَّصَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ انتهى كلامه.

قلت-البشير-:ألم يكن هؤلاء الحفاظ من المسلمين؟ أم كانوا مسلمين ولكن لم يكونوا من العلماء؟

5-بفرض الفراغ عن فعل الطبرانى وصاحبيه،فالأثر الأول الذى لا غبار على صحته يدل على:

1-يدل على فهم الصحابى(وهو بلال بن الحارث كما جاء)جواز إتيان قبر النبى صلى الله عليه وسلم وسؤاله فى حاجة الأمة ودون اعتبار ذلك شركا.

2-ذهابه بعد رؤيته وبشارته فيها إلى الخليفة عمر وإخباره وعمل عمر بالرؤيا(وهو قضية أخرى مما نصل إليه)وعدم توبيخه من الخليفة بأنه اشرك بالله.

3-بما أن الله تعالى يُجري الحق على لسان سيدنا عمر وقد صدّق هذه الرؤيا عمليًّا،نقول لقد وقع الله تعالى ورسوله على فعل هذا الرجل الذى أتى القبر الشريف واستغاث بصاحبه ﷺ.

4-لم يقل سائر الصحابة الذين شاهدوا الواقعة ونقلوها لنا لصاحبها:أنت مشرك كما يقال للمستغيثين فى زمننا.

5-ومن أصرّ على تضعيفه من المتنطعين كالألبانى-ولا يضر الأثر قوله-فلن يفرّ من السؤال:ما فائدة وروده فى كتب العلماء المعزوّ إليها؟

6-إن العاقل ليتعجب من أن يخفى الشرك على مثل عمر أحد الخلفاء الراشدين أو يقرّ عليه هو ومن بعده من الأئمة والعلماء ولا يكتشفه إلا ابن تيمية؟ أثم نوع من الإشراك بالله لا يتفطن له إلا ابن تيمية وتلاميذه؟

مــزيد مـن البــيان

وينبغى أن نعلم أنه ليس من العجيب أن يدعو النبي أو الولي لحيّ ويسأل له حاجة من الله بعد انتقاله من الدنيا،لأن الروح هو المحرّك للبدن فى دار الدنيا قبل تحرك الإنسان.والجسد هو المتوفى وتفارقه الروح عند نزول الأجل.ومن ثم يعجز النائم عن بعض من أفعال الحي اليقظان. وأيضا اتخاذ وسيلة بين العبد وربه لا يعنى نسبة العجز لله سبحانه كما يزعمه أناس وقالوا فيه تشبيه الرب المعبود بالملك العاجز المحتاج للحراس والمبلّغين لحوائج العباد.فهذه فكرة خاطئة للآتى:

1-لقد علم الرسول المبعوث نفسه هذا التوسل كما فى حديث عثمان بن حنيف السابق،ولا أحد أعلم بهذا الدين منه بل ولا يوجد مثله ﷺ.

2-قد فعله الصحابة كما تقدم ولن يستطيع أحد دعوى تفوّقهم فى العلم بما هو مشروع.

3-فعله كبار علماء الأمة من زمن التابعين ومن بعدهم ودونوه فى الكتب كما مرّ قبل مجيء ابن تيمية،وهل يدّعى أحد أنهم فعلوا ذلك جهلاً بالدين؟

4- لقد اختار الله تعالى أن يقسم الأعمال لعباده ويهب لكل قدره إظهارا لحكمته فحسب.ولذا خلق السموات والأرض فى ستة أيام بدلا مما هو أقل من ذلك،وخص الملائكة بأعمال ولم يقم بها نفسه،وبعث الأنبياء والرسل لدعوة الخلق فينجو من صدقهم وتبعهم

ويهلك من كذبهم وتركهم ولم يلهمهم رشدهم مع القدرة على ذلك ومع علمه بكل سعيد وشقي من عباده.

...فكانت كل هذه وأمثالها أسباب جعلها الله تعالى كهذه الوسيلة التى نتحدث عنها.وفى كتابنا "الفوائد" زيادة فى التبرك والتوسل والاستغاثة ونحوها مما قد لا يجده القارئ فى طيّات هذا الكتاب.

فصل: من التنقيص للنبى منع الاستغاثة به!

وننقل من كتابنا "الاشارات" ص 200-201 ما قرره العلماء فى ابن تيمية بسبب هذا الرأي والعقيدة التى غرسها فى تلاميذه ليهلك من هلك عن بينة.ومما نقلنا هناك مختصرا عن الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلانى ص 41- 52 ما نصه:**ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله إن النبي ﷺ لا يستغاث به لأن فى ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم رسول الله ﷺ.وكان أشد الناس عليه فى ذلك النور البكرى فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك،فقال بعض الحاضرين يعزر فقال البكرى لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصا يقتل وإن لم يكن تنقيصا لا يعزر**، انتهى المراد منه.وانظر الاشارات لتفاصيل الحديث عن حواره مع العلماء.

النـذر والذبـح للقبـور

ومما يحاول منعه إخواننا فى الأرض (وليس فى نيجيريا فحسب) النذر لبقعة مباركة ولا سيما قبر رجل صالح.ففى الأصول الثلاثة (**10/1**):**النذر لأحد عبادة له لقول الله تعالى : وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) [الإنسان:**

7].وفى كتاب التوحيد مع فتح المجيد (151/1) **من الشرك: النذر لغير الله**.وفى تيسير العزيز الحميد استشهاد المؤلف بآية البقرة : **وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ (270)**.

فالنذر فى ذاته ليس عبادة.ومن الدليل حديث مسلم (1649 ،3093)وأبو داود (3287و،3288) و(6118) والترمذى (1538، و1624)**نهى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ**.فليس بعبادة للآتى:

1–لا يمنع العبادة لله إلا فى وقت أو مكان مخصوص أو فى ظروف مخصوصة–بفرض عدم النسخ.

2–وقد أورد الترمذى قول ابن المبارك أنه من أعمال الطاعة. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ مَعْنَى الْكَرَاهِيَةِ فِي النَّذْرِ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَإِنْ نَذَرَ الرَّجُلُ بِالطَّاعَةِ فَوَفَّى بِهِ فَلَهُ فِيهِ أَجْرٌ وَيُكْرَهُ لَهُ النَّذْرُ.اهـ.

3–والنذر مكروه عند الحنابلة كما فى المعونة وإن كان فى المعصية،ومعلوم أن المعصية لا تكون عبادةً.وسوف نرى قريبا الفرق الذى أخطأه قوم بين النذر والعبادة.

أصـل النـذور فى السـنة

1–فى سنن أبى داود (**3315 ،3313**) **حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ؟ قَالُوا :**

لاَ ، قَالَ : هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ قَالُوا : لاَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ.انتهى.

2–فيه أيضا (2795)عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مُوجَأَيْنِ ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ : إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بِاسْمِ اللهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ ذَبَحَ انتهى.

3–وفيه (2790) عَنْ حَنَشٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَلِيًّا يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَانِي أَنْ أُضَحِّيَ عَنْهُ فَأَنَا أُضَحِّي عَنْهُ.اهـ.

4–في صحيح البخارى (2762 و2756)أَنْبَأَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ – رضى الله عنه – تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهْوَ غَائِبٌ عَنْهَا ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّى تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا ، أَيَنْفَعُهَا شَىْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ » . قَالَ فَإِنِّى أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِى الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا . طرفاه 2762 ، 2770 – تحفة 6279 – 4/9.

5–وعند النسائى (3654 و 3666)أَنَّ سَعْدًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَلَمْ تُوصِ ، أَفَأَتَصَدَّقُ ؟ قَالَ : عَنْهَا نَعَمْ.انتهى.وعند أبى داود (1680،1681): أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْمَاءُ ، قَالَ : فَحَفَرَ بِئْرًا ، وَقَالَ : هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ انتهى.

فـمـاذا نفـهـم؟

1-بالتأمّل ندرك أن الأحاديث السابقة سوى الأخيرين تنص على نذر أو ذبح الأضحية أو الصدقة لحيّ أو ميت غادر الدنيا من هذه الأمة.

2-ومعنى هذا تسليم الثواب لمن نذر أو ذبح أو تُصدّق لأجله.

3-**تنبيه هامّ**:وهو ما يقصده من نذر أو ذبح أو تصدق لنبي أو صالح أو بقعة كالقبر ونحوه.وإن ضمّ هذا حكم الذبح فسنذكره خاصة فى الصفحات القادمة بإذن الله.

الخـطأ فى تعريف العبـادة

ومن أخطاء القوم عدم التمييز بين الأشياء الثلاثة-الطاعة والقربة والعبادة المحضة،حتى سمّوا ما ليس بعبادة عبادة.

جاء ففى مجموع الفتاوى(91/1)عرّف ابن تيمية العبادة بكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من قول أو عمل ظاهر وباطن، وزاد صاحب تيسير العزيز الحميد(35/1-36) أن ذلك يشمل أعمال القلوب والجوارح كما نقله عن ابن القيم.هذا فهمهم ،ولكنه خطأ لأمور:

-أولا ،أنه يهدم الحدّ الذى جعلوا للبدعة السيّئة التى قالوا لا تدخل فى المعاملات والعادات(وقد نقضنا الدعوى فى الحديث عن "السنة والبدعة"!)بحيث إذا نوقشوا بأن زخرفة المساجد ولبس أنواع من الثياب أو بناء نوع من البيوت أو ركوب المركبات الحديثة أو التعبد بطريق معاصر جديد كما ذكر فى إحياء السنة فيقولون ليس كل هذا من العبادة فى

شيء،وإنما هو داخل فى المعاملات ولا بدعة فيها! فهذا ابن تيمية يطلق العبادة على كل ما يحبه الله ورسوله،ومن ينكر محبة الله تعالى لاستعمال وسائل المواصلات المعاصرة كركوب الطائرات إلى الحج؟

-قد خالفوا قول الرازى فى تفسيره ((246/1 و 335/2) والشيرازى (240/26) حيث بين كل منهما كيف تفيد العبادة نفس "العمل" و"العمل المتعبّد به".وقال الشاطبى فى الموافقات(246/2 و537): **فالصواب أن النية شرط في كون العمل عبادة، والنية المرادة هنا نية الامتثال لأمر الله ونهيه**،...انتهى.

وفى (3/8-9):ويكفيك منها أن **المقاصد** تفرق بين ما هو **عادة** وما هو **عبادة**، وفي العبادات بين ما هو واجب وغير واجب، وفي العادات بين الواجب والمندوب، والمباح والمكروه والمحرم، والصحيح والفاسد، وغير ذلك من الأحكام، والعمل الواحد يقصد به أمر **فيكون عبادة** ، ويقصد به شيء آخر، **فلا يكون كذلك**، بل يقصد به شيء فيكون إيمانا، ويقصد به شيء آخر فيكون كفرا، كالسجود لله أو للصنم.

وأيضا؛ فالعمل إذا تعلق به **القصد** تعلقت به الأحكام التكليفية، وإذا عري عن القصد لم يتعلق به شيء منها؛ كفعل النائم والغافل والمجنون.انتهى ملخصا.

وقال السيوطى فى الأشباه والنظائر (12/1):المبحث الثالث فيما شرعت النية لأجله المقصود الأهم منها تمييز العبادات من العادات وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض كالوضوء والغسل يتردد بين التنظف والتبرد والعبادة والإمساك عن المفطرات قد يكون للحمية والتداوي أو لعدم الحاجة إليه والجلوس في المسجد قد يكون للاستراحة انتهى.

-**الطاعة**:وهي امتثال ما أمر الله به وليس كل طاعة عبادة،ويتعلق ثوابها بفعلها بنية العبادة(كالمطلق لامرأته ونحوه).

-**والقربة** ما يُتقرّب بفعله إلى الله إن كانت بنية وإخلاص،ولا يطلق عليها العبادة إلا بقصد أنها موصلة إلى ثواب العبادة ومنها الذبه والنذر.

-**والعبادة** شرط صحتها النية ولا يصرف مثلها لأحد بنية أخرى،وإلا كان شركا به والفاعل مشرك بالله إن كان عالما متعمدا بفعله.

خلط هؤلاء بين مسألتي التوحيد-أى الشرك والبدعة فقالوا "عبادة الله تعالى بما شرعه" حيث قال فى القول المفيد 14/1-15 والفوزان فى إعانة المستفيد(39/1):العبدة فعل ما شرعه الله كالصلاة عبادة,والصيام عبادة,والحج عبادة,وصلة الرحم عبادة،والإحسان إلى اليتيم عبادة،وكل مشروع لله عبادة".والحال أنهم بقولهم ما شرعه الله انتقلوا إلى موضوع السنة والبدعة،فمن فعل ما لم يشرعه الله مبتدع وليس شركا،إلا أن يقصدوا بقولهم شرط الطاعة لغير الله ولم يقصدوا ذلك كما سنراه. فابن تيمية لمح إلى أن المخالف لهذه القاعدة يكون مشركا برب العالمين.فهو خلط بين التوحيد والسنة ثم أخطأ مفهوم العبادة وسمّى ما ليس بشرك شركا!

وكما قلنا كلمة العبادة تعنى "التعبد"أو عملية العبادة" وتعنى كذلك "العمل المتعبّد به" غالبا فى القرآن،وفى كلام الفقهاء " العمل المتعبّد به" والذى أصله النية.وهذا هو الفرق بين الصلاة والنكاح،فنقول الصلاة عبادة والنكاح غير العبادة وإن عقد بنية التقرب إلى الله،فلا يسمّى عبادة من هذا الوجه.

إذا لم تفهم قولنا:فحين يتحدّث العلماء عن العبادة فى باب التوحيد فلا يلتفتون للمعنى الثانى-التعبّد-لأن الكلام فى العقيدة والنية،أما فى أحكام العبادة فالموضوع لهذا المعنى.
والعجيب أن ابن تيمية بدأ كلامه سالكا لمنهجهم ولكنه انحرف-أو أقول اشتبه عليه الأمر- فخلط بين الأمرين حتى انتقل من "التعبّد أو عملية العبادة" إلى "العمل المتعبّد به".وربما هذا ما جرّ تلاميذه كالشيخ عثيمين ونحوه إلى اتباعه زائدين بقولهم "وأن يعبد الله بما شرعه". فالمخالفة فى المعنى الأول- أو التعبّد لغير الله- هو الشرك كما أن مخالفة المعنى الثانى-التعبّد بما لم يشرعه أو لم يشرعه على الوجه الذى أُتي به-هو ما يسمّى بالبدعة،ولو قُصد به وجه الله.بتوضيح آخر، انتقل ابن تيمية فى نهاية المطاف إلى موضوع السنة والبدعة بدلا من التوحيد والشرك بسبب المغالطة فى المفهومين.والعجب أن عثيمين بعد تفريقه بينهما فى القول المفيد (1/14-75) عاد إلى هذا الخلط!

مزيد البيان:حينما أطلق العلماء "العبادة" على الصلاة فالمقصود "العمل المتعبّد به" أو "عملية العبادة"،ومثلها الصيام،وليس لأنهما نفس العبادة،كما أن عمل العبد لسيده يكون عبادة له والمقصود فى الحقيقة تضرّعه وخضوعه بالطاعة له،لا جميع أعماله كجلب الماء ونحوه.

تكميـــل

من الخطأ إطلاق العبادة على كل طاعة فليس ذلك بصحيح،لأن كل عبادة طاعة والعكس لا يصح.

1-العبادة عمل لا يصح إلا لله تعالى مقرونا بالنية كالصلاة والصيام والحج والصدقة...

2-والقربة تكون عبادة إذا كانت بالنية كعيادة المريض وإفشاء السلام.

3-والطاعة تكون عبادة إن كانت مقرونة بالنية والإخلاص.

لا تصرف القربة إلا لله وإن قُصد بها غير الله فهو شرك.وسائر أعمال البر كاحترام الكبير إن فعلت رياءً كانت شركا غير مخرج عن الملّة،ولكن لا ثواب لفاعلها،كما أنها مأجورة إن فعلت بالنية والإخلاص لله.وأيضا تصرف الطاعة لغير الله تعالى فيما ليس بمعصية،أما القربة والعبادة فلا يصرف كلاهما إلا لله وحده.

أصـل النـذور فى الكتاب والسنة

1-سورة الأنفال: **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)**

فى تفسير القرطبى :**وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصيرة بالكلام، فإنها تضمنت خمسة أحكام: الأول: الامر بالوفاء بالعقود، الثاني: تحليل بهيمة الانعام، الثالث- استثناء ما يلي بعد ذلك، الرابع- استثناء حال الإحرام فيما يصاد، الخامس- ما تقتضيه الآية من إباحة الصيد لمن ليس بمحرم... قال الحسن: يعني بذلك عقود الدين وهي ما عقده المرء على نفسه، من بيع وشراء وإجارة وكراء ومناكحة وطلاق ومزارعة ومصالحة وتمليك وتخيير وعتق وتدبير وغير ذلك من الأمور، ما كان ذلك غير خارج عن الشريعة، وكذلك ما عقده على نفسه لله من الطاعات، كالحج والصيام والاعتكاف والقيام والنذر وما أشبه ذلك من طاعات ملة الإسلام. وأما نذر المباح فلا يلزم بإجماع من الامة** انتهى ملخصا.

2–سورة الأنسان: **وفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7)**

قال القرطبي:**قوله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) أي لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات. وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه. وقال الفراء والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة كانَ وتحذف أخرى. والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شي يفعله. وإن شئت قلت في حده: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقال الكلبي: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ أي يتممون العهود والمعنى واحد، وقد قال الله تعالى: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ [الحج: 29] أي أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج. وهذا يقوي قول قتادة. وأن النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بإيمانه من امتثال أمر الله، قاله القشيري. وروى أشهب عن مالك أنه قال: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال مالك. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ قال: النذر: هو اليمين.**اهـ.

3–أخرج البخارى (**6202 ،6206 ،6700،6696**)**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(وغيرها) قَالَتْ**

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ.(أبو داود **3289**)،الترمذى(**1610،1531**)(النسائى **3808،3807،3806،3813،3812،3811**)(ابن ماجه **2126**).

4–أخرج البخارى(**6099،2032،2043**) **عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى نَذَرْتُ فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . قَالَ « أَوْفِ بِنَذْرِكَ »**ومسلم(**1656،3128**) وأبو داود (**3325**) والترمذى (**1544،1625**) وابن ماجه (**1772،22129**).

النــذر للقــبور فى المـذاهـب الأربعة

وبعد التدليل على غلط إدخال النذر فى مفهوم العبادة وعدم الاتقان فى معرفة العبادة نذكر نبذة مما عليه الفقهاء من المذاهب الأربعة فى النذر للقبور بإذن الله تعالى.

المـالكيـة ففى نوازل الوزّانى(547/2) كما نقلناه من كشف الستور:وسئل بعضهم عن سمّى ذبيحة لولي،هل يحوز له بيعها،وشراء مصحف أو ستر ويجعله لذلك الولي بدلا منها،أو لا بد من التصدّق به لجماعة من الفقراء في أي مكان شاء؟

فأجاب...لا يجوز له ذلك ويجب عليه ذبحها والتصدق بها فى موضعه على الفقراء،وله إبقائها لنفسه والتصدق عليهم بلحم قدر لحمها،وهذا إن قصد ثوابها لذلك الولي،وأما إن سماها له قاصدا بها التوسعة على نفسه وعياله كما هي عادة بعض الناس فلا يلزمه شيء انتهى.

والسؤال:هل ينطبق هذا مع عقيدة إخواننا فى حكم النذر لقبور الأولياء؟

الشـافعـية

1–فى فتاوى الرملي(**111/14**):**سئل:هل يصح النذر عن الأضرحة كما هو معهود الآن أو لا؟ فأجاب: بأنه إذا عاد نفعه على الأحياء انعقد وإلا فلا ينعقد.**

2–**وفى فتاوى ابن حجر الهيتمى(268/4):وسئل فى شخص قال نذرت هذه العين للنبي ﷺ أو للشيخ عبد القادر مثلا–نفعنا الله تبارك وتعالى به–فهل تصرف قيمتها للمسجد النبوى أو لأولاد السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها وأولاد أولادهم وإن سفلوا؟**

فأجاب:...يحمل خيث لم يعرف قصد الناذر على ما اطرد به العرف فى ذلك النذر،فإن اطرد بصرفه لمصالح قبره الشريف أو لصالح مسجده أو لأهل بلده عمل بذلك العرف فى هذا النذر كما يفيده كلام الشيخين وغيرهما فى النذر للقبر اهـ.

الحنـابلـة:

وفى كشاف القناع(**6276**) ومنار السبيل(**1230/3**):**قال الشيخ تقي الدين :نذر معصية لا يجوز الوفاء به وإن تصدق بما نذره من ذلك على من يستحقه من الفقراء والصالحين كان خيرا له عند الله وأنفع** الخ.

ولم يقل أحد منهم أنه شرك كما يقول إخواننا!

فحكم النذر المنع عند الحنابلة كما فى الكشاف وليس برأي الخصوم.

الحـنفــية

وفى شرح عبد الغني النابلسي على الطريقة المحمدية قوله بعد كلام:**ومن ذلك زيارة القبور والتبرك بضرائح الأولياء والصالحين،والنذر لهم بتعليق ذلك على حصول شفاء أو قدوم غائب فإنه مجاز عن الصدقة على الخادمين لقبورهم كما قال الفقهاء فيمن دفع بالزكاة لفقير وسماها قرضاً صحّ،لأن العبرة بالمعنى لا باللفظ،...وغالب الناس يقصدون بكلامهم الخدمة فيحمل كلامهم عليه** انتهى ملخصا.(وراجع كشف الستور من ص 250 فصاعدا).

الـذبـح لغـير الله

وهى من أكبر الشبهات لإخواننا فى تكفير المسلمين-أو تشريك فعلهم.

1-حجتهم الأولى فى سورة الأنعام: **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (162)**.

2-والثانية حديث الامام مسلم(1980،1979،1978) أو (3659،3658،3657)

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ

سُئِلَ عَلِيٌّ أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ فَقَالَ مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا قَالَ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا.

هــذا الفـهـم فى الميـزان

قال فى الكشف(ص 265/1-271):الأمر الثاني :وهو الخطأ فى الاستدلال فإنهم قالوا الذبح عبادة،وصرفه لغير الله شرك وكفر ودليل الذبح قوله تعالى: **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (الأنعام:162)**.

ومن السنة :"لعن الله من ذبح لغير الله" كذا فى الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب(ص 11،13)وكتاب التوحيد له (158)مع فتح المجيد.

والآية والحديث لا يدلان على المطلوب المدّعي وهو كفر وشرك كم ذبح لغير الله.

أما عن الآية فالنسك له معان في أقوال المفسرين هي:

أ-أعمال الحج

ب-العبادة

ج-القربة

د-الذبيحة التى تقدم فى الحج والعمرة

هـ-عملية الذبح

والتداخل بين بعض هذه الأنواع الخمسة بين ،لكن صرف معنى النسك إلى أحدها يحتاج لتوقيف،لذلك فالصواب-والله أعلم-أن يقال:الآية فيها طلب إخلاص العبد لربه فى عبادته يوضحه قوله تعالى "لله رب العالمين" والاخلاص سر بين العبد وربه،وليس فى الآية ا يدل بمنطوقها مفهومها على كفر شرك من ذبح لغير الله إن سلّم وجود هذا النوع فى المسلمين...

أما الحديث فلا يدل على مطلوبهم والفرق جلي بين لعن الفاعل وتكيره وإخراجه من الملة واستباحة ماله وعرضه ودمه.

والذبخ لغير الله لا يقع من المسلمين أصلا،وفى شرخ هذا الحديث يقول الامام النووي فى شرح صحيح مسلم (رقم 1978) ما نصه: أما الذبح لغير الله فالمراد به ان يذبح بغير اسم الله تعالى،كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى-صلى الله عليهما-أو للكعبة،ونحو ذلك.فكل هذا حرام.ولا تحل الذبيحة ،سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانيًا أو يهودياً.نص عليه الشافعي.واتفق عليه أصحابنا.فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له،كان ذلك كفراً.فإن كان الذابح قبل ذلك مسلماً صار بالذبح مرتداً.

فعلم أن مطلق الذبح لغير الله ليس كفراً بل حرام فقط إلا إذا اقترن بتعظيم المذبوح له على وجه يلزم منه العبادة،فتدبر وافهم.

وفى روضة الطالبين (3/205-206) له-النووى- أيضا ما نصه:فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد أو كالصنم على وجه التعظيم والعبادة،لم تحل ذبيحته وكان فعله كفراً،كمن سجد لغيره سجدة عبادة،وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه،فأما إذا ذبح لغيره لا على هذا الوجه،بأن ضحى أو ذبح للكعبة تعظيما لها لأنها بيت الله تعالى،أو الرسول لأنه رسول الله ﷺ،فهذا لا يجوز ان يمنع حل الذبيحة انتهى مختصرا كلام النووى الامام كما نقله العلامة ممدوح فى كشف الستور جزاهما الله تعالى.

قلت:ومن العجب أن قالوا بتحريم الذبيحة للاحتفال بمولد النبى الأكرم على أنه مما ذبح لغير الله تعالى!

وفي ذلك أمران:

1-أنه مذبوح لغير الله حقا ،إذ النبي ﷺ غير الله ،هذا حقٌّ.

2- أن اللحم المباع فى الأسواق مذبوح أيضا لغير الله،وهم يأكلونه!مع أن الفرق بينهما أن هذا قُصد به الاحتساب-أى من إكرام الرسول الكريم الأكرم ﷺ، وهذا من الطرف آخر قُصد به الاكتساب -أى التجارة الدنيوية!

فالعاقل السليم الفكر لا يحتاج لتعليق عليه.

ولقد نقلنا تفسير الآية من الجلالين وقد رأينا شرح العلماء للحديث المخالف لفهم مدرسة ابن تيمية وابن عبد الوهاب.

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير:**وفي النسك هاهنا أربعة أقوال** .

أحدها : أنها الذبائح ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وابن قتيبة . والثاني : الدين ، قاله الحسن . والثالث : العبادة .

قال الزجاج : النسك : كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله عز وجل ، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح .

والرابع : أنه الدين ، والحج ، والذبائح ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.انتهى.

البناء على القبور

بما أن هذا التصنيف يتزامن مع فتنة هدم القباب وأضرحة الأولياء بدعوى الجهاد وتطهير البلاد من الشرك من جماعة أنصار الدين فى دولة مالي الواقعة فى غرب إفريقيا،فإن عدم التعرّض لمسألة البناء على القبر وحتى بناء المساجد فى المقابر يعدّ نوعا من الإهمال المخلّ والناقص لعملنا فى هذا الجهد المتواضع.

الأحـاديث فى منـع البنـاء على القبـور

والحق أن ما عليه جماعة أنصار الدين هو تنفيذ أفكار المشتهرين بـ "أهل السنة" ما أمكن لو وجد السبيل إليه فى سائر البلدان.يعلم ذلك بسهولة ما من قرأ الدرر السنية فى فتاوى الكتب النجدية وأمثالها.

1-حجتهم الأولى حديث الامام مسلم (970): وأبى داود (3226 و3225) والترمذى(1052،1072) عن جابر بن عبد الله **يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى أَنْ يَقْعُدَ عَلَى الْقَبْرِ ، وَأَنْ يُقَصَّصَ وَيُبْنَى عَلَيْهِ** انتهى.**وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد (1564،1064).**

2-وعند مسلم(**2240،1609**) وأبى داود (**3218**) **عنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ.وهذا منتهى حجتهم فى إنكار البناء على القبور.**

3-وعند مسلم أيضا (**972**) (**1613**)**عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا** انتهى.

الأحـاديث المتـعارضـة

1-ففى سنن أبى داود (**3206**)**عنِ الْمُطَّلِبِ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، أُخْرِجَ بِجَنَازَتِهِ فَدُفِنَ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ ، فَقَامَ**

إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ ، قَالَ كَثِيرٌ : قَالَ الْمُطَّلِبُ : قَالَ الَّذِي يُخْبِرُنِي ذَلِكَ : عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ ذِرَاعَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، حِينَ حَسَرَ عَنْهُمَا ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَالَ : أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي ، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي.اهـ.(وهو عند ابن ماجه والبيهقى).

2-فى مسند الامام أحمد (599) ومثله لما توفى ابنه إبرهيم.وزاد عليه الشافعى فى الأم (273/1) **– فقال: وَيُسَطَّحُ الْقَبْرُ وَكَذَلِكَ بَلَغَنَا عن النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم أَنَّهُ سَطَّحَ قَبْرَ إبْرَاهِيمَ ابْنِهِ وَوَضَعَ عليه حَصَى من حَصَى الرَّوْضَةِ**

وَأَخْبَرَنَا إبْرَاهِيمُ بن مُحَمَّدٍ عن جَعْفَرِ بن مُحَمَّدٍ عن أبيه أَنَّ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم رَشَّ على قَبْرِ إبْرَاهِيمَ ابْنِهِ وَوَضَعَ عليه حَصْبَاءَ وَالْحَصْبَاءُ لَا تَثْبُتُ إلَّا على قَبْرٍ مُسَطَّحٍ وقال بَعْضُ الناس يُسَنَّمُ الْقَبْرُ وَمَقْبَرَةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عِنْدَنَا مُسَطَّحٌ قُبُورُهَا وَيُشْخَصُ من الْأَرْضِ نَحْوٌ من شِبْرٍ وَيُجْعَلُ عليها الْبَطْحَاءَ مَرَّةً وَمَرَّةً تُطَيَّنُ وَلَا أَحْسِبُ هذا من الْأُمُورِ التي يَنْبَغِي أَنْ يَنْقُلَ فيها أَحَدٌ عَلَيْنَا وقد بَلَغَنِي عن الْقَاسِمِ بن مُحَمَّدٍ قال رَأَيْت قَبْرَ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مسطحه انتهى.والبناء على القبر مكروه عند المذاهب الأربعة كما فى كشف الستور(170/1-172).

3-فلماذا يهدم جاعة أنصار الدين أو يخرجون بالأسلحة لهدم ما هو مكروه فى الشريعة الاسلامية؟ولماذا لم يهدموا مساجدهم لما فيها من السجادات وسائر المكروهات؟

الصلاة وبناء المساجد على القبور

فهؤلاء يتشددون فى بناء المساجد على القبور ويسمّونه شركا لأسباب منها:

1-ما أخرجه البخارى (435، 1330)ومسلم(530،531) واللفظ له: **عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا** انتهى.

2- أخرج البخارى (**416**) ومسلم (**528**)**عن عَائِشَةَ**

أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ انتهى.

3- أخرجه مسلم (**972**) (**1613**)**عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ قَالَ**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا انتهى.

تحـــلـــيل

1-أولا،إن كلمة المسجد فى الأحاديث السابقة أو الحديث السابق تعنى "موضع السجود" وليس "المسجد".والدليل أنه الحقيقة ولا تجتمع مع المجاز إلا فى سياق النفي ودون الإثبات.كقلك مثلا :ما رأيت أسدا تقصد الدابة والرجل الشجاع(راجع إعلام الراكع الساجد للعلامة الحافظ عبد الله الغمارى رحمه الله).

2-لم يفهم العلماء ولا الشرّاح هذا الحديث قبل ابن تيمية بمثل فهمه وتلاميذه،فقالوا معنى "اتخاذ القبور مساجد" هو عبادتها أو السجود لها.ويمكن النظر فى الفتح البارى مثلا.

3-وقد أثبت هذا الحافظ ابن عبد البر فى التمهيد(168/1،383/3) **قال أبو عمر: هذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد وقد احتج من لم ير الصلاة في المقبرة ولم يجزها بهذا الحديث وبقوله: "إن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد". وبقوله ﷺ: "صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبورا" وهذه الآثار قد عارضها قوله ﷺ "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" وتلك فضيلة خص بها رسول الله ﷺ ولا يجوز على فضائله النسخ ولا الخصوص ولا الاستثناء وذلك جائز في غير فضائله إذا كانت أمرا أو نهيا أو في معنى الأمر والنهي وبهذا يستبين عند تعارض الآثار في ذلك أن الناسح منها قوله ﷺ: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا". وقوله لأبي ذر: "حيثما أدركتك الصلاة فصل فقد جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"** انتهى مختصرا.

وقال (383/6)وقد زعم قوم أن في هذا الحديث ما يدل على كراهية الصلاة في المقبرة وإلى القبور وليس في ذلك عندي حجة وقد مضى القول في الصلاة إلى القبور انتهى.

4-وقد بنى الصحابى أبو جندل المسجد على قبر أخيه أبو بصير وأقره عليه سائر الصحابة كما فى أسد الغابة(**146/3،35/5**):**فلما أرسلت قريش إلى النبي ﷺ في أمرهم كتب إلى أبي بصير وأبي جندل ليقدما عليه فيمن معهما فقرأ أبو جندل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بصير مريض، فمات، فدفنه أبو جندل وصلى عليه، وبنى على قبره مسجداً.**

أخرجه أبو عمر.

قلت:وفى الاستيعاب لأبى عمر (13/2): **وذكر مرور أبي العاص بن الربيع بهم وقصته قال وكتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً**.انتهى.

5–وقد ذكر القاري فى شرح المشكاة(863/5) أقوال الناس فى البناء وبعضهم يراه على نفس القبر وآخرون حوله.فالأمر فيه خلاف.

الكتـابـة على الـقبـور

لقد ثبت وضع العلامة على القبور بحديث عثمان بن مظعون السابق.والكتابة على القبور روى النهى عنها الحاكم فى المستدرك وقال ليس عليه العمل عند السلف فرد عليه الذهبى ولكنه كلامه مرفوض بما فى تاريخ المدينة لابن شبّه(120/1) حيث نقل الكتابة على قبر اثنتين من أمهات المؤمنين—السيدة أم سلمة وأم حبيبة رضى الله عنهما.

فقد أخرج الحاكم (1370) **عن جابر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن تجصيص القبور و الكتاب فيها و البناء عليها و الجلوس عليها.**

هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم و هو عمل أخذ به الخلف عن السلف انتهى.

وفى التاريخ المذكور:

(قبر أم حبيبة زوج النبي ﷺ رضى الله عنها) * حدثنا مُحَمَّد بن يحيى قال، أخبرني عبد العزيز بن عمران، عن يزيد بن السائب قال، أخبرني جدي قال: لما حفر عقيل بن أبي طالب في داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه: قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب، فدفن عقيل البئر، وبنى عليه بيتا.

قال يزيد بن السائب: فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر (1).

(قبر أم سلمة زوج النبي ﷺ رضى الله عنها) * حدثنا مُحَمَّد بن يحيى قال، سمعت من يذكر: أن قبر أم سلمة رضي الله عنها بالبقيع، حيث دفن مُحَمَّد بن زيد بن علي، قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأنه كان حفر، فوجد على ثماني أذرع حجرا مكسورا، مكتوبا في بعضه: أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبذلك عرف أنه قبرها.

وأخيراً،لا ينبغى لمن يدّعى اتباع منهج السلف أن يفسر الآيات والأحاديث بغير فهمهم.فحين الاستدلال بالكتاب والسنة يلزم النظر إلى فهم نقلة الدين قبل أن نقول برأينا إن كان لنا رأي آخر.

الحلف بغير الله تعالى

جاء فى صحيح البخارى (**2679 و6647،6646**)**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – قَالَ « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ.وفى رواية :أَنَّهُ أَدْرَكَ**

عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ

وأخرجه مسلم (**1648،1647،1646 و 3105**)وأبو داود(**3248،3249**)

والترمذى (**1538،1539،1540،1541،1617،1618،1619**)وابن ماجه(2094).

ثم أخرج أبو داود (3251)والترمذى (**1620، 1540**) **قَالَ : سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ ، رَجُلاً يَحْلِفُ : لاَ وَالْكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ.**

ومن ثمّ كفّروا من حلف فى كلامه بعمامة الشيخ أو قبره من أهل البدو أو جُهّالها!

تحـــــليـــــل

1–قال العلماء كون النبي ﷺ نفسه أقسم بآباء أصحابه كمن جاء يسأل عن فرائض الدين فى صحيح مسلم (**11،12**) **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ)ومن سأل عن أفضل الصدقات(1714) فَقَالَ "أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ** " يدلّ على أنه ليس

كل لحلف بغير الله شركا وأنه لا بد لذلك من شروط وضوابط. وقد بين هذا الامام الترمذى تحت الحديث (1540) والطحاوى فى شرح مشكل الآثار فليراجع هناك.

2-وقد قيل إن النهي لأن آباءهم كانوا مشركين كما أيده رواية مسلم (1648) وابن ماجه(2094).

3-قالوا أيضا إن المنهي عنه هو الحلف الذي يثبت به الأحكام وليس الجارى فى حديث الناس بعضهم مع بعض والذى لا مقصود له إلا تأكيد الكلام.

4-وأفاد الطحاوى أنه أشرك بجعل ما لا يحلف به محلوفا به فجاء الزجر فيه،ومثله فى فتح البارى.

5-لا ينعقد الحلف بما سوى الله مما له حرمة كالكعبة أو عبد صالح،وإن كان ينعقد فى المذهب الحنبلى بالنبى ﷺ.

ولذا كره المالكية والشافعية الحلف بما له حرمة،والشرك لا يقتصر على كونه مكروها.فالعالم إذا سمع الحالف بغير الله ينظر إلى الفاعل هل هو عالم أم جاهل بأجكام الشرع فينصح بالحكمة وبدون غلو فى المنع. وفّقنا الله تعالى لما يحبه ويرضاه.

البُروك حين التّحيّة

1-شرع الله تعالى فى القرآن السجود والركوع له وحده سبحانه كما فى سورة الأنعام : **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (162)**.

2-وقال النبى ﷺ « لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ ».(أبو داود **2140**)والترمذى (**1192،1162**).

3-قال العلماء فى سجود الملائكة لسيدنا آدم أنها تحية تكريم وتبجيل بأمر من الله وسجود إخوة سيدنا يوسف عليهما السلام أمر يختصّ بشريعتهم وقومهم فحسب.

4-فما حكم من برك عند تحية رجل كبير السّنّ أو المنصب؟

البـروك والقــيام

وينبغى التفريق هنا بين البروك الذى ليس من هيئات العبادة والانحناء الذى هو هيئة فى العبادة (كالركوع الذى فى الصلاة).فمن فعل الأول-البروك- لغير الله بغير قصد العبادة لا شيء عليه وينزل حكمه فى أحد الأحكام الأربعة للقيام كما يأتى.

ومن فعل الثاني-وهو الانحناء-توقيراً لغير الله يرشد وينصح بتركه لمشابهة فعله لعبادة الله ولا يرمى بالشرك ولو عاد إليه إلا إذا نوى بفعله العبادة.ولكن الإثم يتزايد بقدر التشابه بين الفعل والعبادة،فما كان قريبا بهيئة العبادة يكون مكروها،وما كان هيئته تامّ التشابه بالعبادة فهو حرام.وقد ثبت البروك من فعل سيدنا عمر أمام النبي ﷺ فى حديث البخارى (93):

قَالَ أَخْبَرَنِى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - خَرَجَ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِى فَقَالَ « أَبُوكَ حُذَافَةُ » . ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ « سَلُونِى » . فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ - ﷺ - نَبِيًّا ، فَسَكَتَ .انتهى.

أما القيام فقد تعدد أقوال العلماء فى حكمه.شدّد في النهي عنه العلامة ابن القيم وابن الحاجّ المالكى فى حين أجازه الطبري وابن بطال والامام النووى رحم الله الجميع.

ومن حجج الناهين حديث ذكره الحافظ فى الفتح(11/49-54) ونصه "**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض" وأجاب عنه الطبري بأنه حديث ضعيف مضطرب السند**

فيه من لا يعرف واحتجوا أيضا بحديث عبد الله بن بريدة أن أباه دخل على معاوية فأخبره أن النبي صلى الله عليه و سلم قال" من أحب أن يتمثل له الرجال قياما وجبت له النار" وأجاب عنه الطبري بأن هذا الخبر إنما فيه نهي من يقام له عن السرور بذلك لا نهى من يقوم له إكراما له وأجاب عنه بن قتيبة بأن معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه انتهى مختصراً.

أدلّـة جـواز القيـام

ويعتمد المجوّزون للقيام من العلماء لأحد بالتالى:

1-قول النبي ﷺ للصحابة حين قدوم سعد بن معاذ بعد حكمه على يهود بنى قريظة "قوموا لسعيدكم" كما أخرجه البخارى(2816،6262) **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ قَالَ فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ قَالَ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ.**

2-قيامه ﷺ للسيدة فاطمة كما أخرج البخارى (**6285**) ومسلم(**98**) والحاكم (**4732**) **عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ كَلاَمًا ، وَحَدِيثًا مِنْ فَاطِمَةَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا ، وَقَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ.

3-قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ.أخرجه البخارى (4418) ومسلم(**4973**).

وقد تبادل الفريقان الأدلة فى جواز وعدم القيام تحت حديث سعد،فعلى طالب البيان الكامل الرجوع إلى فتح الحافظ.والله الموفق.

أنــواع القيــام

وقد قسم ابن رشد القيام إلى أربعة أقسام

1-القيام لمن يحبّ القيام له وقال ذلك حرام

2-القيام للقادم من السفر وهو مستحبّ

3-القيام للرجل الكريم القادم وهو جائز(بل عدّه النووى من المندوب-المستحبّ)

4-القيام لمن لا يحبّ القيام له ولكن يخشى أن يدخل حبّ القيام فى قلبه وهذا مكروه.

(راجع الفتح البارى)

ومن تأمّل الأقوال وجد كل شيء معلّقًا على نية الفاعل وهى العمدة فى أفعال العابد.فليعلم المانعون للبروك عند التحية فراراً من الوقوع فى الشرك أن القيام نفسه قد يكون شركا حين الاقتران بالنية السيّئة أو معصيةً حيث وقع على غير وجه شرعيٍّ كما تم تفصيله.

تحـيـة القـضــاة والملوك

إن السجود الواقع للملوك فى مملكتهم والقضاة فى المحكمات يتوقف حكمه على نية الفاعل فحسب.فإن كان الملك أو القاضى مسلما فليتق الله ربه ولا يأمر لنفسه بما يشبه عبادة الله سبحانه وتعالى باسم التوقير له.وقد وقفنا على زجر ابن رشد فيمن يحبّ القيام له،وإن كان الاثنان فى منصب يستحبّ التّبجيل لصاحبه.

شـرب المكـتوبات وتعليق التمائم

أولا،يجب أن نعلم الفرق بين التميمة أو التعويذة التى انطوت على آيات من القرآن والأدعية الربانية وما تضمّنت غير ذلك ما قد يكون نجسا فيحرم هذا ويجوز ذلك.وكان النزاع قديما حول المسألتين حتى ذهب قوم إلى إطلاق الشرك عليهما لحديث الامام أبى داود فى السنن (3883) **عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الرُّقَى ، وَالتَّمَائِمَ ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ. وفى رواية "من علق تميمة وكل إليها"**ونحوها مما ينهى عن جميع ذلك.

ولكنه من الخطأ أن نحكم على جميع المعلّقات بأنها شرك بالله.ومن الدليل:

1-نفس المدّعي لا يرى جميع الرقى شركا وهو مقتضى نص الحديث!

2-فهم الصحابة أن المقصود هو التمائم المعلقة فى الجاهلية وتوكّل عليها دون الحاملة لأسماء الله وآياته كما بينه البيهقى تحته فى السنن الكبرى (9/390-350،391) **قال الشيخ وهذا أيضا يرجع معناه إلى ما قال أبو عبيد وقد يحتمل أن يكون ذلك وما أشبهه من النهي والكراهية فيمن تعلقها وهو يرى تمام العافية وزوال العلة منها على ما كان أهل الجاهلية يصنعون فاما من تعلقها متبركا بذكر الله تعالى فيها وهو يعلم أن لا كاشف إلا الله ولا دافع عنه سواه فلا بأس بها إن شاء الله** .انتهى كلام البيهقى.

وقال أيضا :أخبرني نافع بن يزيد : أنه سأل يحيى بن سعيد عن الرقى وتعليق الكتب فقال كان سعيد بن المسيب يأمر بتعليق القرآن وقال لا بأس به قال الشيخ رحمه الله وهذا كله يرجع إلى ما قلنا من أنه إن رقى بما لا يعرف أو على ما كان من أهل الجاهلية من إضافة العافية إلى الرقى لم يجز وإن رقى بكتاب الله أو بما يعرف من ذكر الله متبركا به وهو يرى نزول الشفاء من الله تعالى فلا بأس به وبالله التوفيق انتهى (**ص351**)

3-فقد روى نفس أبى داود(،**3894،3893**) والترمذىَ(**3872،3639**) **عنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ فَأَعْلَقَهُ عَلَيْهِ.**

4-وقد نقل عن مسائل الامام أحمد لأبى داود(1/260) قال :رأيت على ابن لأحمد وهو صغير تميمة فى رقبته من أديم انتهى.قال وسئل عن الرجل يكتب القرآن فى شيء ثم يغسله ويشربه قالأرجو أن لا يكون به بأس انتهى.

5-وفى معرفة العلل وأحكام الرجال(1/278-279) عن الشعبي:لا بأس بالتعويذ من القرآن يعلق علي الانسان.وفيه أيضا :قال أحمد يكتب التعاويذ للذي يصرع وللحمى لأهله وقرابتاه اهـ ما نقله الحافظ عبد الهرري فى المقالات السنية فى كشف ضلالات أحمد بن تيمية ص 421-422.

6-وفى ص 426 :قالت السيدة عائشة رضى الله عنها:التمائم ما علق قبل نزول البلاء،وما علق بعد نزول البلاء فليست بتميمة.أورده البيهقى فى السنن الكبرى.

7-وكان سعيد بن جبير يكتب التعاويذ للناس كما أخرجه ابن أبى الدنيا.(راجع مقالات الشيخ الحبشي).

تنبيه:ما زيد على المذكور فى تكوين التميمة أو الكتابة المكتوب كورق أو شجر أو مادة أو شيء آخر كتخصيص مكان أو وقت أو كيفية استعمال فهو متأثّر على المكتوب والتميمة بحسب جوازه فى الدين وعدمه.مثال ذلك الخلط بين النجاسة وإسم من أسماء الله تعالى شرك مخرج من الملة، كما أن استعمال شيء من ذلك فى وجه غير شرعيّ يكون حراما أو مكروها.

وبما أن الظلم حرام فمن استخدم المكتوب والتميمة لظلم أحد من زوج أو زوجة أو سيد أو أخ أو غيرهم بأي صيغة فهو عاص لله تعالى.وسواء استأجر رجلا عليه أو فعله بنفسه ولحاجته وفقنا الله لرشده.

تنبيه ثان: وينقسم ما يكتب من الحروف المجهولة المعنى كرموز وما يشبه أسماءً إلى قسمين:منها أسماء الأصنام وشياطين الجن التى يستعملها السحرة فى قضاء حوائج الناس.وهذا شرك يجب للناس اجتنابه.وقسم آخر لا يعدوا أسماء الملائكة وصفات الله تعالى

أو نحو ذلك يستخدمه عباد الله الصالحون كرموز بحيث يكتب الحرف الأول من تلك الأسماء أو بعض حروفها بحيث لا يتفطن لها من لا يعلمها ولكن بقصد التبرك.وهذا حلال.وعليه يجب التحفّظ من الوقوع فى النوع الشركي من جانب كما يلزم التورّع عن إطلاق الشرك عليهما من آخر ،لعدم معرفتنا بالمقصود وعلينا بحسن الظن بإخواننا.والله أعلم.

تنبيه ثالث:ومن العجيب المؤسف أن كثيرا من المتشددين فى إنكار هذا الأمر من عُمّال ووعّاظ وتلاميذ ومن فقراء وأغنياء ذكورا وإناثا تجدهم فى الصف الأول فى ارتكاب هذا النمط من الشرك والسحر وربما ما هو أقبح وقد يصنع لهم سرًّا لقضاء حوائجهم.

وهو أمر قد يطّلع عليه القارئ فعلينا بتقوى الله فى السر والعلانية ولا نحرم ما أحله الله أو نحلل لأنفسنا ما حرمناه لغيرنا لأننا إليه راجعون.

الشـرك فى المـدح والطـاعة

ومن الأبواب التى يكفّر بها المسلمون بدعوى أنك ولو صدقت بوحدانية الله تعالى ورسالة أنبيائه وسائر أركان الدين قد تنتقل من الملة بجعل شيخ أو سيد هو الآمر الناهى لك دون الله سبحانه.وتتقوّى هذه الشبهة بالنظر إلى قوله تعالى فى سورة مريم : **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44)**.

حيث صرّح بأن ذلك نوع من العبادة.ومثلها سورة يس: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60)**.ولكن الخطأ هو إذا أطاع الانسان سيده أو شيخه فى ضوء الطاعة لله دون معصيته فهذا ليس من عبادة غير الله فى شيء.

وأمر آخر ينبغى أن لا نغفل عنه هو أننا قد نرى عملا معصية لله ولكن فاعله لا يراه كذلك وربما لدليل قام عنده فمهما رأينا قبح الفعل فإنه لا يراه كذلك والحكم النهائى عند الله تعالى مناط بنية الفاعل.ومثال ذلك أننا هنا قدّمنا مخالفة علمائهم للسلف فى مواضع متعدّدة،ولم يسوّغ لنا ذلك رمي أتباعهم بعبادة الطاعة لهم لأنهم اعتمدوا على أدلّة عندهم.

الـغلـوّ فى المـدح

إن نار النزاع مشتعلة بين أتباع المذهب الصوفى وإخواننا اهل السنة فى إطلاق ألفاظ فى المدح لتوقير الصالحين وفى رأسهم سيد الخلق ﷺ.بل يضرب أولئك الأمثلة على الغلو ببعض القاصائد النبوية المشتهرة.ومثال ذلك قول البوصيرى فى البردة: **يا أفضل الخلق ما لى من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم**" ونحو هذا البيت مما يعدّونه شركا!

البـداية بفعـل الخـصـوم

لقد قيل فى مدح ابن تيمية –الشيخ الذى هو أكبر قدوة لإخواننا–أكثر ما قيل فى أحد عبر تاريخ الاسلام. وفى كتاب العقود الدرية فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية لتلميذه المتبّع المشهور الحافظ ابن عبد الهادى ما يكاد القارئ يحسبه أسطورة لعظمة مضمونه.وهاك الأمثلة:

قف إن مررت بقاسيون على ثرى فيه ضريح العـالم المتـفـرد

واعجب لقبر ضم بحرا زاخـرا بالفضل يقذف بالعلا والسؤدد

هذه مرثية لمحمود بن علي الدقيقى وقد وصفه المؤلف قبله بأنه: "**الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل أوحد دهره وفريد عصره إمام المحققين وقدوة أئمة المحدثين**"! (**ص 413–414**)

وفى موضع آخر:

يا كالىء الإسلام من أعدائه ... وسمام كل أخي نفاق ملحد

يا واحد الدنيا الذي بعلومه ... يمتاز في الإسلام كل موحد

يا حامل الأعباء عن مستنصر يا كاشف الغماء عن مستنجد

يا طارد الشبهات عن متردد ... يا دافع الفاقات عن مسترفد

قرت عيون مجاوريك وقد غنوا ... بجوار قبرك عن وثير المرقد

يا من يروم له عديلا في الورى قد رمت كالعنقاء ما لم يوجد

(**ص 415–416**).

وفى موضع آخر:

أنت روح الوجود في عصرك الآن وقلب الورى وعين الزمان

والبرايا إذا اعتبرت جميعا منك أضحوا بمنزل الجثمان

(**ص 456**).وإنما هذا نبذة للقارئ وعلى طالب المزيد مطالعة الكتاب.

أســئلـة:

1-مصنف الكتاب كما قلنا أحد كبار أتباع ابن تيمية.وقد أورد قول من ادّعى أن البرايا-الخلق جميعهم الأنبياء والملائكة والانس والجن والدواب والاشجار وكل شيء خرجوا من ابن تيمية،بل أثبت له وعدّ كلاءة العباد وكشف الغمة وغيرها من أفعاله وكراماته!فما حكم هذا القول الذى لم يأت فى مدح أحد قبله؟

2-وما حكم القائل المتعمّد؟

3-فإن كان شركا كما هو لازم مذهبهم ومذهب غيرهم-كيف ولا-فبما أن المصنف من كبار المتّبعين له أين التوحيد الذى علّمه الشيخ تلاميذه؟

4-وأي كتاب كتب فى الردّ عليه؟

6-وهل من الانصاف أن نكفّر بعض المسلمين بما هو أدنى ونعذر من فعل مثل هذا؟

7-ويحكى من معاند قوله إن الشيخ بريء من كل هذا بخلاف تلاميذه فقد علّم التوحيد فى حياته!قلت:العجب أو المضحك:إذا وقع أمثال ابن عبد الهادى فى الشرك وهم المبلّغون لخبر جهاده ضد الشرك والبدعة،فما الشهادة على تعليمه العقيدة ؟إذا لم يصح تعليمه أو لم يقبل منه حتى تلاميذه الأقربين!

درس هــامّ

إننا لا نجهل أن بعض المادحين للأولياء والعلماء الصالحين والصحابة النبي صلى عليه الصلاة والسلام بالدرجة الأولى يُغالون بحيث يصف الممدوح ببما يخصّ الله تعالى أو ينسب إليه ما لا يصلح إلا لله تعالى سواء بعلم أو بغير علم.ويجب على العلماء الزجر فى ذلك كله.

أمر آخر،ينبغى أن يعرض تلك المدائح والقصائد على العلماء المحققين لعملية التحرير وغربلة مضامينها بقدر ما تستحقه قبل إخراجها.

وأخيراً،إن السعي للدفاع عن التوحيد وحمايته عمل مشكور كالسعي للذّبّ عن السنة النبوية ولكن الواجب التصدّى لذلك على علم صحيح وافر وحكمة كيلا يوقع المقاوم للغلو فى المعتقدات نفسه فى حفرة الغلو فى الحكم!

تنبـيه:وقد أكثرت النقل فى هذا الباب من كتاب "الخلل الوهّابي فى فهم التوحيد القرآنى" مع تصرّفات مناسبة فى مواضعها.(نفعنا الله بما فيه).

الـباب الثـالـث

ذكر الله تعـــالى

أولا،طال الحوار قديما بين الصوفية وخصومهم حول مفهوم الذكر فى الكتاب والسنة حتى أننى سألت عالما دليل شيخ صوفى فى تفسير كلمة "الذكر" كلما وردت فى القرآن بالذكر الصوفى المعهود والحال أن لها معان عديدة فقال لا مانع من ذلك فإنها تحتمل جميع المعانى حيثما وردت

ومن الطرف الآخر علق الشيخ أبوبكر محمود جومى على هامش ترجمة تفسيره باللغة الهوساوية فى سورة هود وعند قوله تعالى : **وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ (114)** فقال:إقامة الصلاة مع الامام فى المساجد هو الذكر لمن أحبّ الذكر الصحيح".وله مقالات مثل هذه فى مواضع شتى.

والحق أن الكلمة تأتى بمعان فى أماكن لمن تأمّل،إلا أنه يندرج معان وأمور فى بعض المعانى أحياناً.

فأولا،تأتى بمعنى القرآن كما فى سورة الحجر : **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)** والنحل: **بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)** والأنبياء : **وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)** ونحوها من الآيات.

وثانيا،تأتى بمعنى الصلاة(وهو ما ينبغى أن يقوله الشيخ أبو بكر جومى)والتى تشتمل على قراءة القرآن وأذكار كما فى الجمعة: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9)**.وسورة الأعلى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)**

قال القرطبى: **(وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) أي ذكر ربه. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه، فعبده وصلي له. وقيل: ذكر اسم ربه بالتكبير في أول الصلاة، لأنها لا تنعقد إلا بذكره، وهو قوله: الله أكبر: وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة، لان الصلاة معطوفة عليها... وقيل: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ وهو أن يذكره بقلبه عند صلاته، فيخاف عقابه، ويرجو ثوابه، ليكون استيفاؤه لها، وخشوعه فيها، بحسب خوفه ورجائه. وقيل: هو أن يفتتح أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم. فَصَلَّى أي فصلى وذكر.** الخ.

وثالثا،تأتى بالذكر المعهود المشتمل على التكبير والتهليل والتسبيح ونحوها كما فى البقرة: **فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا**

آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (200) والأنفال: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)**.

ورابعا،تأتى بمعنى العبادة أو اتّباع ما شرعه الله تعالى واجتناب نواهيه كما فُسّر آية البقرة : **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)**.

قال العلامة القرطبى تحتها:**واصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم. ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة، قاله سعيد بن جبير. وقال أيضا: الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن، وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أطاع الله فقد ذكر الله وإن أقل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير)، ذكره أبو عبد الله مُحَمَّد بن خويز منداد في" أحكام القرآن" له**.انتهى ملخصا.

فالمعانى- السابقة -مما عدا الرابعة-تفيد الباقية:يتضمّن القرآن الذكر وأسماء الله تعالى؛ومثله التكبير وسائر الأذكار،وأيضا الصلاة.والعبادة والحياة الشرعية متضمّنتان للذكر القلبى والذى هو غاية لذكر اللسان والجوارح.وعليه فما ابتعد عن النهج من فسّر جميع أنواع الأذكار بالذكر المعهود-وهو المعنى الثالث-،وإن كان الأفضل عدم الاقتصار عليه.

مـفـهـوم الـذكـر

وفى مدارج السالكين لابن القيم (**2/340–434،350**):**فصل قال : والذكر : هو التلخص من الغفلة والنسيان والفرق بين الغفلة**

والنسيان : أن الغفلة ترك باختيار الغافل و النسيان ترك بغير اختياره انتهى.

وعرّف أيضا بـ "ترديد إسم من أسماء الله فى اللسان أو فى القلب أو كل قول يتضمّن تسبيحه تعالى وتعظيمه"(راجع **ضياء الذُّكّار** لمولانا الشيخ مُحَمَّد الجميل القادرى فغي ص 54).

فضـائل الـذكر فى القـرآن الكـريم

وقد عدّ العلاّمة ابن القيم عشرا من فضائل الذكر كما جاء فى كتاب الله بقوله:

فصل وهو في القرآن على عشرة أوجه الأول : الأمر به مطلقا ومقيدا

الثاني : النهي عن ضده من الغفلة والنسيان الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته الرابع : الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة الخامس : الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره السادس : أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له السابع : الإخبار أنه أكبر من كل شيء الثامن : أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها التاسع : الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم العاشر : أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح

قلت:

1- فى سورة الأعراف : وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ (205).وفى الأحزاب: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41)

2-فى الأعراف: وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ(205).وفى الحشر: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (19).

3- فى الأنفال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

4-وفى الأحزاب: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (35).

5- فى المنافقين: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (9).

6- فى البقرة: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (152).

7- فى العنكبوت: تْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ (45).

8-فى البقرة: فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (200).

وفى الجمعة: **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)**

9- فى آل عمران: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ (191).**

10-فى سورة طه: **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14).(مدارج السالكين 2/- 424-425، 340-350).**

أقسام الـذكـر

وينقسم الذكر هنا إلى ثلاثة أقسام:ذكر بالقلب،وذكر باللسان وذكر بالجوارح.وقد سبق البيان لتداخل بعضه فى بعض.فمن قيّده بالقلب فى جميع الأوقات والأماكن أو بعمل دون غيره كان ظالما بقوله!وأصوب الأقوال أن الذكر اللسانى يورث القلبى ولا يلزم العكس.والذكر بالجوارح هو سائر أعمال العباد وفى الحديث أن جميع أعضاء العبد ذاكرة لله تعالى بمرور الأيام.

أنـواع الـذكـر

ويحصل الذكر اللسانى بأعمال متنوّعة ومن ذلك تلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ةالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار والدعوات التى نقوم بها.وبما أن

فى الدعاء ذكر اسماء الله تعالى وصفاته وإرجاع فكر العبد لربه فقد بلّغ الرسول الرسالة لأمته فى تعليمها ا تحتاج إليه من أدعية وأذكار فى أوقات عبادتها وحياتها.

فعلّم مثلا الدعاء دبر الصلوات: **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، فَقَالَ : أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ.**(أخرجه أبو داود **1522** والنسائى **1299،1303**).**وعلّم أذكارا بعد المفروضات من الصلوات**(فى البخارى:843)ومسلم(**936** و**595**) **قَالَ « أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ ، إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ » . فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ « تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ » .**

وأذكارا تقال فى الصباح والمساء:فى صحيح مسلم (27004883)وسنن الترمذى(3401،3720) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ **يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ قَالَ « قُلِ اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قَالَ قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ** »وفى الصباح والمساء غير هذا(كما عند أبى داود 5087)والترمذى (3399)

وفى النوم فى صحيح البخارى(247)ومسلم (2710)وأبى داود(5047،5046)
والترمذى(3405)وابن ماجة (3876)وهذا لفظ أبى عبد الله: **عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِى إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِى إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ . فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ » . قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِىِّ – ﷺ – فَلَمَّا بَلَغْتُ « اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ » . قُلْتُ وَرَسُولِكَ . قَالَ « لاَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ » .**
أطرافه 6311 ، 6313 ، 6315 ، 7488 – تحفة 1763.

وعند الخروج من البيت كما فى سنن الترمذى(3437):

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِىَّ –ﷺ– كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ « بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا ».
قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفى حالة المرض كما فى سنن الترمذى(3441)وابن ماجة (3794): **عَنِ الأَغَرِّ أَبِى مُسْلِمٍ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِى سَعِيدٍ وَأَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِىِّ –ﷺ– قَالَ « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ.**

وَإِذَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ. قَالَ يَقُولُ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَأَنَا وَحْدِى. وَإِذَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. قَالَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِى لاَ شَرِيكَ لِى. وَإِذَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. قَالَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِىَ الْمُلْكُ وَلِىَ الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِى. وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِى مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ ». قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وعند النزول بموضع فى صحيح مسلم(2708)وسنن الترمذى (3448،و3768)وابن ماجة (3547) : **عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَىْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ** »الخروج للسفر كما عند الترمذى(3449)والنسائى(،و5518،5516): **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– إِذَا سَافَرَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ قَالَ بِإِصْبَعِهِ – وَمَدَّ شُعْبَةُ بِإِصْبَعِهِ – قَالَ « اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِى السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِى الأَهْلِ وَالْمَالِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ** »وأدعية أخرى كثيرة.

ومن الذكر المقيّد والمطلق.فالأول ما أمر الشرع به فى وقت ومكان مخصوص كالأذكار دبر الصلوات والسفر وحين الأكل أو الشرب أو عند عقد الزواج وفى حالة الشدة ونحوها والثانى ما أمر الشرع به بدون تقييد للوقت والمكانبل ومنه المقيّد بالعدد وغيره.

(راجع ضياء الذّكّار ص 33،29،26).

آداب الـذكـر

هذا لأن القرآن أفضل الأذكار تكون آداب تلاوته آدابا للذكر أيضا.ومثاله السواك قبل الشروع ثم طهارة البدن والثياب والمكان،وإحضار الخشوع مع إخلاص النية والطمأنينة ونحوها فإنها مهمّة جدّاً.ولا يشترط استقبال القبلة أو التقيّد بزمن إلا فى المأثور بذلك.والله أعلم.

فـوائـد الذكـر

لو لم يكن للذكر فائدة سوى إحياء قلب العبد من موت الغفلة وإضائتها بالنور لكفى به فائدةً. وعلى الرغم من ذلك فإن له فوائد جمّة ولكن سنكتفى بما يخرج من الأحاديث التابعة بمشيئة الله.

فضائل الذكر فى الحديث النبوى

1-كتاب الله-كصفة وكلام له هو أفضل الأذكار.أثبت لنا هذا حديث الترمذى: **عنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- « إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ ». يَعْنِي الْقُرْآنَ.** (2921).و(3160).

2-عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « لَيْسَ شَىْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ.والدعاء ذكر كما تقدم.

3-عن عبد الله بن بسر قال : جاء أعرابيان إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال أحدهما : يا رسول الله أخبرني بأمر أتشبث به قال : (لا يزال لسانك رطبا من ذكرالله) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي.(صحيح ابن حبان 814)والحاكم (1822)وصححه وأقره الذهبي.

4- أخرج البخارى (،6856،7405)ومسلم (**2675،4832**)عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ ،إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً انتهى.

5- يدخل الذاكر تحت ظل العرش ففى صحيح البخارى(66)،ومسلم(1712،2377)،والترمذى (2391،2568)والنسائى (**5380،5395**)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ انتهى.

6- عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

لأن أقعد أذكر الله وأكبره وأحمده وأسبحه وأهلله حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق رقبتين من ولد إسماعيل

ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقبات من ولد إسماعيل

وفي رواية : " لأن أذكر الله إلى طلوع الشمس أكبر وأهلل وأسبح أحب إلي من أن أعتق أربعا من ولد إسماعيل ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل "

ص . 133

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد(**132/10**) : **رواه كله أحمد والطبراني بنحو الرواية الثانية وأسانيده حسنة** .انتهى.والفائدة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة منقولة من كتاب الكافى للشيخ الشريف إبراهيم بن صالح الحسينى (275/4-281).

النـزاع فى الـذكـر

وإلى هنا يصح القول بأن الفريقين متفقان على ثبوت الذكر وفضله وأنواعه فى الكتاب والسنة.ولكن يصفون الغلاة من الجانب الصوفى إخواننا بأنهم أعداء لذكر الله تعالى انطلاقا من اعتراضاتهم على أهل الذكر فى ساعة الحوار بعدما أطلق هؤلاء أيضا على الصوفية لقب "الذاكرون المبتدعة" أو "المبتدعة".ومن أدلتهم فى التبديع أنه وإن ثبت أصل الذكر بأنواعه فى الدين الاسلامى فإن الصوفية يرتكبون فيه بدعا كإجرائه جماعة أو جهرا(فى غير المواضع المشروعة)أو اختراء

صيغ له مما لم ليس بمأثور عن النبي ةالصحابة وسلف الأمة،او تحديد عدده أو توقيته أو مكانه أو حتى استبدال المأثور عن السلف وعلى رأسهم سيد الخلق ﷺ بحيث يقع الزيادة والنقصان وأشياء نحو هذه.

النـهى عن الجـهـر بالـذكـر

يرى إخواننا الخصوم أن الجهر بالذكر ممنوع كما قال الشيخ أبوبكر جومى إلا فى ثلاثة مواضع:الحج،التكبيرات فى العيدين وفى الجهاد(راجع العقيدة الصحيحة له)لما فى آية الأعراف من قوله تعالى: **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ** (205) ولحديث الامام مسلم (2704): **عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ**

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ وَأَنَا أَقُولُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

أدلـة الجهـر بالـذكر

1–أخرج البخارى (841)ومسلم(**919،585**): **أَنَّ أَبَا مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – أَخْبَرَهُ أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ – ﷺ – . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ . طرفه 842 – تحفة 6513.**

2–الحديث السابق عند البخارى (**7405**)ومسلم (**2675،4832**)الذى فيه قوله تعالى : **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ الخ.**

3– حديث مسلم(**2700،4868**) والترمذى (**3389،3705**)وابن ماجة(**225،3791**)**عَنْ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**.فالحديثان عدّهما الحافظ السيوطى "حجة للجهر بالذكر وقال الذكر فى الجماعة لا يسوغ إلا بالجهر".

تنبيه:قال بعض العلماء إن الإخفاء بالذكر أفضل،وقال آخرون الجهر أفضل.ويرى المانعون أن الإخلاص فى السر كما أن المجوّزين يرونه علاجا للسآمة والملل.وقال النووى إذا خيف الرياء،وإلا فالجهر به أولى(ضياء الذّكّار ص 36).

ذكـر الجـماعـة بـصـوت واحـد

الأحاديث السابقة للبحارى ومسلم والترمذى وابن ماجة فى رفع الصوت بالذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما هى نفس الدليل للجهر بالذكر.وما يروى ن نهى عبد الله بن سعود جماعة عن ذلك لا أصل له كما بينه السيوطى فى رسالة **نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر**.

والجدير بالتأمّل هنا هو أن الروايات فى وجود بعض الصحابة يذكرون الله بأذكار خاصّة كالتهليل والتسبيح تشير إلى أن ذلك جهاراً وبصوت واحد،وإلا فأنى للراوى العلم بفعل جميعهم بمجرد رؤيتهم جلوساً، فضلا عن الإطّلاع والتنصيص على كيفية الأذكار والألفاظ الخارجة منهم؟

تحـديـد الـذكـر

إذا جاوز الذكر قنطرة الابتداع فى الجهر به والإجتماع عليه فلا يبقى إلا كون ألفاظه وتوقيته من تعليم النبي ﷺ وصحابته والسلف الصالح.فكيفما حسنت ألفاظه وكثرت فائدته الموعود بها يصير ذكرا بدعيًّا أو ذكرا للمبتدعة بفقدان أحد الشروط المذكورة.

ولا ريب فى وجوب الاقتداء **بالنبي** ﷺ كما نصّت عليه سورة الأحزاب : **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (21)**.

فمن الذكر المقيد بالزّمن والمختصّ بالمكان أو المحدود بالعدد أو بالثلاثة.وهو المقيد والمطلق كما مر فى ضياء الذّكّار.

مثال المحدود بالزمن والعدد :

الأذكار بعد الصلوات المفروضة(بكل الروايات)مما اشتمل على التسبيح والتحميد والتهليل(راجع البخارى :843)ومسلم (595،596،597).

ومثال المقيد بالزمن:دعاء وذكر النوم الذى علّم البراء بن عازب ونهاه عن تبديل اللفظ(البخارى 247 ومسلم 2710 وأبو داود 5046 والترمذى 3405 وابن ماجة 3876).

ويمكن أن نزيد بأذ كار الصباح والمساء(مسلم 2723،والترمذى 3401) والخروج من البيت(الترمذى 3437)والمرض (3441)وابن ماجة(3794)والسفر(الترمذى 3449)والنسائى(5516).وهذا ندخل الدعاء لدخول الخلاء والخروج ودخول الأسواق أو المقابر أو النزول بمكان(مسلم 2703)والترمذى(3448)وابن ماجة(3547)فى النوع المختصّ بالمكان.

وينبغى أن نفهم الآتى:

1-تبديل اللفظ أو العدد فى الأذكار بعد المفروضة بغير ضرورة (كعجز الفاعل)مفسد للعمل جميعا غالبا.

2-تبديله عمدا فى العبادات المندوبة والنوافل سبب لانتقاص الثواب غالبا،لأن العمل كما دلّ عليه الشرع مورث لثواب العمل وثواب الاقتداء.

3-من الأذكار ما لا بأس للزيادة فيه بلفظ حسن كما سبق البيان فى التلبية فى باب السنة والبدعة.

الأدلــة على اخــتراع الأذكــار

ويتشدد إخواننا فى إنكار الذكر والعدد الذى كان باجتهاد العلماء غيرةً منهم على الاقتداء بالسنة المحمدية وهى أمر حسن إلا أن أحسن منها أن يكون المنكر أو الواعظ ذلك بعلم وعلى بصيرة.فإنه متى كان من النوع الذي لم يُحدّ عددا وتوقيتا ومكانا فلا بأس فى اختراع ذكر صحيح الأصل أو يزيد على المعروف للأدلة الآتية:

1-ألفاظ التلبية المتقدمة وعمل بعض الصحابة فى ابتداع الاذكار والأدعية.

2-حديث مسلم (**129 ،1308،1307**) **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ**

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ فَقُلْتُ امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي قَالَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ

وفى رواية :خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ (1958).انتهى.

3-عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ.(مسلم **1236،142**،أبو داود: 1313،الترمذى :**584،581**)وابن ماجة (**1343**).

فما هو الحزب والورد؟

فى النهاية فى غريب الأثر(**945/1**): **الحِزب ما يجعله الرجُل على نفسه من قراءة أو صلاة كالوِرْد . والحِزب** انتهى.

فلم ينه الشرع اختراع لفظ للدعاء أو الذكر ،بل أعدّ لصاحبه كيفية القضاء إذا فاته لسبب نومى أو غيره! وتنبّه:آخر الحديث فيه: وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ! وأنى لنا الدوام على العمل إلا بتحديد وقته وعدده ومكانه؟

مثال واضح إذا أنت لم تفهمنى:لو قرأه يوما خمس مرات،ويوما آخر سبعا،ويوما بعده عشرا،لم يداوم على أي من الأعداد–لا الخمس ولا السبع ولا العشر.ولكن إذا قرأه كل يوم خمس مرات أو عشر مرات أو مأة مرةفقد داوم على العدد المعهود،وهو الأحب إلى الله كما قال الرسول ﷺ!

أكان ابن تيمية مبتدعا؟

فتسمية الأذكار المخترعة المحدودة بالعدد والوقت والمكان من اجتهاد العلماء بدعة شيء بدأه شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وعليه تلاميذه كما لو راجعنا سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى (**193/1،و113**) ففيه أثناء كلام فى حديث السبحة ما نصه:

قد يقول قائل:إن العد بالأصابع كما ورد قي السنة لا يمكن أن يضبط به العدد إذا كان كثيراً،فالجواب:إنما جاء هذا الاشكال من بدعة أخرى وهي ذكر الله في عدد محصور كثير لم يأت به الشارع الحكيم،فتطلبت هذه البدعة بدعة أخرى وهي السبحة! انتهى المراد.

وفى مجموع الفتاوى (510/22-512 و511): **وَلَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يَسُنَّ لِلنَّاسِ نَوْعًا مِنْ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ غَيْرِ الْمَسْنُونِ وَيَجْعَلَهَا عِبَادَةً رَاتِبَةً يُوَاظِبُ النَّاسُ عَلَيْهَا كَمَا يُوَاظِبُونَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ؛ بَلْ هَذَا ابْتِدَاعُ دِينٍ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِهِ ؛ بِخِلَافِ مَا يَدْعُو بِهِ الْمَرْءُ أَحْيَانًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَهُ لِلنَّاسِ سُنَّةً فَهَذَا إذَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَعْنًى مُحَرَّمًا لَمْ يَجُزْ الْجَزْمُ**

بِتَحْرِيمِهِ ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِيهِ ذَلِكَ وَالْإِنْسَانُ لَا يَشْعُرُ بِهِ . وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ يَدْعُو بِأَدْعِيَةِ تُفْتَحُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْوَقْتَ فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَرِيبٌ . وَأَمَّا اتِّخَاذُ وِرْدٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ وَاسْتِنَانُ ذِكْرٍ غَيْرِ شَرْعِيٍّ : فَهَذَا مِمَّا يُنْهَى عَنْهُ وَمَعَ هَذَا فَفِي الْأَدْعِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ الصَّحِيحَةِ وَنِهَايَةُ الْمَقَاصِدِ الْعَلِيَّةِ وَلَا يَعْدِلُ عَنْهَا إلَى غَيْرِهَا مِنْ الْأَذْكَارِ الْمُحْدَثَةِ الْمُبْتَدَعَةِ إلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُفَرِّطٌ أَوْ مُتَعَدٍّ .انتهى.

العجب العجاب

ومن قرأ قول ابن تيمية هذا يمتلئ عجبا مما فى مدارج السالكين لابن القيم وهو من أقرب الناس له ونصه(**448،360/1**): **ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة : أن من أدمن يا حي ياقيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه شديد اللهج بها جدا وقال لي يوما : لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم وسمعته يقول : من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر ياحي ياقيوم لاإله إلا أنت برحمتك أستغيث حصلت له حياة القلب ولم يمت قلبه** انتهى.

ميزان علمي

خلاصة القول أننى لم أقف فى نظرى القاصر مصدر هذا الذكر أو الدعاء بين المصادر والكتب الشرعية.نعم،روى الترمذي (3524) لفظ "يا حي يا قيوم برحمتك

أستغيث".ولكن غير ما أعطاه ابن تيمية ففى ورده زيادة "لا اله إلا أنت".وثانيا ليس في الوارد تقييده بالعدد والزمن كما فى الذى أتى به شيخ الاسلام!

ثالثا،كان النبي ﷺ يقرأه فى حالة الكرب وابن تيمية يعطيه روما لحياة القلب!

فالخيار بين يدي القارئ فى الأخذ بقول ابن تيمية وقول تلميذه الأقرب،ولكن هذا الورد الذى أعطاه دليل على جواز الأخذ بالذكر أو الدعاء المشتمل على ألفاظ حسنة مع تحديد العدد والزمن بدون مسوّغ لتسميته بـ "البدعي" أو الذكر نفسه بـ "الذكر البدعي" كما يتشدّد فيه إخواننا.

وأعجب منه أن الخصوم بعد الوقوف على الكلام فى موضعه يتحاشون إطلاق لقب "المبتدع" على صاحبه–شيخ الاسلام–.ونرجو أن يرشدنا من علم مصدره إن كان للذكر المذكور أصل فى السنة النبوية.وهيهات.فليه له إلا ما قاله ناقله ابن القيم،فقد قال "ومن تجريبات السالكين التى جربوها فألفوها صحيحة". فلم يكن إلا عن طريق التجربة!

تنبيه: كما لا نوافق على تسمية المعارضين للاحتفال بالمولد النبوى بأعداء الرسول كذلك أيضا نرفض الحكم على من أنكر الجهر بالذكر أو الاجتماع عليه بصوت واحد أو حتى استعمال السبحة بأنه منكر لعملية ذكر الله تعالى.

والعذر الأول لهم هو الدليل القائم لديهم فى إنكارهم ذلك بمقتضى الفهم للنصوص.

والثانى أنه لا يلزم من عدم استعمال السبحة عدم الذكر لله،بل كثير ممن لايستعملها ذاكر لله تعالى فى أوقاته الصباحية والمسائية.فكما أن تهمة الرياء ضدّ حامل السبحة ذنب يستتاب منه هكذا تهمة العداوة للذكر بمجرد الخلاف فى الموقف فى كيفيته كالجهر به والاجتماع عليه ذنب وإساءة للظن أيضا،ومهما رأينا حجة الخصوم.

أفضـــل الأذكـــار

1-كتاب الله:فى حديث الترمذى : **عنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- « إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ ». يَعْنِي الْقُرْآنَ.** (2921).و(3160).

2-**كلمة الشهادة:**حديث الترمذى (3711،3394) وابن ماجة (3800): **يقول طلحة بن خراش سمعت جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنهما يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ».**

3-ثم سائر الأذكار الحاملة لأسماء الله تعالى وصفاته.

نـظـرة أخـرى فى الجـهـر بالـذكـر

لو تأمّلنا لرأينا النهى عنه فى الآيتين من سورة الأعراف : **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)** وقوله تعالى: **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ (205).**

قال العلامة القرطبى فى الأولى: **ومعنى" خُفْيَةً" أي سرا في النفس ليبعد عن الرياء، وبذلك أثنى على نبيه زكريا عليه السلام إذ قال مخبرا عنه:" إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا «4»". ونحوه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي). والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجرا من الجهر... (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) يريد في الدعاء وإن كان اللفظ عاما (إلى هذا هي الإشارة «1». والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر. وقد يتفاضل بحسب ما اعتدى فيه. وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (سيكون قوم يعتدون في الدعاء). أخرجه ابن**

ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة. حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سعيد الجريري عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني، سل الله الجنة وعذبه من النار، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (سيكون قوم يعتدون في الدعاء). والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها الجهر الكثير والصياح، كما تقدم. ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالبا معصية وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظا مفقرة «2» وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام. وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء انتهى كلام القرطبي.

وقال فى الثانية: قوله تعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) 20 نظيره" ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً «2»" وقد تقدم. قال أبو جعفر النحاس: ولم يختلف في معنى" وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ 20" أنه في الدعاء. قلت: قد روي عن ابن عباس أنه يعني بالذكر القراءة في الصلاة. وقيل: المعنى اقرأ القرآن بتأمل وتدبر.انتهى.

وقد عدّ السيوطى ثلاثة معان ليس فيها النهى عن الجهر بالذكر وكانت إحداها بمعنى آية الاسراء عند قوله تعالى: **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)**.أى كان النهى لئلا يسمع المشركون فيسبّوا القرآن ومنزله –والعياذ بالله–وهو المتقدم عن القرطبى آنف

البـــاب الـــرابــع

فى الـولي والـكـرامـة

الولاية فى لسان العلماء تنقسم إلى قسمين:الولاية العامة والخاصة.فالأولى هى الخروج من ظلمة الكفر إلى نور الايمان كما تقول سورة البقرة: **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (257).**

وهذه الولاية قد تكون كاملة بالدرجة القصوى وقد تكون ناقصة للدركة السفلى.

أما الخاصة فهى ولاية التقوى والايمان (فى المرتبة الثانية)والاستقامة والتقرب إلى الرب وهى الولاية بخيار الله ولا تكون إلا كاملة.ويستاوى فيها جميع الأولياء وإن فاق بعضهم بعضا ببعض العوامل كما يتفاوت الأنبياء والرسل بينهم مع أن نفس النبوة أو الرسالة دائرة واحدة.

وقال تعالى فى سورة يونس: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (63).**

قال فى الدر المنثور:

وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير في قوله : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال : هم الذين إذا رؤوا ذكر الله.

وأخرج الطبراني وأبو الشيخ ، وَابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا وموقوفا {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} قال هم الذين إذا رؤوا يذكر الله لرؤيتهم.

وأخرج ابن المبارك ، وَابن أبي شيبة ، وَابن جَرِير وأبو الشيخ ، وَابن مردويه عن سعيد بن جبير ﷺ عن النَّبِيّ ﷺ {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} قال يذكر الله لرؤيتهم.

وأخرج ابن المبارك والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم وأبو الشيخ ، وَابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله من أولياء الله قال الذين إذا رؤوا ذكر الله انتهى ملخصا.

وفى عبارة أخرى:

: له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره؛ قال الله تعالى: " وهو يتولى الصالحين " فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق، سبحانه، رعايته.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي، من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًّا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء كما ذكره حديث البخارى (6502،6021) (راجع الكافى فى علم التزكية 1/147-154) بتصرف منى.

هـل يعـرف الـولي؟

ومحل النزاع بعد اتفاق جميع المسلمين المصدّقين للقرآن على وجود الولي هو هل يعرف بأن الرجل الفلاني ولي لله أم لا يعرف؟وقد كان في هذا أقوال مختلفة.ففي رسالة الامام القشيرى ما نصه: **حدثنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا أبو نصر السرَّاج، قال: سمعت طيفور البسطامي يقول: سمعت المعروف بعمِّي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال لي أبو يزيد: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهر، فمضينا إليه؛ فلما خرج من بيته، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم سلم عليه، وقال: هذا غيرُ مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ؛ فكيف يكون مأموناً على ما يدَّعيه؟** انتهى.

ثم قال المصنف:**واختلفوا في أن الولي: هل يجوز أن يعلم أنه وليّ، أم لا؟ فمنهم من قال: لايجوز ذلك؛ وقال: إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكراً، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً؛ لخوف سقوطه عما هو فيه، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية: وفاء المآل. وقد ورد في هذا الباب حكايات كثيرة عن الشيوخ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار، وإلى هذا كان يذب من شيوخنا الذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك، رحمه الله.**انتهى.

قلت–البشير–قد يُعلم بعض الأولياء –ولا أقول جميعهم–وقد يَعلم الوليُّ نفسه بصفاته وأعماله وأخلاقه كما بيّن فى مواضع والقصة السابقة شاهد قوي على ذلك.والله أعلم.

كـرامة الــولي

ومن الممكن ظهور كرامة أو موهبة أو طريقة أخرى يكرم الله به عبدا من عباده ويؤيده بها.فالكرامة دلالة على صدق الولي كما أن المعجزة دلالة على صدق النبي.والكرامة أيضا تحت قدرة الله تعالى ولكنها تختلف عن المعجزة بأن الأنبياء مأمورون بإظهارها،فى حين أن الأولياء لم يؤمروا بإظهار الكرامة.قال القشيرى: **وقد تحصل باختياره ودعائه، وقد لا تحصل له، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات** انتهى.(**ص 158**).

ويحصل بالكرامة كل شيء دون المستحيل لحديث الولي فى صحيح البخارى (6502،6021) حيث قال ﷺ :وإن سألنى لأعطينه.

أنـواع الكـرامـة

وفى الرسالة القشيرية ما نصه:

قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظهار، أو حصول ماء في زمان عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة.انتهى.

وأعلم أن كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لايجوز أن يظهر كرامة للأولياء؛ وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان لا من أبوين، وقلبَ جمادٍ بهيمة أو حيواناً، وأمثال هذا كثير.(ص 159).

وقد اتفق العلماء على أن أفضل الكرامات هى توفيق الله للعبد بكونه على الصراط المستقيم.

أمـثلـة الـكـرامـة

1–قبول دعاء الصحابى سعد بن أبي وقاص كما دعا له الرسول ﷺ وكما روى البخارى(راجع الكافى فى علم التزكية **259/1**).

2–قصص مشهورة كقصة جريج العابد والطفل التى ذكرها القشيرى فى الرسالة بقوله: **وأما جريج فكان رجلا عابداً في بني إسرائيل. وكانت له أمٌّ. فكان يوماً يصلي إذا اشتاقت إليه أمه. فقالت: يا جريج. فقال: يا رب، الصلاة خير أم آتيها؟ ثم صلى. فدعته، فقال مثل ذلك. ثم صلى. فاشتدّ على أمه. فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات. وكانت زانية في بني إسرائيل، فقالت لهم: أنا أفتن جريجاً حتى يزني؛ فأتته، فلم تقدر على شيء. وكان راع يأوي بالليل إلى أصل صومعته، فلما أعياها راودت الراعي على نفسها؛ فأتاها، فولدت، ثم قالت: ولدي هذا جريج. فأتاه بنو إسرائيل، وكسروا صومعته، وشتموه، ثم صلى ودعا، ثم نخس الغلام.**انتهى (ص 160).

3–وقد ادعى ابن تيمية الاطلاع على اللوح المحفوظ كما نقله ابن القيم فى مدارج السالكين **(393/2)** حيث قال: **وسمعته يقول ذلك قال : فلما أكثروا علي قلت : لا تكثروا**

كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ : أنهم مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام قال : وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر انتهى ملخصا.

الـرؤيـا

وبما أننا نتحدث عن الولي والكرامة سنتناول الرؤيا لكونها نوعا من الكرامة للعبد الصالح من أهل الإيمان.

منـزلـة الـرؤيا وتعـبيرهـا

فى حديث سمرة عند البخارى (**465-466،1297**)ومسلم (**،1781**) **عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ**

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَالَ فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا الخ.

وعند البخارى أيضا (2563،6637)ومسلم (**2261،7721**) واللفظ له:**عن أبي قتادة**

: عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان الخ.

كـرامـة الـرؤيـا

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة: **قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة) . وما كان من النبوة فإنه لا يكذب** .(**6614،2574**)ومسلم(**4200،1774**).

وفى حديث آخر : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ » . قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ » . تحفة 13160 – 9/40.أخرجه البخارى (6990،2564).

حكم العمل بالـرؤيا

وكثيرا ما نخطئ فى الخلط بين أمرين:العمل بمضمون الرؤيا وثبوت حكم شرعي به.فنفى الثانى بقصد الأول لسوء فهمنا!

والتحقيق أن الحكم الشرعي بالرؤيا لا يثبت إلا إذا كانت من نبي أو ما أقره النبي.وقل إن شئت:لا يجوز إحداث حكم أو عمل شرعي بالرؤيا إلا إذا كان له أصل أصيل معلوم فى الدين بحيث تأتى الرؤيا بفرعه ويكون غير مناقض لأصل شرعي آخر.

ولهذا أثبت ﷺ رؤيا الصحابة على وقوع ليلة القدر فى اليوم السابع والعشرين من رمضان بقوله " « **أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَتْ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيْهَا فَلْيَتَحَرَّهَا مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ** »(البخارى 1158،709)ومسلم (1985،822).

وقد وقع مثل هذا فى الأذان والأذكار بعد الصلوات المفروضة.وعليه فقد انقطع ثبوت الحكم بالرؤيا فى أمتنا بعد انتقال النبي ﷺ،لانفراده بالرؤيا وبتقرير مضمونها.

العـمـل بالـرؤيـا

لم يغلق باب العمل بالرؤيا كما فهم الصحابة وكثير من العلماء.

1-أنجز الخليفة الأول أبو بكر الصديق وصية بدليل الرؤيا.ففى المستدرك للحاكم (برقم 5035) ما نصه: **عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ جَاءَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلَبِسَ أَكْفَانَهُ وَقَدِ انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاَءِ ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ ، فَبِئْسَ مَا عَوَّدْتُمْ أَقْرَانَكُمْ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَقْرَانِنَا سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلَ فَقَاتَلَ سَاعَةً فَقُتِلَ ، وَكَانَتْ دِرْعُهُ قَدْ سُرِقَتْ ، فَرَآهُ رَجُلٌ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، فَقَالَ : إِنَّ دِرْعِي فِي قِدْرٍ تَحْتَ إِكَافٍ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، وَأَوْصَى بِوَصَايَا ، فَطَلَبَ الدِّرْعَ فَوَجَدَ حَيْثُ قَالَ : فَأَنْفَذُوا وَصِيَّتَهُ.**

صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وَلِحَدِيثِ وَصَايَاهُ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ.

2-أنجز الخليفة الثانى رؤيا بلال بن الحارث كما جاءت القصة فى فتح البارى ومراجع أخرى مما تقدم فى باب الاستغاثة .

3-وروى الامام أحمد أن سيدنا عثمان أعتق عشرين مملوكا بالرؤيا.ونصه (برقم 526) : **عَنْ مُسْلِمٍ أَبِي سَعِيدٍ ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، أَعْتَقَ عِشْرِينَ مَمْلُوكًا وَدَعَا بِسَرَاوِيلَ فَشَدَّهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ ، وَلا إِسْلامٍ وَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ**

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْبَارِحَةَ فِي الْمَنَامِ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي : اصْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ ، ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُتِلَ ، وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

4-أنجز الامام الحسين أمر الرسول ﷺ قبل إخبار أحد كما فى تاريخ الطبرى(297/3)والبداية(163/8).

كـرامـة الـرؤيـا بالنـبى ﷺ

إن الفوز بسيد الخلق أجمعين من طريق الرؤيا لمن أعظم الكرامات للعبد المسلم فى الدنيا. فى رواية البخارى(2567-2568)ومسلم(1775-1776):قال رسول الله ﷺ :"من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة،ولا يتمثل الشيطان بى".وفى رواية "لا يتصور بصورتى".

أنـواع الـرؤيـا

وقد قسم الدكتور محمود صبيح الرؤيا إلى:

1-الرؤيا الحق والتى تكون:

-بشارة

-نذارة

2-إخبارية بأمر أو غيب غير معلوم فى الزمن الماضى أو المستقبل

-رؤيا الحال بالاطلاع على حال الرائى أو حال غيره

-الرؤيا النفسية وهى ما يراه الأنانيون ويؤثر على أجسادهم

3-أضغاث أحلام-ما يراه ليلا تأثرا بحديث عميق للنفس فيما يحدث بالنهار

4-تهاويل –يحدث بسبب أكل بعض الأطعمة وتأثر الروح والعقل به أو نوم فى وقت مكروه

5-الكوابيس-وتحدث غالبا من امتلاء المعدة بالطعام والإقلال من الطاعات ونسيان ذكر الله قبل الغروب والنوم.والمراعى لهذه الأشياء بعيد عنها.

رؤيــة النبي ﷺ فى اليـقظة

لقد اشتدّ النزاع حول إمكانية رؤيته ﷺ بعد انتقاله من دار الدنيا بين أتباع مدرسة ابن تيمية والمنتسبين للطرق الصوفية .ومن العجيب-إن لم نقل المؤسف –لما يتبع هذا الجدل بعدما تم الفراغ منه عند العلماء قديما.وإن كان لازما وقوع ما قدره الله تعالى.

لا نطيل الحديث فى هذا ولكن حجة المكذّبين لكرامة الرؤية يقظة هو الفراغ من تقريرات فى أهل البيت النبوى والخلافة مما يقتضى رحيله من الدنيا.وأيضا أنه وقعت نزاعات بين الصحابة بمقدوره التدخّل فيها لو كان ذلك ممكنا لظهر لحلّها.

يقول الشيخ أبو بكر جومى المرحوم "لو جاز رؤيته بعد الانتقال لرآه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى".وقد يقول قائل :كيف يرجع بعد الانتقال من الدنيا؟

فبالاختصار سؤالات مثل:لماذا لم يظهر فى الوقت الفلانى أو لماذا لم يتمثّل لفلان وفلان؟ تدل على قصور إدراك السائل لحكم الله تعالى فى إجراء الأمور.وبما أن المجال لا يسع هنا لذكر تلك الحكم سنكتفى بإيراد الأدلة على جواز رؤية النبى ﷺ يقظة-وهو العمل الذى أمامنا هنا-ثم يلتقط المزيد من لدن العلماء.

أدلـة رؤيــة النـبي فى اليـقـظـة

1-الأول أن نقول هل هناك نص مانع لذلك من بين النصوص القرآنية والحديثية؟

2-وإن لم يكن-كما هو الواقع-هل قال بمنعه عالم من العلماء المتقدمين؟

3-لقد شرح العلماء حديث البخارى ومسلم السابق ":"**من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة**" بأنها رؤية فى الدنيا لأن رؤيته فى الاخرة لا تقتصر على من رآه فى النوم.ويمكن مراجعة شروح الصحيحين.

4-قد كان من الصحابة من حظي برؤيته فى الدنيا بعد مماته ﷺ.

مثالهم الصحابى زيد بن خارجة حيث رأى النبى قبل جنازته كما فى دلائل النبوة للبيهقى(6/57-58) وتاريخ دمشق(38/224) والبداية لابن كثير(6/157).

فقد أخرج البيهقى: **عن إسماعيل ابن أبي خالد قال جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم ابن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو فإنك كتبت إلي لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه وهو يومئذ من أصح أهل المدينة فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأضجعناه لظهره وغشيناه بردين وكساء فأتاني آت في مقامي وأنا أسبح بعد العصر فقال ان زيدا قد تكلم بعد وفاته فانصرفت إليه مسرعا وقد حضره قوم من الأنصار وهو يقول أو يقال على لسان الأوسط أجلد القوم الذي كان لا يبالي في الله عز وجل لومة لائم كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك في الكتاب الأول قال ثم قال عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي**

الناس من ذنوب كثيرة خلت ليلتان وهي أربع ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضا فلا نظام وأبيحت الأحماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا كتاب الله وقدره أيها الناس أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا فمن تولى فلا يعهدن ذما كان أمر الله قدرا مقدورا الله أكبر هذه الجنة وهذه النار هؤلاء والنبيون والصديقون سلام عليك يا عبد الله بن رواحه هل احسست لي خارجة لأبيه وسعدا اللذين قتلا يوم أحد ("كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى فجمع فأوعى) ثم خفض صوته فسألت الرهط عما سبقني من كلامه فقالوا

سمعناه يقول انصتوا انصتوا فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب فكشفنا عن وجهه فقال هذا أحمد رسول الله سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم قال أبو بكر الصديق الأمين خليفة رسول الله كان ضعيفا في جسمه قويا في أمر الله صدق صدق وكان في الكتاب الأول انتهى.

5–أثبتها الحافظ السيوطى فى تنوير الحلك وعدّ ممن أفتى بجوازها العلامة القرطبي والقاضى ابن العربي من المالكية والغزالى من الشافعية،وكلهم متقدمون على ابن تيمية وتلاميذه.وللمزيد ينبغى الرجوع للرسالة المذكورة.

تنبيه:من تعجّب من ظهور المنتقل للحيّ فى الدنيا فعليه بالرجوع لحديثنا عن حياة الموتى وحياة الأنبياء فى باب التوحيد والشرك ليدرك المعنى الكامل للموت ومفهومه.

الأخـذ والتلقّي عـن النبي ﷺ

لقد زاد الشيخ أبو بكر جومى نوعا رابعا للتوحيد على الثلاثة التى اخترعاها ابن تيمية أى:**الربوبية والألوهية والأسماء والصفات**.فزاد:**توحيد الرسالة**.

ومراده كما صرّح به:من ادعى وجود فائدة عن النبي ﷺ بعد وفاته فقد ادعى النبوة بعد قول الله تعالى : **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الأحزاب:40)وقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المائدة:3)**.

فهذا كلام صحيح الظاهر،بل ولا حاجة لتكفير صاحب الدعوى.ولكنه كلام مجمل لا بد من تحليله.فلما اشتهر الصوفية بذكر اللقاء مع النبى ﷺ وتلقي الفوائد من عنده،وكان الشيخ جومى معروف التشدد فى الانكار على الصوفية والتصوف،سنترك كليهما ونسأل عما قاله العلماء فى القضية إن كان لهم فيها قول منقول.

فإذا بالسيوطى الامام يقول بعد كلام فى رسالة "الإعلام بحكم عيسى عليه السلام":**الثالث : أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامة الولي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلّم ويجتمع به في اليقظة ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب ، وممن نص على ذلك من أئمة الشافعية الغزالي ، والبارزي ، والتاج ابن السبكي ، والعفيف اليافعي ، ومن أئمة المالكية القرطبي ، وابن أبي جمرة ، وابن الحاج في المدخل** انتهى المراد منه.

ففى هذا ملحوظات:

1-إن هؤلاء جماعة من علماء الاسلام ومن الأئمة الثقات الصادقين بشهادة الأمة ولم يتّهموا بالكذب فى الدين.

2-إن كرامة الولي أمر متفق عليه،ولو اجترأ أحد على تكفيرهم بقولهم هذا لانهدم الدين من أساسه إذ كانوا هم النقلة لنا من عصورهم المختلفة.

3-فلا مناص لنا من فهم جديد للدين!

تـحليـل:

وأحسب أن جذور المشكلة فى قصورنا وعجزنا عن الجمع بين أخبار الصوفية والآيات أو الأحاديث السابقة بحيث لا يقع تعارض.فالآيات السابقة أو الأحاديث من جانب تحدّثنا عن تمام أركان الدين وأصوله بوفاة الرسول ﷺ وانتقاله من الدنيا.والصوفية من جانب آخر يحصلون على فوائد فى فروع دينية ونوافل مما لم ينغلق بابه- لثبوت أصله-إلى يوم القيامة،وهذا سائغ حتى عند إخواننا كما بسطناه فى باب السنة والبدعة.

البـاب الخـامــس

فى مسـائل متـعـدّدة

والحمد لله الذى بلّغنا آخر الباب من الكتاب.ويحتوى كما وعدنا على بعض القضايا التى يستشكلها بعض الناس ولنا فيها نظرات متواضعة بما أفاضه الله علينا.ونكرر أن مسائل الخلاف معهودة بين طائفتين من العلماء أو ثلاثة ،وقد يتساهل هذا ويتشدّد ذاك،أما التكفير بسبب الخلاف فى المنظور والفهم ربما لعدم ورود الأمر فى النص الالهى أو النبوى أو

احتماله لمعان أو التضليل لموقف رآه أولى فهذا تعسّف مؤسف وأبسط الحكم هو أنه شبيه بدعوى العصمة والنبوة.رزقنا الله تعالى العلم وسعة الصدر لرأي غيرنا.

1-تعليم النسوان

لا حاجة للخوض فى النزاع حول المسألة،وإنما الحديث عن الفتنة المتوقّع والتى يدور حولها النزاع.ونبدأ بجواب الشيخ عبد الله بن فودى للشيخ غونى مصطفى بإذن أخيه الشيخ عثمان رحمة الله عليهما كما فى تزيين الورقات لما أنكر الثانى عليهما تعليم النساء وكان نظمه فى ذلك:

عليــك منا تحيات مبــاركــة شممن مسكا وسكا من يلاقونا
أيابن فودى قم تنذر أولى الجهلى لعلّــهم يفقــهون الدين والـدونا
فامنع زيارة نـسوان لوعظك إذ خلط الرجال بنـسوان كفى شينا
لا تفعلن ما يؤدى للمعايب إذ لم يأمــر الله عيبــا كــان يؤذيــنا
وأبيت المصـطفى بج يتمّــمها فى عام رش مع زيد العدّ يكفينا

فقال الشيخ عبد الله مجاوبا له:

يأيـهـا الذى قد جاء يرشــدنــا سمعا لمـا قلت فاسمع أنـت ما قلنـا
نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا وقلت سبـحان هـذا كـان بهتــانــا
إن الشياطين إن جاءوا لمجلسنا هم يبثـّون سـوء القـول طغيــانــا
لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا كنــا نحذر لكن قلـت سلــمنا
إن كان ذاك ولكن لا نسلم أن يتركن بالجهل هملا كان إحســانا

هذى البلاد وجدنا قومها غرقوا فى الجهل نمنعهم أن يفقهوا الدينا
قد قيل تحدث للأقوام أقضية بقدر ما أحدثوا خذ ذاك ميزانا
الحمد لله ذى الانعام هادينا ثم الصلاة على المختار هادينا
وآله وصحبه أبياتنا كملت وعدها حبّ والتاريخ نشّقنا اهـ.

قد يقول قائل إننا الآن فى غنية عن تعليم الرجال النساء بكثرة المعلّمات فى المجتمع.فحيث كان الأمر كذلك فمن اللازم مجانبة الخطر المذكور.ولكن المعلّامات تقلّ فى كثير من الأحياء والبلاد.فالزوج الذي لا يلزم بيته بطبيعة عمله كالسائق أو ضابط الأمن ونحوه لا بأس بتسليم زوجته لعالم أمين يعلّمها.وإنما المطلوب أن يراعى قوانين الانضمام ونظام العلاقة بين المعلمين فى المدرسة وأن يخلص الطلاب نواياهن فحسب.

تنبيه:من المؤسف أن جلّ النساء المتعلّمات لا يعملن بعلمهن سواء فيكنن سفراء العلم فى معاملة الزوج أو المجتمع العامّ حتى يكاد المرء يقول لا طائل تحت تعلّمهن بتاتا.فالناظر متحيّر فى إدراك موقع المشكلة أهى من المدرّسين أم من التلاميذ أم من ناحية مجهولة أخرى؟

2-عمل المرأة المتزوّجة

وفيه خلاف شائع ما بين مجيز ومانع ومفصّل بين ما فيه مصلحة ضرورية للأمة فيجيزه كتعليم العلم والرعاية الصحّيّة وغيره مما دون ذلك كالمصرفية فيمنعه أو يكرهه.وأرى أن جواز كليهما ومنعه مناط بالظروف المحيطة.فمن الأعمال ما هو فى غاية من الأهمية لما فيه من مصلحة الأمة والذى قد تساعد المرأة المسلمة به المجتمع وتحصل على ثواب كثير ما راعت فيه الضوابط والحدود.ولنعلم أن العمل الذى نحقره ونرى المصلحة فيه قاصرة على صاحبه قد يساعد به أو بما استفاده منه كما قد يُقصد الفساد بالعمل الصالح أو يجرى

بطريق مذموم فى الشرع.فمتى ما أمن فيه الفتنة وروعى فيه الحدود لا نرى بأسا بعمل المرأة المتزوّجة.ومن العجب أن نساء بعض المتشددين فى إنكار العمل يختلطون بالرجال فى الأسواق وغيرها من الأماكن العامة وفى غير مصلحة ما!

3-الغش فى الامتحانات

ولاستغراغ أمتنا –الاسلامية وغيرها-فى الكذب والخيانة وانتهاك القوانين صارت هذه الكارثة مما يتزيّن به عند كثير من الطلاب بل وللأسف عند بعض المدرّسين.ولما كان إبليس عكوفا على إغواء ابن آدم تجد من الناس من يسعى لتحليل عملية الغش فى الامتحانات بدعوى عدم التنصيص على منعه فى الكتاب والسنة!هذا ولا ينبغى التساهل فى خطورة تحليل الحرام.قال الأستاذ الشيخ عمر الثاني فغي " إن الغش فى الامتحانات مرحلة يرتقى منها الطالب إلى الغش فى العمل أخيرا".

وكان الشيخ المرحوم الدكتور مُحَمَّد المختار أتمّ يقول لى :لا فرق عندي بين السارق فى الامتحانات وفى مكتب العمل،فمن فعل هذا فعل ذاك بسهولة.ولا ننس قوله تعالى: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (المائدة:27)**.

فالآية كافية فة تحريم الغش فى الامتحانات على الطلاب والمدرّسين والمراقبين عليهم.إذ جميعهم مسؤولون عن أمانة من المدرّس للمادّة أو المدرسة أو هيئة الامتحانات المرسلة للمراقب.ويلزمنا قبول تحريم الغش فى الامتحانات دون وروده فى النص انطلاقا من قبول جوازها بدون ما تنصيص.

4–التسول /الاستجداء

لقد اشتدّ الاختلاف بين المجيزين للتسول ومانعيه والفريق الثانى حجتهم غالبا هى الغيرة على عرض الاسلام والمسلمين المعرّض للازدراء أو الاحتقار فى عين غير المسلمين من جيراننا وهو قول معتبر مهمّ.وأهمّ منه: هل يجوز تحريم هذا الأمر بمجرد الدليل المذكور أم المطلوب نظرنا إلى موقف الشرع الحكيم؟هذا سؤال فى غاية من الأهمّية.

وعند يقتضى الانصاف تفصيل القول فيه بتقسيم التسول وفاعليه لما كان الدواعى علي متعددة.فمنهم المجذومون والعميان والمعاقون ونحوهم فى طرف،وتلاميذ مدراس القرآن فى آخر،وهكذا بعض النسوان بل والرجال المدّعون أنهم مسافرون يطلبون المساعدة لدفع أجرة الحافلة أو للحصول على الطعام أو لتحمّل مسؤولية الأيتام وغالبهم أقوياء فى أجمل الثياب وهم الأكثر فى هذه الأيام،تارة فى الشوارع وأخرى فى المساجد بعيد الصلوات.ولا نذكر هنا التسول للملوك فى المكاتب.

ولما كان فى القرآن قوله تعالى: **وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (:الذاريات:19)** **وقلوله:وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)(المعارج)** وفى الحديث : **عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ**

تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا قَالَ ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ

الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنْ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا" فليس من العلم تحريم ما أحلّه الشارع الحكيم بدعوى حماية متوهّمة لعرض الاسلام والمسلمين.نعم،لو عالجنا الباعث على التسول فى المجتمع لكان لنا كل مبرر لمنعه ولفعلنا ما الله تعالى يثيبنا عليه.أما أن نملا الدينا ضجّا وضجيجا حول القضية فى حين تركز على حوائجنا وأمور أسرتنا فهذا مما لا ينبغى الاستماع له فضلا عن القبول.وكثيرا من المتكلمين فى غاية من القصور تجاه المساعدة للإخوة والعشيرة وهلم جرًّا.

ففى نظرى القاصر:يجوز الاستجداء للمعاقين العاجزين عن الاكتساب،فإن كره إخوانهم المسلمون رؤيتهم عند المسيحيين-والذين فيهم أيضا مستجدون-فليغنوهم بما عندهم عن مسألة الكفار.ولكنه لا يجوز للمسلم الصحيح القوي،كما أن إعطائهم بمثابة التشجيع لهم على فعله اللهم إلا من نزلت به ضرورة فى الطريق -كالمسافر-ولم يكن ذلك دأبهم أصلا.ومعلوم تحذير الرسول ﷺ من فعله بغير ضرورة.

أما طلاب مدارس ودهاليز القرآن فجائز لهم التسول لطلب الطعام فى طريق تعلمهم وإن كنا لا نوافق على النظام المعاصر الجارى لتعليمهم وتربيتهم.وأيضا لو كنا نتهم الآباء والمدرسين(مع أن الأمر بخلاف ذلك كما بينه فى مقالته الدكتور عبد الله سليمان أثناء المؤتمر للتلميذ القرآنى عام 2005 بولاية كدونا وهو جدير بأن يراجَع)فقد جاز لهم فى تلك الظروف التعليمية أن يستنجدوا من الأغنياء لقوام العيش كما لا نرى تحريم جلبهم الماء لنسواننا فى البيوت ويساعدهن فى تخليص القمامات على أجرة قليلة أو طعام مكانها وكما

لا نرى بأسا باستئجار الفتيات الصغار لتعين أزواجنا فى كفالة الأطفال وعمليات الغسل وسائر الأعمال المنزلية.

فصفوة القول فى نظرى أن المعيرين للاسلام وأمته هم الأقوياء الصحاح السائلون فى الشوارع والمنتابون للمكاتب الرسمية باسم التعالم والتظاهر بالمجد أو التطبب بغية الفلوس ونحوها مما يوضع فى الجيوب.ومن أكثر الأشياء إبطالا لعرض الأمة وأقبحها خيانة المؤتمن المسلم لغير المسلم بعد الوثوق به وهذا فى الصف الأول من الأمور التى يجب إصلاحه.

5-الاستخارة النومية

الاستخارة النبوية رواها الامام البخارى أبو عبد الله فى صحيحه (برقم 6382) وكان نص الحديث "**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِى الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِى فِى دِينِى وَمَعَاشِى وَعَاقِبَةِ أَمْرِى – أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ – فَاقْدُرْهُ لِى وَيَسِّرْهُ لِى ثُمَّ بَارِكْ لِى فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِى فِى دِينِى وَمَعَاشِى وَعَاقِبَةِ أَمْرِى – أَوْ قَالَ فِى عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ – فَاصْرِفْهُ عَنِّى وَاصْرِفْنِى عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِى الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِى – قَالَ – وَيُسَمِّى حَاجَتَهُ** انتهى.

ففى هذا أن الله تعالى يختار للعبد ما هو خير له على التفصيل السابق.ثم وجدت طريقة سريعة أخرى بحيث ينتظر المستخار له نتيجة الاستخارة بعد إجرائها بالسبحة أو برؤية

نومية يحدَّث بها المضمون يوما بعده.فقولنا فى هذا–والله أعلم–أن الله تعالى يمنّ على بعد العباد بإخبارهم بأمور غيبية تقع كما أخبروا.فإن كان صاحب الاستخارة من هذا الجنس من العباد فلا غرو أن يحدّث بشيء عن هذا الطريق.والله أعلم بالصواب فيه.ومع ذلك فليحذر الناس الوقوع فى أيدى العرّافين–وهو الغالب–فيخبرونهم باسم الاستخارة ونحن نعلم ما قاله الرسول ﷺ فيمن يذهب إلى الكهنة والعرّافين.والعياذ بالله.بيد أن الاتّباع فى الاستخارة السنية كما أسبقناه لك فى حديث البخارى.

6– شركات الاتصالات وأنظمة التعريفة

وتأتى على أنواع.تارة تدفع مآة وتستفيد مأتين ما لم تحدث مشكلة.وتارة توعد الهدية الفلانية أو التخفيض فى تكلفة المكالمة ونحوه إذا استهلكت عددا فلانيا من الرصيد.وأحيانا يكون الوعد إذا سجّلت للنظام الفلانى ستفقد كذا ولكنك تحصل على تخفيض فى كذا أو تحظى بهدية كذا.ويجيز بعض العلماء هذه الأشياء على أنها بيع برضى المشترى وليس فيه خسارة أو هلاك مالّي إذ يُستبدل المفقود من رصيده(لو حدث فقدان)بفائدة تحصل له من طريق أخرى.

وفريق آخرون يمنعها لكونها وسيلة لبيع الربا أو الغرر والغشّ وقالوا لو كان المبتاع يعيد شحن الرصيد قبله لكنه الآن مغترّ بالوعد المذكور وليست نية مستقلة ولذا فلو لم يكن ثة قمار فإنه وسيلة إليه!

وهناك قمار واضح بحيث يرسل إليه سؤال إختباري فيجيب على أجرة مأخوذة من رصيده ويدعى عند النجاح من بين ملايين المشتركين ليقدم إليه الهدية.ولكنه لا شيء له فى عدم النجاح،فلا يجيز هذا أحد.

فالأنواع السابقة يتجنّبها المتورّع ويشترك فيها المتساهل على أنها أنظمة تختلف من شركة إلى أخرى.ففى بعضها جور وخداع،كأن تُوعَد بفائدة على أن تعيد شحن الرصيد بعدد كذا وتستهلكه فى وقت محدود،ويكون زمن استعمال الهدية المستفادة ضيقا جدًّا أو يقتصر الاستعمال على ما بين خطوط الشركة وربما أنت محتاج لغيرها فى اللحظة.فيكون الأمر بحيث أنك أنهيت رصيدك الغير المقيّد بوقت أو خط وتبقى الهدية المقيدة إما أن تستهلكها فى غير ما فائدة أو تتركها حتى يخرج الوقت المحدّد.ونحو هذا من الظلم للمكتتبين مما لا يجوز بحال.

7-كرة القدم

قد كان عدد من العلماء يقولون بتحريم كرة القدم وجماعة آخرون يجيزونها مشروطا بستر العورة والحفاظ على أوقات الصلاة وأن لا يكون فيها قمار،والثانى هو ما نميل إليه بفضل الله.وقد سمعت واعظ يحرمها بدون نص من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ.هذا والله تعالى يحذّر من التحريم بغير دليل فقال عز وجل فى سورة النحل: **وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (116) مَتاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (117).**

فعندى الحكم فى مثل هذه الأشياء بغير نص ليس إلا رأي واجتهاد من صاحبه،ويوزن الأمور كذلك ثم تُنزل منازلها.وأيضا من حرّم الكرة كحرفة فلا يُتوقّع منه تحليل الفطر للصائم

المسافر وقصر الصلاة لأجل ذلك فالسفر عندهم فى المعصية بخلاف المجيزين ،فالقصر والفطر عندهم مباح أيضا كالكرة.

8-السبحة

وكثير من الناس لا يستعمل السبحة لتبديع بعض العلماء لها ولعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.والخطأ أن تركه ﷺ لا يقتضى التحريم إلا أن يرد النهي على المتروك.فقد استعمل الصحابة السبحة مما يدل على جوازه وحسنه.

وقد ذكر السيوطى فىV سالة "المنحة فى السبحة" روايات عن السلف فى استخدامها بدون نكير بينما العلامة الألبانى وأتباعه ألفوا فى اردة عليه.وليراجع القارئ وصول التهانى للعلامة محمود سعيد ممدوح للجواب عليهم.وقد استحسن نظمه ابن تيمية فى الفتاوى(506/22)والشوكانى فى نيل الأطار(353/2)والمباركفورى فى تحفة الأحوذى (458/9) بعد إثبات الروايات،فليبحث هناك.فأبسط القول فى من ينكرها أنه أعلم من الصحابة والعلماء.

9-الدعاء على الأمراء

يتعجّب النيجيريون من نهى العلماء عن الدعاء على رؤسائهم على الرغم من النظام الجائر فى تدبير شئونهم.والحق أنه لا طائل تحت الدعاء عليهم اللهم إلا الضرر العائد على الوطن من حيث فساد تدبيرهم أكثر وأكثر.ولكن علماء المملكة متترّسون بهذا فى الدفاع عن الظلمة حتى إنهم يقصرون الدعاء فى حقهم على قول الداعى "اللهم ألهمهم رشدهم" وليس

كذلك.فإن للناسس الدعاء بـ "اللهم أذهبهم واستبدل لنا خيرا منهم" ونحوه مما يجوز شرعا.وهذا ما نشير إليه.

10-انتخاب رئيس غير مسلم

الانتخابات العامة لعام 2011 فى نيجيريا جاءت بموجات من الحوارات الشديدة حول جواز التصويت لمرشّح غير مسلم حتى أدى ذلك لتكفير من صوّت له من المسلمين فى فتاوى العلماء المتشدّدين ويستدلّون بقوله تعالى فى النساء: **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89)** وقوله فى المائدة: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)** وقوله فيها أيضا: **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)**وسائر ما لا يسع المجال لذكره هنا.

قلنا لقد كفر هؤلاء العلماء أنفسهم أيضا بدعو المرشّح المسلم للعمل والحكم بغير ما أنزل الله والذى هو كفر بواح.ففى نفس المائدة قوله تعالى قبل تلك الآيتين: **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)**.وبما أنهم يعلمون أنه لا يحكم بما أنزل الله فى نظامنا فكيف يدعون إليه بهذا التعصّب والحماسة؟هذا ولو

انتخب المسلمُ الرئيسَ المسلمَ فى نيجيريا فلا بد أن يكون نائبه غير مسلم والانتخاب لكليهما.وبحسب القانون الدستوري إذا مات الرئيس أو عجز كلّيًّا يكون الوارث نائب الرئيس.

وأيضا يتهم الرئيس بترك المسلم واتخاذ غيره فى المنافسة.

فصفوة القول إذا كان المطلوب انتخاب المسلم الخالص على مستوى الولاية والدولة فى مثل كدونا فلا بد من تكوين جمعية سياسة إسلامية على النظام والقانون الاسلامى وإنما ينبنى ذلك على حكومة انتخابية دينية ودولة إسلامية راسخة.ولو سعى أولئك العلماء لهذا لااستحقّوا المدح والدعم بما أمكن.ولكن تكفير المنسحب من النظام والمعتزل عنه بدليل من عنده من الامارات على الغباوة والابتعاد عن الحقيقة.

تكميل:إن انتخاب الرئيس من ائتمان النفس والوطن،ولا تخلو تلك الرئاسة من الوقوع فى يد من لا تحبه مهما كان تشددك فى الحب والبغض.وكما أنك تئتمن الأجير من غير المسلمين فى بعض الأمور كإصلاح البيت والسيارة دون نظر إلى دينه وعقيدته بعد الثقة بمهارته –فى الحياة اليومية–فإنك فى شأن الرئاسة تختار الأمين الصادق فى الوعد والأمانة وتترك المسلم الذى هو فاقد لتلك الصفات الحميدة.نعم عند التسوى فيها بين المسلم وغيره فاختيار المسلم هو المندوب أو الواجب.

تنبيه:نظريًّا المسلم هو المعروف بالصدق والأمانة ولكن الصفتين موجودتان أيضا عند غيره.ففى سورة آل عمران يقول الله تعالى: **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)**.

ومعلوم ما يحدث الآن من قبائح الأمور وسيئات الأخلاق بين صفوفنا ومعاملاتنا اليومية بالنسبة لغيرنا نسأل الله السلامة والهدى.

11-عقد النكاح فى الكنيسة

كثيرا ما يدعى بعض الاخوة من المسلمين إلى عقد ووليمة النكاح وحتى الجنازة فى الكنائس نتيجة العمل فى مكان واحد مع المسيحيين أو الجوار المنزلى فيخوّفهم بعض الوعّاظ حتى يأتوا مستفتين.

وعندنا إن كان التحذير لضعفاء الإيمان أو الزجر لدعوة الناس إلى التورّع هناك فلا حرج فى ذلك.وإلا فلا يكفر المسلم بمجرد دخول الكنيسة كما لا يسلم الكافر بدخوله المسجد بحال.وإنما الحاكم هى النية القلبية(ونعلم أن من أفعال الردة ما لا يلتفت فيه إلى نية الفاعل ولكن ليس هذا منها).

وعلاوة عليه،ننصح ضعيف القلب بالبقاء فى الخارج إذا كان فيها أصنام أو خاف اختلاط الرجال بالنساء أو ينشد فيها قصائد شركية ونحوها لأن سيدنا عمر امتنع عن دخول الكنيسة فى الشام مستدلا بالأصنام التى كانت فيها رضى الله تعالى عنه.ويلاحظ أننا راعينا هنا حق الجوار الذى قد يسبب إتقانه دخول الكافر فى الاسلام مع الحفاظ على دين المسلم المدعو أيضا.والله تعالى أعلم.

12-تهنئة المحتفل بعيد المسيح (عليه السلام)

قد يجد المسلم المجاور نفسه يهنئ المسيحيّ على عيد المسيح بقوله " Happy Christmass" أو على السنة الجديدة بقوله "Happy New Year" على حسب دوران المناسبة.وكما هو المعهود،من فعل هذا فقد صار مرتدًّا عند المتشدّدين!

ونحن لا نوافق على هذا الفهم المتعنت.بل نراه بحسن ظننا موصلا للرحم بطريق مؤثرة على المحتفل ولو لم يوافقه على عمله.ولا نحكم عليه بمشاركته بمجرد قوله هذا كما لا نحكم على المسيحيين أبدا بمشاركتنا فى الاحتفال بأعيدنا بمجرد مثل هذه الأقوال لما قالوا لنا "Happy Sallah".

فالنية فى القلب،ولا ننس أن الرسول ﷺ استضاف نصارى نجران فى مسجده وأعطاهم فرصة للقيام بصلاتهم فصلوا هناك مع أنهم مشركون.فهل نقول إن الرسول شاركهم فيما هم عليه أم كان حريصا على إسلامهم فقط؟ينبغى أن نكون على بصيرة ما.والقصة ذكرها أصحاب التاريخ فقال فى نور اليقين(**193/1**):

ومن الوفود وفد نصارى نجران، وكانوا ستين راكبًا، دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحِبَرَةِ وأردية الحرير، مختمين بالذهب، ومعهم بسط فيها تماثيل، ومسوح جاءوا بها هدية للنبي ﷺ، فلم يقبل البسط وقبل المُسُوح. ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس.

ولما أتموا صلاتهم دعاهم عليه الصلاة والسلام للإسلام فأبوا وقالوا: كنّا مسلمين قبلكم، فقال عليه الصلاة والسلام: "يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا" ، قالوا: فمن مثل عيسى خلق من غير أب؟ فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 59] وليُظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: 61] فدعاهم ﷺ لذلك فامتنعوا، ورضوا بإعطاء الجزية، وهي: ألف حلّة في صَفَر، وألف حُلّة في رجب، مع كل حُلّة أوقية من ذهب ثم قالوا: أرسل معنا أمينًا، فأرسل لهم أبا عبيدة: عامر بن الجراح، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة انتهى.

13-أكل الطعام المصنوع لذكرى عيد ميلاد المسيح (عليه السلام)

قال تعالى فى المائدة: **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (5)**.فهذا تحليل لأكل ذبيحة أهل الكتاب كما فسره ابن عباس فيما رواه البخارى فى كتاب التفسير.

وفى سورة الأنعام يقول تعالى: **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)** فبغض النظر عن الذابح عند بعض العلماء تؤكل الذبيحة ما ذكر اسم الله تعالى عند الذبح.هذا فى الذبيحة.أما طعامهم فلا يمنع أكله إلا المحرم.فما حكم المصنوع لذكرى عيد ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام؟أجازه بعض العلماء للمحتاج ومنعه آخرون.وبأيّ القولين أخذت فإن الأهم نيتك المضمرة.إذ فى الأمر فيه خلاف بين العلماء وما فيهم نبي أو معصوم.ولا ينبغى تعيير أحد للأخذ بأحد الرأيين. وفرق بين هذا ومشاركتهم أو التشبه بهم

كما سبق. فقد نقل ابن تيمية فى اقتضاء صراطه(53/1) فى باب أعياد المشركين ما نصه: **وروى بإسناد صحيح عن أبي أسامة حدثنا عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : " من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ؛ حُشر معهم يوم القيامة "** انتهى.وقبله عن: **عمر بن الخطاب** ﷺ **قال : " اجتنبوا أعداء الله في عيدهم " .**

14- لحوم الأضاحى لغير المسلمين

ويمنع بعض علمائنا من إعطاء لحم الاضحية لغير المسلم لحرمته الفائقة ولا أظنه أمرا منصوصا عليه فى السنة النبوية.وفريق آخر يراه جائزا مستدلاّ بحديث البخارى (2363) ومسلم (4162) « **فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** »فلا حاجة للمراء فى المسئلة الخلافية.هذا ولا سيما أن الجواز أقوى لعموم الاستحباب فى الحديث.

15-الاحتفال بذكرى ميلاد النفس

يجوز أن يعدّ المرء وليمة لإطعام الناس شكرا لله تعالى ولذكرى مولده لأن نية الشكر عمل مأجور وهكذا الإطعام،وربما ضمّ إليهما تذكير الناس بشي من الوعظ والارشاد فى الاجتماع.بيد أن هذا الجواز شروط بعدم ارتكاب المعاصي كاختلاط الرجال البالغين بالنساء

الاجنبيات والرّقص وسائر مظاهر الفسوق،فإن كان فيه شيء من هذا فلا يجوز بحال إن شاء الله.

16–الاتّحاد بين الوعّاظ والدّعاة

وينكر بعضهم هذه الدعوى فيقولون لا يمكن إلا الاتحاد فى اللسان أى يمكن الهدنة بأن يكف العلماء عن طعن بعضهم بعضا ولكن الفرقة موجودة للاختلاف المتواصل فى الأفهام بينهم.وفى نظرى هذا كلام مشعر بحب التفرق وكراهة الوحدة ولعل صاحبه مستفيد من استمرار التفرّق.وإلا فلم يُدع أحد(فى هذه الدعوة) بترك فهمه وإنما الدعوة إلى كف الألسن التى هى وقود النزاع والصراع الدائم.

فهذا القول ليس له معنى سوى حبّ الشغب وإثارة الفتنة لأن اتّحاد اللسانى هو المعنيّ أصلا (بوحدة الرؤوس).

17–تقديم الرشوة للحصول على الحقوق

ولفساد الأمور فى وطننا لا يحصل المرء على فوائد العقود أو التقاعد أو نحوهما إلا بتقديم الرشوة.فرخص العلماء ذلك للمعرّض لتلك الظروف أن يقدّم ما لزمه ويفوّض الأمر إلى الله سبحانه على وجه الضرورة.

وننبّه العمال الموظفين الحكوميين المهملين لعملهم على أن وظيفتهم أمانة مسؤول عنها يوم القيامة وسواء فى حضور العمل أو الرجوع منه أو نحو ذلك.

18-**هل الدنيا مخلوقة بسبب النبي ﷺ؟**

فى الرد على هذا يذكر قوم قوله تعالى فى الذاريات: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)**.وعندى أن هذا قصور من القائل ففى سورة الجاثية يقول جل ذكره: **وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)**.هذه الآية تدل على كون ما فى الدنيا مخلوق من أجل العباد-إنسا وجنا-والنبى ﷺ سيدهم جميعا.إذًا الدنيا مخلوقة من أجله!ولا تعارض بين القول والآية السابقة بوجه من الوجوه.

وقد قال ابن تيمية فى هذا بعد كلام فى مجموع التفاوى(**11/96-97**):

وَمِنْ هُنَا قَالَ مَنْ قَالَ : إنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ أَجْلِهِ الْعَالَمَ أَوْ إنَّهُ لَوْلَا هُوَ لَمَا خَلَقَ عَرْشًا وَلَا كُرْسِيًّا وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا . لَكِنْ لَيْسَ هَذَا حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَحِيحًا وَلَا ضَعِيفًا وَلَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ . عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَلَا يُعْرَفُ عَنْ الصَّحَابَةِ بَلْ هُوَ كَلَامٌ لَا يُدْرَى قَائِلُهُ . وَيُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ بِوَجْهِ صَحِيحٍ كَقَوْلِهِ . { سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } وَقَوْلُهُ : { وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي يُبَيِّنُ فِيهَا أَنَّهُ خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ لِبَنِي آدَمَ وَمَعْلُومٌ أَنَّ لِلَّهِ فِيهَا حِكَمًا عَظِيمَةً غَيْرَ ذَلِكَ ،وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ يُبَيِّنُ لِبَنِي آدَمَ مَا فِيهَا مِنْ الْمَنْفَعَةِ وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ النِّعْمَةِ . فَإِذَا قِيلَ : فَعَلَ كَذَا لِكَذَا لَمْ يَقْتَضِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : لَوْلَا كَذَا مَا خُلِقَ كَذَا لَا يَقْتَضِي

أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ حِكَمٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ بَلْ يَقْتَضِي إذَا كَانَ أَفْضَلُ صَالِحِي بَنِي آدَمَ مُحَمَّدٌ وَكَانَتْ خِلْقَتُهُ غَايَةً مَطْلُوبَةً وَحِكْمَةً بَالِغَةً مَقْصُودَةً أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ صَارَ تَمَامَ الْخَلْقِ وَنِهَايَةَ الْكَمَالِ حَصَلَ بِمُحَمَّدِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلت لقد استنبط المعنى من القرآن ولكن لى ملحوظة فى قوله :**لكِنْ لَيْسَ هَذَا حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَحِيحًا وَلَا ضَعِيفًا وَلَمْ يَنْقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَلَا يُعْرَفُ عَنْ الصَّحَابَةِ بَلْ هُوَ كَلَامٌ لا يُدْرَى قَائِلُهُ** انتهى.

ففى مستدرك الحاكم **(4228) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق مُحَمَّد لما غفرت لي فقال الله : يا آدم و كيف عرفت مُحَمَّدا و لم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك و نفخت في من روحك و رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلى أحب الخلق فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك و لولا مُحَمَّد ما خلقتك**

هذا حديث صحيح الإسناد و هو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.انتهى.

فآدم عليه السلام أبو البشر والدنيا والحديث مع حكم الذهبى بأنه موضوع فإنه له شواهد – شاهد موقوف عند الاجرى فى الشريعة وآخر عند ابن الجوزى فى الوفا –ترفعه إلى درجة

الحسن والصحة عند من يدخل الحسن فى الصحيح كالحاكم وابن حبان كما فى رفع المنارة حيث فصل القول فيه.

فلماذا توسّع ابن تيمية هذا النفي لمصدر القول المذكور؟

19–هل يعلم الغيب ﷺ؟

يقول تعالى فى سورة الأنعام : **قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ ما يُوحى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (50)** وفى النمل: **قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65).وغيرها من الآيات والأحاديث التى أتت بالنفي العام.ولكن أتت أحاديث تثبت خلاف هذا كما استثنت بعض الآيات أيضا.**

ففى البخاري مثلا (**7063،7062،7059،7052،7048**)ومسلم **2891–2892) إخباره بأمور غيبية ﷺ.**

–أخرج أبو عبد الله عَنِ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ قَالَ قَالَتْ أَسْمَاءُ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « أَنَا عَلَى حَوْضِى أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَىَّ ، فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِى فَأَقُولُ أُمَّتِى . فَيَقُولُ لاَ تَدْرِى ، مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى » . قَالَ ابْنُ أَبِى مُلَيْكَةَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ .انتهى.

–وعن زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا . قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ ".

–وعَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِى مُوسَى فَقَالاَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « إِنَّ بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ لأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ » .وأمثاله كثير.

فالسؤال ما هو الغيب؟

ما لا يعلمه إلا الله أو ما لا تعلمه أنت.وما هى أقسامه؟

فالغيب ينقسم إلى مطلق ونسبي:الأول ما اختصّ الله تعالى بعلمه وهو الذى فى الآيتين السابقتين وغيرهما وبعض الأخبار والثانى هم ما خص الله به عبدا دون غيره ويتفاوت أصحابه فى الدرجات.ونحن نعلم أن الرسول أخبرنا بما يحدث فى القبر وفى ساحة القيامة وفتن واقعة فى أواخر الزمان مما هو غيب محض.بل رسالته ﷺ متضمّنة لغيوب كما قال تعالى : **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3).**

وفى كتابنا "الإشارات" تقسيم الغيب إلى زماني ومكاني وكلام واف فى المسألة فليراجَع للمزيد بفضل الله.ومن قال بقصد النفي إن النبي لا يعلم إلا ما علمه ربه فهو عابث لأنه يعلم أحد إلا بتعليم من الله سبحانه.

20–أول الخلق هو النبي ﷺ

وينكر هذا بعض الإخوة كما يردون حديث النور المحمدى الآتى بعده.وأولا فإن حديث "**أول ما خلق الله العقل**" لا أصل له.ولكن حديث الترمذى(2308،2126) "**أول ما خلق الله القلم**" وحديث البخارى (7418) الذى دل على الماء كلاهما صحيح.

وحديث "**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**"الخ أخرجه الامام عبد الرزاق فى الجزء الأول من المصنف ولكن الجزء كان مفقودا لألف **سنة** أو أكثر حتى حكم من لم يقف عليه من العلماء بوضعه ومنهم جماعة من الحفاظ كالحافظ الأسيوطى وأحمد الغمارى والشيخ عبد الله الهرري رحم الله الجميع.قال السيد مُحَمَّد بن علوي لقد أخطأ من جزم بوضعه بمجرد عدم الوقوف عليه لأنه حكم على ما لم يعلمه.وكلامه صحيح.فإن بعض المحدثين عثر على الجزء فى بلاد الهند ووجدوا فيه الحديث بإسناده المتصل الصحيح إلى سيدنا جابر حتى وصلت إلينا النسخة فالحمد لله المنان.

هذا ولا يعارضه الحديثان السابقان لأن الأولية فيهما بالنسبة لغير النبى ﷺ كما قال العلماء.فما كان لطالب فى علم الحديث الشريف أن يكذّب الحديث بقول السيوطى–لو كان حجة عنده– لكونه معتمدا على ما عنده من العلم كما هو اللائق بعالم،وقد وجد علم جديد بعدهم.رزقنا الله تعالى الانصاف والخضوع للحق.

كلـمـة الاخـتـتـام

إنما سطرنا ما فهمناه فى هذا الكتاب ونرجو أن لا يضيّع أحدا بما جاء فيه.فمن المؤسف أن أعداء الاسلام يمكرون ويسعون ضده ولكن لم ير بعض المسلمين عملا يحتاج إليه إلا شقّ الصفوف بغرس جذور العداوة بين الأمة–أى هدم جدار الدين المتصدّع المتداع بدلا من رقعته أو بنائه من جديد.إن هذا لحقيقة مؤلمة.

فندعوا جميع الإخوة بدءا من أنفسنا إلى تقوى الله تعالى وإخلاص نياتنا لقبول الحق من حيث أتانا ما دمنا قاصدين وجه الله تعالى.وأسأل من وقف على أخطائى أن يصلحها غفر الله لنا جميعا وأثابنا على صوابه وقرائته ونفعنا بمطالعته وأرشدنا إلى غلطاتنا.والحمد لله على توفيقه.

وكان الفراغ من تأليفه:

هـ 29/02/1434 الموافق لـ 2013/01/11.

ومن الترجمة:

هـ 1448/04/10 الموافق لـ 2026/09/23

نـــصـيـحـة

إن الأمة الاسلامية تواجه تحدّيّات عظيمة فى المجتمع الدولى.ومن ذلك بعد أفرادها من كثير من الأخلاق الحميدة التى جاء الدين لإتمامها فى المعاملات اليومية حتى بين صفوف المسلمين.وللأسف إن عددا كبيرا من الوعّاظ يؤثرون ما يفرّقنا ويرسخ فينا البغضاء فيقطع

أواصر الرحم على ما توجيهنا إلى الاتحاد لمواجهة العدوّ فتشهد أسوأ الأخلاق وأقبحها من أصحاب الصفوف المتقدمة فى دعوى الاتباع للدين.

هذا وقد قال ﷺ كما رواه أبو داود(**4799**): **عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.**

وقال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.(الترمذى 2603)ومسلم(4678).أصلح الله تعالى أحوالنا.

قائمة المراجع ونعتذر عما سقط أو ما نسينا:

1-القرآن الكريم

2-صحيح البخارى

3-صحيح مسلم

4-سنن أبى داود

5-سنن الترمذى

6-سنن ابن ماجة

7-المصباح المنير

8-إرشاد الفحول

9-البدعة للشيخ السبحانى

10-موطأ مالك

11-السنن والمبتدعات

12-قاعدة جليلة

13-اقتضاء الصراط المستقيم

14-مجموع الفتاوى

15-الفرق بين الفرق

16-إحياء السنة

17-فتح البارى

18-العقيدة الصحيحة للشيخ أبو بكر جومى

19-حسن المقصد فى عمل المولد للسيوطى

20-سنن النسائى

21-المغير للشريف إبراهيم صالح الحسينى

22-الرسالة الذهبية للحافظ الذهبى

23-لسان الميزان للذهبى

24-التوحيد والشرك للشيخ السبحانى

25-برآءة الأشعريين

26–الصراط المستقيم فى التوحيد للشيخ عبد الله الهررى
27–فتح المجيد
28–الدر المنثور فى التفسير بالمأثور
29–سيرة ابن هشام
30–الإصابة فى تمييز الصحابة
31–تفسير القرطبى
32–تفسير الآلوسي
33–تفسير النسفي
34–تفسير الشوكانى–فتح القدير
35–تفسير الجلالين
36–التفسير الميسّر
37–تفسير البغوى
38–زاد المسير
39–تفسير الطبرى
40–الخلل الوهابي
41–كشف الستور عما أُشكل من أحكام القبور
42–البركة والتبرك
43–تهذيب الأسماء واللغات
44–شعب الايمان

45–تفسير ابن كثير
46–سير أعلام النبلاء
47–تاريخ الاسلام
48–البداية والنهاية
49–طبقات ابن سعد
50–رفع المنارة فى تخريج أحاديث التوسل والزيارة
51–أخطاء ابن تيمية
52–كتاب التوحيد
53–القول المفيد
54–المستدرك
55–مدارج السالكين
56– العقود الدرية
57–لسان العرب
58– شرح كشف الشبهات
59–إعانة المستفيد
60–مسند أحمد
61–مفاهيمة يجب أن تصحّح
62–الأصول الثلاثة
63–تيسير العزيز الحميد

64–تفسير الرازى–مفاتيح الغيب

65–الموافقات

66–الفتاوى الحديثية

67–روضة الطالبين

68–الأم

69–إعلام الراكع الساجد للسيد الحافظ عبد الغمارى

70–أسد الغابة

71–شرح المشكاة

72–الاستيعاب

73–السنن الكبرى

74–المقالات السنية للشيخ عبد الله الهررى

75–الكافى فى علم التزكية للشريف إبراهيم بن صالح الحسينى

76–النهاية فى غريب الحديث

77–سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة

78–الرسالة القشيرة

79–نيل الأوطار

80–تحفة الأحوذى

81–إتقان الصنعة فى تحقيق معنى البدعة للحافظ عبد الله الغمارى

82–ضياء الذّكّار للشيخ مُحَمَّد الجميل بن سليمان القادرى

83–الإشارات إلى بعض الحقائق والعبارات للمؤلف

84–الفوائد فيما كان عليه العلماء من العقائد للمؤلف

85–تزيين الورقات للشيخ عبد الله بن فودى

86–حتى لا تحرم من رؤية النبى ﷺ

87–دلائل النبوة للبيهقى

88–نور اليقين

89–مجمع الزوائد

90–صحيح ابن حبان

91–شرح مشكل الآثار للطحاوى

92–تاريخ المدينة لابن شبّة

93–الأشباه والنظائر للسيوطى

94–تذكرة الحفاظ للذهبى

95–المعجم الكبير

96–نهاية الآمال بصحة وشرح حديث عرض الأعمال

97–تفسير السعدى

98–عمل اليوم والليلة للنسائي

99–المطالب العالية لابن حجر العسقلانى

100–حول الاحتفال بذكرى المولد النبوى للسيد مُحَمَّد بن علوى

101–سنن الدارمى

* * *